مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السابعة والعشرون : العدد مئة وسبعة ـ محرم ١٤٤١ هـ / أيلول (سبتمبر) ٢٠١٩ م

التحفة الشاهية في علم الهيئة

اسم المؤلف: القطب الشيرازي : محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي ٧١٠ هـ

المصدر: آيا صوفيا

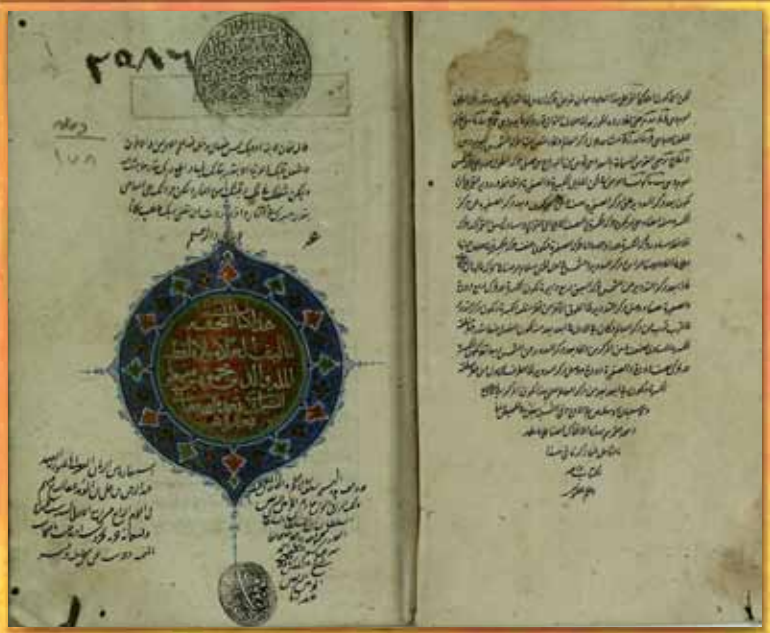

al-Tuḥfah al-shāhīyah fī al-hayʾah
Shīrāzī: Quṭb al-Dīn Maḥmūd ibn Maʿsūd ibn Muṣliḥ al-Shīrāzīʾ (710 AH)
Source. Ayasofya

شروط النشر في المجلة

١ - أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ - ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهةٍ أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ - يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ - يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ - يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ - أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ - يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ - أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ - ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ - لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ - تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ - تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ - يعطى الباحث نسختين من المجلة.

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

مركـــز جمعـة المـاجـد للثقـــــافة والتـــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٠٧) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;
Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (107). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.
Thank you for your kind cooperation
We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبـادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك
Subscription Order Form

☐ سنة One Year ☐ أكثر من سنة More Than One Year ☐ عدد السنوات of Years

للأعداد : ..... Issues عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date : .....

☐ شيك Check ☐ حوالة مصرفية Bank Draft ☐ حوالة بريدية Postal Draft

التاريخ : ..... Date :..... التوقيع : ..... Signature : .....

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة السابعة والعشرون : العدد مئة وسبعة ـ محرم ١٤٤١ هـ / أيلول (سبتمبر) ٢٠١٩ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير

أ. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير

د. أبوبكر الصديق
د. محمد أحمد القرشي
د. فكري عبد المنعم النجار
د. محمد فاضل الحطاب

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الإفتتاحية

المواساة بين أفراد المجتمع الدرع الواقي للوطن

مدير التحرير ٤

المقالات

ولـيّ الدّيـن الملّوي وعلم المناسـبات بين السـور والآيات

د. طه محمد فارس ٦

خطابـات التجـار اليهـود مصـدر لرصـد حركة التجـارة في جنوب الجزيرة العربية خلال العصر الوسيط «دراسة وثائقية»

د. محمود أحمد هدية ٢٩

تعقيب واستدراك على ديوان خالد الكاتب

محمد باسل عيون السود ٦٢

مقدمات كتب التاريخ:
قراءة في قضايا العلم ومنهجه

د. مزيان علي بناصر ٨٥

الجامع الكبير بفاس الجديد (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م):
النموذج الأمثل لإحياء النمط القرطبي في تخطيط المساجد بالمغرب الأقصى

د. رامي ربيع عبد الجواد راشد ١٠٩

تحقيق المخطوطات

رفـع الحرج والجناح عمـن أرادت من المراضع النكاح لأبي علي الحسـن بن عثمان بن عطية بن موسى التوجيتي الونشريسي [ت٧٨٨]

الأستاذ الباحث عبد السلام بن مبارك الزاوي ١٢٩

كتَاب بَيَان الكَسْب
من كلام الشَّـيخ الإمَام أبِي عبد الله محمَّدٌ بن عليٍّ التِّرمذيُّ الحكيم رحمَه الله

الدكتور تيسير عبد الله النَّاعِس ١٥٥

الملخصات ٢٠٢

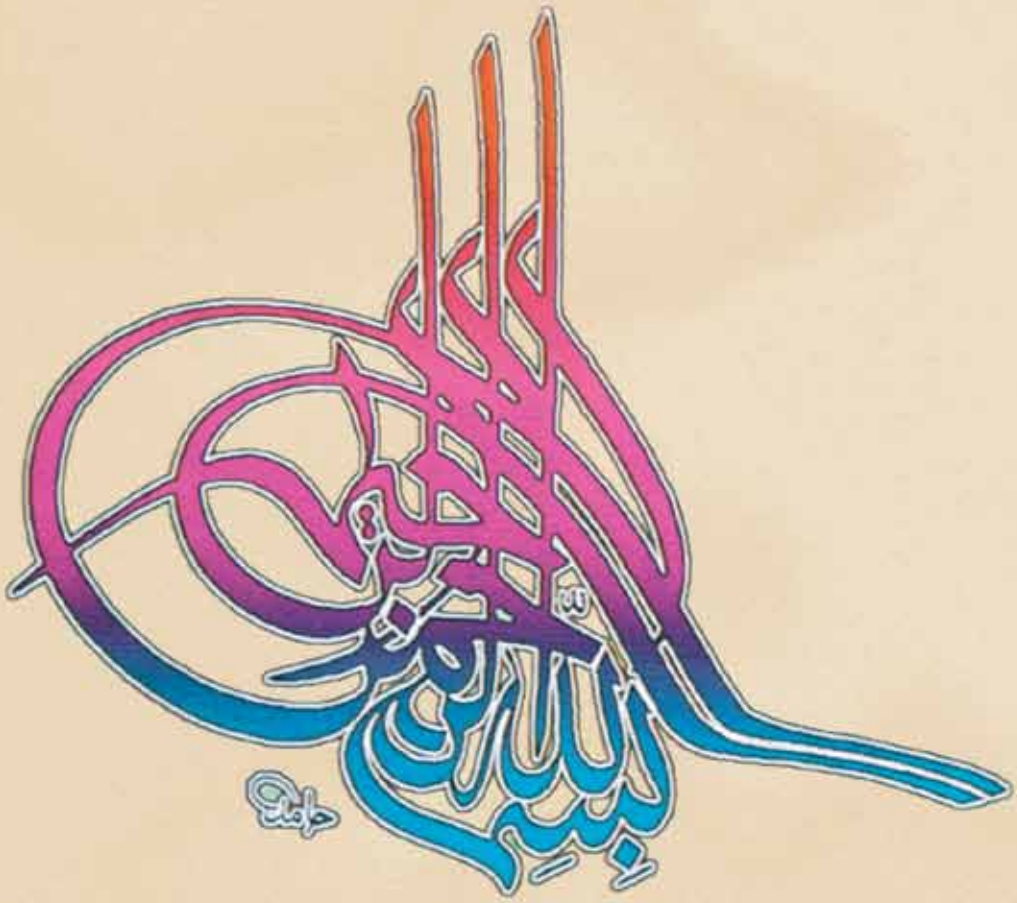
بسم الله الرحمن الرحيم

المواساة بين أفراد المجتمع الدرع الواقي للوطن

إن الغالبية من الناس يعتقدون أن المواساة هي عمل من أعمال البر يعمد إليها الأغنياء لسد خلة جماعة من الناس أو قضاء حاجة الفقراء أو إجابة مضطر لمطلبه، ولكن الأمر أوسع من ذلك بكثير؛ فهي إسقاط الحظ، المتمثل في إسقاط الاستبداد والاستئثار بالحق والدخول في المواساة مع باقي أفراد العموم، وبهذا المفهوم فالمواساة بين أفراد المجتمع؛ هي سلوك من أسمي مكارم الأخلاق؛ حيث يصبح غيره من أفراد المجتمع في نظره مثل نفسه، فهو في كل الظروف والأحوال واحد منهم، وإذا آل الأمر إلى هذا فإنه يصبح غير قادر على الاستئثار لنفسه بشيء دون إخوانه من أفراد مجتمعه فهو مثلهم في كل شيء. ونظير هذا التصرّف وارد في قوله ﷺ: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم منّي وأنا منهم"، وقوله عليه الصلاة والسلام: "إن في المال حقًا سوى الزكاة".

وبهذا السلوك النبيل السامي لا يلحق الإنسان ضرر إلا بمقدار ما يلحق الجميع، ويحصل هذا عندما يعد كل واحد فينا المسلمين كلّهم شيء واحد، على مقتضى قوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا وشبك أصابعه».

وتبلغ المواساة تمامها عندما تصل إلى حد الإيثار، وهذا يعني أن يترك الإنسان حظّه لحظ غيره، اعتمادًا على صحة اليقين، وإصابة لعين التوكّل، وتحمّلاً للمشقّة في

عون الأخ في الله على المحبّة من أجله، وهو سلوك قد حرصت الشريعة على الدعوة إليه على وجه العموم في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وعلى وجه الخصوص في وقائع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨]، ومنها أيضًا ما نقل عن خلقه ﷺ: «أنه كان أجود الناس بالخير، وأجود ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقي جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»، وقد قالت له ﷺ خديجة: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحقّ».

وانطلاقا من هذه الآداب الشرعية والمنح المرعية والسلوكات النوعية في ديننا الحنيف والتي حرص الإسلام على ترسيخها في المجتمع، بل ندب إليها ووجه تلقاءها، فإنه لا يجوز للإنسان أن يقدم على فعل شيء أو يؤيد بقول أمر هو على يقين من ضرره على العباد والبلاد حتى وإن كانت فيه مصلحة حقيقية له ولجماعته، وبخاصة إذا كانت شهادة تتعلق بأشخاص يكون أثرهم على المجتمع كله.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مدير التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

وليّ الدّين الملّوي
وعلم المناسبات بين السور والآيات

د. طه محمد فارس
الإمارات - دبي

الحمد لله الذي أنزل على عبده كتابًا عربيًا غيرَ ذي عِوَج مُحكمًا ومُفصّلًا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد الذي هدانا الله به إلى كلِّ نَهج سديد، وعلى آله وصحبه ومن ساروا على دَربه الرَّشيد، وبعد:

فقد انبرى علماء المسلمين على مَرِّ الزَّمان لخدمة كتاب الله تعالى، فلم يتركوا جانبًا من جوانب المعرفة المتعلِّقة بهذا الكتاب العظيم إلَّا تناولوه بالدِّارسة والبحث والاهتمام، وكان من أبرز دوافع هذه العناية والاهتمام التَّقرُّب إلى الله تعالى ونيل شرف خدمة هذا الكتاب الكريم.

فَبَرز في كلِّ قرن جملة من هؤلاء الأفذاذ الذين سَخَّروا أعمارهم لخدمة كتاب الله تعالى، وكان من جملتهم وليُّ الدِّين الملَّويّ، قاضي القضاة العلّامة المفسّر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن يوسف العثماني الدِّيباجي المنفلوطي.

وقد اتَّفقت مصادر ترجمته على الثَّناء عليه، ووصفه بالتَّحقيق وحسن العبارة والتَّصرف، وكذا وصفه تلميذُه الإمام الزَّركشيّ، ومن بعده الإمام ابنُ حَجر العسقلّانيّ، رحمهما الله.

وكان للشيخ الملّويّ ـ رحمه الله ـ عناية خاصَّة بعلم المناسبات بين السور والآيات، ويتَّضح ذلك من خلال ما نُقِل عنه، ومن خلال تفسيره المخطوط الذي وقفتُ عليه.

وقد أردت في هذا البحث أن أُحيي سيرة هذا العَلَم الفَذّ، وأُبرزَ جهوده العلميَّة التي لم ترَ المكتبةُ المطبوعة منها شيئًا بعد، وأُسلِّطَ الضَّوءَ على اهتمامه بعلم المناسبات بين السُّور والآيات.

وجعلت بحثي هذا في مقدمة ومبحثين وخاتمة، ثمَّ فهرس لمصادر ومراجع البحث، وفق الخطة الآتية:

المقدمة:

المبحث الأوَّل: ترجمة وليّ الدِّين الملَّوي

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

المطلب الثاني: ولادته ونشأته وأعماله

المطلب الثالث: أخلاقه ومكانته العلمية

المطلب الرابع: تصوفه

المطلب الخامس: شيوخه

المطلب السادس: تلامذته

المطلب السابع: مؤلفاته

المطلب الثامن: أثره بمن بعده

المطلب التاسع: وفاته

المبحث الثاني: علم المناسبات وعِنَاية وليُّ الدِّين الملَّويّ به

المطلب الأوَّل: تعريف علم المناسبات

المطلب الثَّاني: رأيه في علم المناسبات

المطلب الثَّالث: المنهج الذي رسمه الملّوي للتَّعرُّف على المناسبات

المطلب الرَّابع: مُؤلَّفاتُ الملَّويّ التي اعتنى فيها بالمناسبات القرآنيَّة

المطلب الخامس: أمثلة للمناسبات من تفسيره

الخاتمة: ذكرت فيها خلاصات البحث ونتائجه

ثم وضعت فهرسًا لمصادر ومراجع البحث

هذا، واللهَ أسألُ أن أكون قد وُفّقتُ لِمَا قصدت، وسُدِّدت فيما قُلت، والحمد لله أوَّلًا وآخرًا.

المبحث الأوَّل

ترجمة وليّ الدِّين الملَّويّ[1]

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شرف[2]، العثمانيّ الدِّيباجيُّ[3]، الشَّافعي، وليُّ الدِّين أَبُـو عبد الله، المعروف بالمـَلَّويّ[4]، والمنفَلُوطي[5]، أو بابن المنفلوطي، وكان يُعْرَف أيضًا بخطيب مَلّوي، ثمَّ عَرَّف نفسَه بالملّوي[6].

المطلب الثاني: ولادته ونشأته وأعماله:

ولد وليُّ الدِّين الملّوي سنة (٧١٣هـ)، ونشأ بدمشق على خير ودِيَانة وصَلاح[7]، وسمع من جماعة وتفقَّه وحَـدَّث، وبرع في فنون العلم، ثمَّ توجَّه إلى بلاد الرُّوم وأخذ عن جماعة من عُلمَائها وعاد، ثم طُلِب إلى الدّيار المصريَّة في أيام النّاصر حسن بن محمد (من ملوك الدولة القلاوونيَّة بمصر والشَّام ت٧٦٢هـ)، ودَرَّس الفقه بالمدرسة التي أنشأها الناصر، ودرَّس التفسير بالمنصوريّة وغيرها، وأفتى ووعظ وذَكَّـر، وحدَّث وأشغل، وجمع وألَّف، وانتفع النَّاس به، ولم يخلف في معناه مثله[8].

ولوالده أبي العبَّاس أحْمد بن إبْرَاهِيم جمال الدّين الملَّوي (ت٧٣٠هـ) الفقيه العالم، الصالح المبارك، نزيل دمشق، أثـرٌ كبير في تكوين شخصية ولده، فقد أخذ عنه وتفقه به وبغيره[9].

المطلب الثَّالث: أخلاقه ومكانته العِلْميَّة:

كان وليُّ الدِّين الملَّويّ عالمًا مُتفنِّنًا، فاضلًا، صالحًا، خَيِّرًا، ورعًا، زاهدًا، عابدًا، قليلَ التَّكلُّف، كثير الإنصاف ولو على نفسه، خبيرًا بدينه ودنياه، متواضعًا، مُطّرحًا لنفسه[10].

عُرِف بالتَّفسير، والفقه، والأُصول، والنَّحو، والقضاء، والتَّصوّف، وكان من أعيان فقهاء الدِّيار المصريَّة[١١]، وكانت له اليد الطُّولى في الفقه، والأَصْلَين[١٢]، والتَّصوّف، والمنطق[١٣].

قال وليُّ الدِّين ابن العِرَاقي (أحمد بن عبد الرحيم ت٨٢٦هـ)[١٤]: "برع في التَّفسير، والفقه، والأصول، والتَّصوّف، وكان مُتَمكِّنًا من هذه العلوم، قادرًا على التَّصرُّف فيها، فصيحًا، حُلْوَ العِبَارة، حَسَنَ الوَعظ، بَصْرِيّ[١٥] زمانه، كثيرَ العِبَادة والتّألُّه، جمع وألَّف، وشَغَل وأفتى، وَوَعظ وذَكّر، وانتفع النّاسُ به، ولم يخلف في معناه مثلَه"[١٦].

وقال الحافظ شهاب الدِّين ابن حِجِّي (أحمد ابن حِجّي ت٨١٦هـ)[١٧]: "كان من ألطف النَّاس وأظرفهم، شكلًا وهيئة، يجيد التَّدريس وله تآليف بديعة التَّرتيب، وكان يُصَغِّر عِمَّتَه ويَتَصَوَّف"[١٨].

ومن كلامه الرَّشيق لَمَّا سُئل: أيُّهما أفضل: الإمامُ أمِ المؤذِّن؟

فقال: ليس المُنادِي كالمُناجي[١٩].

المطلب الرَّابع: تَصَوُّفُه:

اتَّفقت كلمةُ كلِّ من ترجم لوليّ الدّين الملَّوي على تصوّفه علمًا وسلوكًا، ولم يُعِب عليه أحدٌ من ذلك شيئًا، بل كان موضعَ ثناء ومَدح.

إلَّا أنَّ شيخ الإسلام ابن حجر ـ رحمه الله ـ مع ثنائه الكبير على الملّوي في كتابيه إنباء الغمر والدُّرر الكامنة، نجده يقول عنه: "صنَّف عِدَّة تواليف صغار، فيها مُشكلات من تصوُّف الاتحادِيَّة"[٢٠]، وقال كذلك: "كان يميل إلى مقالة ابن العربي ويُدندن حولها في تواليفه ويُحمحِم، ولا يُكاد يُفصح"[٢١]، وهذه تهمة خطيرة تطعَن في عقيدة الرَّجل وتصوّراته.

وما وقفتُ عليه من كلامه في كِتابَيْه: إفهامُ الأفهامِ في شرح عقيدة العز بن عبد السلام، وتفسير سورة الكوثر وما يليها، ينفي هذه التهمة عنه أشدَّ النَّفي، بل إنَّنا نجده يؤكِّد بصريح العبارة فسادَ اعتقاد الحلوليَّة والاتِّحادِيَّة، وأن ذلك من عقائد النَّصرانيَّة وفساد تصوّرات الملاحدة، وسأنقل من كلامه ما يدفع عنه هذه التُّهمة، بل نراه يهاجم جهلة المتصوفة، والتصوّف الفلسفيّ، ويؤكد أنهم أبعد ما يكونون عن التَّصوّف الحقّ، فيقول: "وقد تَبِعَ الملاحِدةَ الاتِّحَادِيَّةَ[٢٢] في عَظِيمَتهم بعضُ جَهَلةِ مُتَصَوِّفَةِ فَلْسَفَةٍ بَتْرَى، فظَنَّ قومٌ أنَّ ذلك مذْهَب الصُّوفيَّة، وحاشَ السَّادةَ الكُبَرَاء من ذلك حَاشَاهم، وإنَّ الفَلْسَفة وما استَقَرَّ من قواعدها لَأَبْعَدُ شيءٍ عن ذلك أيضًا"، ثم يقول: "والاعتقادُ الحَقُّ البُرهَانِيّ الكَشْفِيّ: أنَّ الله تعالى مُتَوَحِّدٌ مُتَمَيِّزٌ بذاته عن سائر الذَّوَات"[٢٣].

وقال: "نَفيُ الحُلُولِ، فالعَلِيُّ الكبيرُ ـ سبحانه ـ لا يَحِلُّ حَادِثًا، ولا يَحِلُّهُ حَادِثٌ، لا كَمَا ادَّعَتْه مُشَبِّهَة اليهود، وتبعهم فيه الكَرَّامِيَّةُ الأَغْمَارُ وبعضُ الظَّاهِرية المغْرُورين، ولا كَمَا تَوَهَّمَه بعضُ سَالِكِي دَرْبِ الفَنَاءِ بِلَا دَلِيل"[٢٤]، ثم يقول: "وما أسْلَمَ السَّلَفِيَّ من جميع المعَاطِب لسلوكه الدَّرب السُّلطَانيّ، كما قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]. وما نُقِل من مُوْهِم حلولِ الحَوادث أو فيها ونحوه عنِ السَّلف الصَّالح والأخبار النَّبويَّة، فالمراد به من غير شَكٍّ ولا رَيبٍ ما في آيات الكتاب العزيز، الذي ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ

مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[آل عمران: ٧] تُرَدُّ إلى المحْكَمَات بِحُسْن فَهْمِ الرَّاسِخين في العلم وتفهيمهم"، ثم قال: "والاعتقاد الحَقُّ البُرهَانيُّ الكَشْفِيُّ: أنَّ الله تعالى مُتَوحِّدٌ مُتَفَرِّد بذاته عن سائر الذَّوات، مُتَقَدِّسٌ عن انفعال أُوْلي المزَاجَات، وعن مماسَّة الجِسْمَانِيَّات، مُتَكَبِّرٌ عَزِيزٌ عن تَبَعِيَّته لها في الانقسام والحركات، والسَّكنات والانتقالات، ونحو ذلك"[٢٥].

وقال: "فكثيرٌ منّ النَّاس وقع له عند ذلك غلطٌ من وجهين، أحدهما: توهُّمه أنَّ ذاك هو الذَّات الأقدس، أو أنَّ ما غمره من غواشي أنوار الحقّ وفاض عليه هو نفس نورِ الحقّ، أو أنَّ ما لَبِسَه عند ذلك من سَنيّ الصِّفات هو نفسُ صفات الحَقِّ تعالى، ولا يُخَلِّصُه من هذه الورطة الاتحاديَّة النَّصرانيَّة إلَّا بذكر قوله الحقّ: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ [الإخلاص: ٣] مُتحقِّقًا أنَّ صفات الحقّ لا تزايله لا حسًا ولا حُكمًا، وأنَّ نوره لا تحمله السموات والأرض ومن فيهنَّ"[٢٦].

فأين كلامه ممَّا نُسِبَ إليه من مُشكلات الحلوليّة والاتحاديّة؟! والرَّجل يُحكَم عليه بكلامه لا بما قِيل عنه، وكلامُه يُبَـرِّئُه ممَّا نُسِبَ إليه، والله أعلم.

المطلب الخامس: شيوخه:

سمع وليّ الدِّين الملَّوي من جماعة، وتفقَّه بهم، وبرع في فنون العلم، وممّن أخذ عنهم من الشيوخ[٢٧]:

والده أبو العبَّاس أحْمد بن إبْرَاهِيم جمال الدّين الملَّوي (ت٧٣٠هـ)[٢٨].

وأبو العبَّاس شهاب الدنيا أحمد بن أبي طالب الصالحي الحَجَّار ابن الشحنة (ت٧٣٠هـ)[٢٩].

وأبو محمد شرف الدين، عبد الله بن الحسن ابن عبد الله المقدسي الحنبلي (ت٧٣٢هـ)[٣٠].

ونور الدِّين فرج بن محمد بن أحمد بن أبي الفرج الأردبّيلي، نزيل دمشق (ت٧٤٩هـ)[٣١].

وفرج بن عبد الله المغربي الصَّفَدِي الزَّاهِد الْفَقِيه الشَّافِعِي نزيل صفد (ت٧٥١هـ)[٣٢].

وأسماء بنت محمد بن سالم بن أبي المواهب ابن صَصْرَى (ت٧٣٣هـ)[٣٣]، وغيرهم.

ثمَّ تجرّد إلى الـرُّوم وأخذ عن جماعة من علمائها[٣٤].

قال العثمانيُّ الصَّفديّ (محمد بن عبد الرحمن ت بعد ٧٨٠هـ): رأيته شابًا في حلقة نور الدِّين الأردبّيلي، حسنَ الملبوس، مُشرقَ الهيئة[٣٥].

المطلب السَّادس: تلامذته:

كان لمكانة وليّ الدِّين الملّويّ العِلميَّة وحُسن سيرته أثرٌ في كَثرة من أفاد منه، ونهل من علمه، ومن هؤلاء:

الكمال النُّويريّ أبو الفضل محمد بن أحمد العقيليّ الشَّافعيّ قاضي مكة (ت٧٨٦هـ)[٣٦].

سُلَيْمَان بن يُوسُف بن مُفْلِح بن أبي الْوَفَاء الياسوفيّ صدر الدّين الشَّافِعِي (ت٧٨٩هـ)[٣٧].

خليل بن فرح بن سعيد الإسرائيليّ القدسيّ ثمَّ الدِّمشقيّ القلعي الشافعي(ت٧٨٩هـ)[٣٨].

عماد الدّين إسماعيل بن أحمد البارينيّ الحلبيّ الفقيه الشَّافعي (ت٧٩٨هـ)[٣٩].

برهان الدّين أبو محمد إبراهيم بن موسى الأبناسيّ (ت٨٠١هـ)[٤٠].

القاضي شرف الدِّين أبو البركات موسى ابن محمد الأنصاري الشافعي قاضي حلب (ت٨٠٣هـ)[٤١].

أحمد بن عبد الله بن الحسن شهاب الدين البوصيريّ المصريّ الشّافعيّ (ت٨٠٥هـ)[٤٢].

محمّد بن عبد الله بن أبي بكر الأنصاريّ القليوبيّ ثمّ القاهريّ الشّافعيّ (ت٨١٢هـ)[٤٣].

عليّ بن أحمد بن أبي بكر الأدميّ المصريّ الشافعيّ (ت٨١٣هـ)[٤٤].

مساعد بن ساري بن مسعود الهوّاريّ المصريّ الشافعيّ (ت٨١٩هـ)[٤٥].

محمد بن عليّ بن محمد المشهديّ شمس الدِّين ابن القطّان (ت٨١٩هـ)[٤٦].

محمد بن خليل بن هلال، عز الدين الحاضري الحلبي الحنفي (ت٨٢٤هـ)[٤٧].

المطلب السَّابع: مُؤلَّفاته:

وصف ابنُ حَجَر مُؤلَّفات الملَّويّ بأنَّها بديعة التَّرتيب، فقال: "وله تواليف بديعة التَّرتيب"[٤٨]، وقد وقفت بعد التَّقصِّي والتَّمحيص على عدد كبير من تآليفه، من ذلك[٤٩]:

١ـ أربح مكتسب من الأسواق يومَ التَّلاق[٥٠].

٢ـ إرشاد الطَّائِف إِلَى علم اللَّطائف[٥١].

٣ـ إعراب أُمّ الكِتَاب[٥٢].

٤ـ إفهام الأفهام فِي معاني عقيدة عِزّ الدِّين بن عبد السَّلام[٥٣].

٥ـ الأمالي في الأُصول[٥٤].

٦ـ بيان الأرضى من العِزلة وعِلاج المرضى[٥٥].

٧ـ بيان الأهدى من التَّعفُّف وقبول المُهْدَى[٥٦].

٨ـ البيان الجميل لمحاسن القُرآن الجليل[٥٧].

٩ـ بيان شرف العِلم وفضله[٥٨].

١٠ـ بيان ما يصنعه اللّبيب إذا فقد الطَّبيب[٥٩].

١١ـ تبليغ الأماني في حسن ترتيب المباني[٦٠].

١٢ـ تبيين معادن المعاني "لمن إلى تبيينها دعاني"[٦١].

١٣ـ تفسيرُ سورة الكوثر وما يليها من السُّور[٦٢].

١٤ـ تفقيه البشر في لمح البصر بالإفادة السَّريعة لمهمَّات الشَّريعة[٦٣].

١٥ـ جواز الاجتماع على ذكر الله[٦٤].

١٦ـ جواهر الكنوز[٦٥].

١٧ـ حدائق الحقائق[٦٦].

١٨ـ حِصْنُ النُّفوس عند سؤال الملك العبوس[٦٧].

١٩ـ حلُّ الحِبَاء لارْتِفَاع (لاسترفاع) الوباء[٦٨].

٢٠ـ رسائل الوسائل[٦٩].

٢١ـ الرِّسالة الكَاشِفة عن أسباب السَّعادة من التُّقَى والزَّهادة[٧٠].

٢٢ـ رِعَة البَارع عن بَلْتَعة البَازع[٧١].

٢٣ـ رموز الكنوز[٧٢].

٢٤ـ رياضة النفوس[٧٣].

٢٥ـ سيّدةُ آي القُرآن وأعظمها[٧٤].

٢٦ـ شرح الأربعين النَّوويَّة[٧٥].

٢٧ـ شرح الأسماء الحسنى[٧٦].

٢٨ـ شفاء الصُّدور من زُخْرف الجَبْر والقَدَر

الغَرُور[٧٧].

٢٩ـ طريق السَّلامة ونيل الكرامة[٧٨].

٣٠ـ عِصْمَة الانسان من لحن اللِّسَان[٧٩].

٣١ـ فائدة في الرد على الأديان والفرق من آيات سورة الإخلاص[٨٠].

٣٢ـ فوائد ذكر فوائد الأعمال[٨١].

٣٣ـ قواعد الإسلام (القواعد)[٨٢].

٣٤ـ لطائف علوم آية الخلائق[٨٣].

٣٥ـ مَا فِي اللَّيْل من عَظِيم النّيل[٨٤].

٣٦ـ مَرُّ النَّسيم على الرَّوض البسيم[٨٥].

٣٧ـ مراشد القاصد إلى أسنى المقاصد[٨٦].

٣٨ـ مريح القلوب من الكروب[٨٧].

٣٩ـ معنى كلمة الشَّهَادَة والفكر فِيمَا يُثمر لمن شرح الله بِهِ صَدرَه من النُّور وَالْعِبَادَة، أو شرح كلمتي الشَّهادة والفكر فيما يُثمر لمن شرح الله به صدره من النُّور والعبادة[٨٨]، أو أبواب السعادة في شرح كلمة الشهادة[٨٩].

٤٠ـ مفتاح الفرج[٩٠].

٤١ـ مقدمة في النَّحو[٩١].

٤٢ـ الـمُهِمَّات الجامعة للتَّنبيهَات النَّافِعَة[٩٢].

٤٣ـ هداية سبيل الرَّشَاد في أقصر الآمَاد[٩٣].

٤٤ـ الوجوهُ الجميلة في بيان أنَّ أمَّ القُرآن حاويةٌ لمعانيه الجليلة[٩٤].

المطلب الثَّامن: أثَرُه بمن بعدَه:

برز أثر وليّ الدِّين الملّوي في كثير من نُقول مَن بعده عنه، ومن أقدم مَن نقل عنه تلميذُه بَدرُ الدِّين الزَّركشي (محمد بن بهادر، ت٧٩٤هـ) في كتابه: البرهان في علوم القرآن، ولكن لم يُصرّح باسم شيخه، ووصفه بالتَّحقيق[٩٥]، فقال: "قال بعض مشايخنا الـمُحقِّقين: قد وَهِمَ مَنْ قَالَ: لا يُطلَب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنَّها على حَسَبُ الْوَقَائِعِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ: أَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ تَنْزِيلًا، وَعَلَى حَسَبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا، فَالْمُصْحَفُ كَالصُّحُفِ الْكَرِيمَةِ، عَلَى وَفْقِ مَا فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ مُرَتَّبَةً سُوَرُهُ كُلُّهَا وَآيَاتُهُ بِالتَّوْقِيفِ، وَحَافِظُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لَوِ اسْتُفْتِيَ فِي أَحْكَامٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَوْ نَاظَرَ فِيهَا أَوْ أَمْلَاهَا لَذَكَرَ آيَةَ كُلِّ حُكْمٍ عَلَى مَا سُئِلَ، وَإِذَا رَجَعَ إِلَى التِّلَاوَةِ لَمْ يَتْلُ كَمَا أَفْتَى وَلَا كَمَا نَزَلَ مُفَرَّقًا، بَلْ كَمَا أُنْزِلَ جُمْلَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ، وَمِنَ الْمُعْجِزِ الْبَيِّنِ أُسْلُوبُهُ وَنَظْمُهُ الْبَاهِرُ فَإِنَّهُ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]"، وقَالَ: "وَالَّذِي يَنْبَغِي فِي كُلِّ آيَةٍ أَنْ يُبْحَثَ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ عَنْ كَوْنِهَا مُكَمِّلَةً لِمَا قَبْلَهَا، أَوْ مُسْتَقِلَّةً، ثُمَّ الْمُسْتَقِلَّةُ مَا وَجْهُ مُنَاسَبَتِهَا لِمَا قَبْلَهَا؟ فَفِي ذَلِكَ عِلْمٌ جَمٌّ، وَهَكَذَا فِي السُّوَرِ يُطْلَبُ وَجْهُ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلَهَا وَمَا سِيقَتْ لَهُ"[٩٦].

ونقل عنه أبو العباس الأقفهسي (ت٨٠٨هـ) في آداب الأكل، فقال: "إذا كان بالإنسان بَخَرٌ مُحْكَم فلا شَكَّ أنَّ رائحة فَمِه تزيد عن رائحة فَمِ آكلِ الثُّوم والبصل، وهذا مع ظهوره، كان الشيخ وليُّ الدِّين الملَّوي ـ رحمه الله ـ يُفتي به ويمنعه من المسجد"[٩٧].

ونقل عنه ابن حجر العسقلّانيّ (ت٨٥٢هـ) في الفتح، فقال: "ثُمَّ وَجَدْتُ مَعْنَى هَذَا الِاحْتِمَالِ

لِلشَّيْخِ وَلِيِّ الدِّينِ الْمَلَّوِيِّ، وَقَوَّاهُ بِمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ، فَحَمِدْتُ اللَّهَ عَلَى التَّوْفِيقِ لِذَلِكَ"[٩٨].

وفي موضع آخر قال: "وَفِي كَلَامِ الشَّيْخِ الْمَلَّوِيِّ أَنَّ الْعَقْدَ يَقَعُ عَلَى خِزَانَةِ الْإِلَهِيَّاتِ مِنَ الْحَافِظَةِ، وَهِيَ الْكَنْزُ الْمُحَصَّلُ مِنَ الْقُوَى، وَمِنْهَا يَتَنَاوَلُ الْقَلْبُ مَا يُرِيدُ التَّذَكُّرَ بِهِ"[٩٩].

ونقل عنه ابن أمير حاج الحنفي (ت٨٧٩هـ) في التَّقرير والتَّحبير على تحرير الكمال بن الهمام (ت٨٦١هـ)، ووصفه بالمحقِّق مع استحسان شيخه الكمال لِمَا نقله عنه أخيرًا، فقال: "المراد بالمعاني ما يقابل العينيَّة الخارجيَّة، فيخرج عن حَدِّ العِلم إدراكُ الحواس الظاهرة، فإنَّها تُفيد تمييزًا في الأمور العينيَّة، ومنهم من قيَّد المعاني بالكليَّة ميلًا إلى تخصيص العِلم بالكلِّيَّات والمعرفةِ بالجزئيَّات، هذا، وقد تعقَّب المحقِّق الشيخُ وليُّ الدِّين الملَّويُّ هذا التَّعريف بأنَّه تفسير القوَّة العلميَّة، وإلَّا فهم متَّفقون على أنَّ العِلم إمَّا تصوُّر وإمَّا تصديق ضروريٌّ ومطلوب، وليس ذلك نفس الصِّفة بل أثرها، فعرضته على شيخنا المصنف ـ رحمه الله ـ فدافعه بعض المدافعة ثمَّ استحسنه وألحقه بالكتاب"[١٠٠].

وأكثرُ مَن نقل عنه هو برهانُ الدِّين البِقَاعي (ت٨٨٥هـ) في كتابه نظم الدرر، وقد ذكر الكتاب المنقول منه في موضعين، وهو كتاب حصن النفوس ٤: ٤٥٢، ١٥: ٣٦٨، أما بقية نقوله عنه فلم يذكر الكتاب المنقول منه: ١١: ٥٢٦، ٢٠: ١٥٢ـ ١٨٧ـ ١٩٥ـ ٢١٥ـ ٢٦٠ـ ٢٩٧ـ ٣١٧ـ ٣٤٣ ـ ٤٥٤، ٢١: ٥١ ـ ١٥٠ـ ١٦١ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٧ ـ ٤٠٠، ٢٢: ٦ ـ ٧٤ ـ ١٦١ ـ ١٩٤ـ ١٩٩ ـ ٤٠٨ ـ ٤٢٥. واقتصرت على ذكر الأجزاء والصفحات لعدم الإطالة.

وكذلك نقل عنه في كتابه مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور في موضعين، الأول منهما من كتابه: تبيين معادن المعاني، فقال: "وقال الإمام وليّ الدِّين محمد بن أحمد الملَّوي في كتاب "تبيين معادن المعاني": قال بعض الصدِّيقين: فالحَدُّ والمطْلِع يَدُقُّ أمرُهما ويغمض، ويختصُّ بدركهما الأكابر العارفون، وقد يضيق عن كثير منه نطاق النُّطق، والظَّهر سهلٌ لكلِّ وارد، وفيه يتكلَّم علماء الرُّسوم، وأمَّا البَطن فيَكاد يختصُّ به أرباب القلوب وعلماء الحقائق، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠، الأعراف: ١٦٠]، ثمَّ قال: "إنَّ مطلَعَ كلِّ حرفٍ هو المأتَى الذي يُؤتَى منه"[١٠١].

ونقل عنه أيضًا من تفسيره لسورة النصر فقال[١٠٢]: "قال الإمام وليُّ الله الملّويّ: وفي الصَّحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثِر من قول "سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه"، قال: أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ٢ – ٣][١٠٣].

ونقل عنه يحيى العامري الحرضي (ت٨٩٣هـ) في كتابه: "بهجة المحافل وبُغية الأماثل"، فقال: "عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكِر عند رسول الله صلى الله عليه

وسلم رجلٌ نام ليله حتى أصبح، فقال: "ذلك بال الشَّيطان في أُذنيه - أو قال في أذنه"[١٠٤]، وليحذر كلَّ الحذر أيضًا مَن تَرَكَ تهجُّدًا اعتاده، والإعراض عنه بالكليّة، فيكون أسوأ حالًا ممّن لم يتهجَّد رأسًا، وقدِ استعاذ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ[١٠٥] في ما بعد، وهو على حقيقته، أو كناية عن سَدِّ الشَّيطان أُذُن الذي ينام عن الصَّلاة حتى لا يسمع الذِكْرَ، أو أنَّ الشَّيطان مَلأ سمعَه بالأباطيل فحَجَبَه عن الذِكْر، أو المراد: أنَّ الشَّيطان ازدراه واستخفَّ به حتى اتَّخذه كالكَنِيف المعَدِّ للبول، أقوال، وإنَّما خَصَّ الأذُن بالذِّكْر مع أنَّ العين أنسبُ بالنَّوم، إشارة إلى ثقل النَّوم، فإن المسامع موارد الانتباه، وخصّ البول؛ لأنه أسهل مُرَحَّلًا في التجاويف، وأسرع نفوذًا في العروق، فَيُورث الكسل في جميع الأعضاء، فيحصل التَّثبيط عن القيام للصَّلاة، قاله الطبي، "الشيطان" هو حقيقة أو كناية عن تثبيطه قولان، "قافية" بالقاف قبل الفاء "رأس أحدكم"؛ أي: مُؤَخَّره، إذا "هو نام" هو على عمومه أو خصوصه بمن نام قبل صلاة العشاء، قاله الملَّوي وابنُ حجر"[١٠٦].

وذكر شمس الدِّين السَّخاوي (ت٩٠٢هـ) في ترجمة ابن سلطان ناصر الدِّين أبي الفيض مُحَمَّد ابن عبد الرَّحْمَن بن عِيسَى الغزي ثمَّ القاهري، الشَّافِعِي الصُّوفِي القادري (ت٨٥٣هـ)، فقال: "لَهُ تأليف ومحبَّة فِي تصانيف الوليّ الملَّويّ واهتمام بتحصيلها"[١٠٧].

وأمَّا جلال الدِّين السيوطيّ (ت٩١١هـ) فنقل عنه قوله في المناسبات بين الآيات والسور ما نقله عنه تلميذه الزركشيّ، فقال: "قَالَ الشَّيْخُ وَلِيُّ الدِّينِ الْمَلَّوِيُّ: قَدْ وَهِمَ مَنْ قَالَ لَا يُطْلَبُ لِلْآيِ الْكَرِيمَةِ مُنَاسَبَةٌ؛ لِأَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ الْمُفَرَّقَةِ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ أَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ تَنْزِيلًا وَعَلَى حَسَبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا وَتَأْصِيلًا..."[١٠٨].

وفي التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي في شرحه لبعض مفردات حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ.."[١٠٩]، قال: "قافية رأس أحدكم" أي: مؤخره، "إذا هو نام" يُحتَمَل أن يكون على عمومه، وأن يُخصّ بمن نام قبل صلاة العشاء، قالُه الملوي وابن حجر"[١١٠].

ونقل عنه عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ) في شرحه للجامع الصغير، فقال: "قال الملَّوي: اليهوديُّ أصله من آمن بموسى عليه الصَّلاة والسَّلام والتزم أحكام التَّوراة، والنَّصرانيُّ من آمن بعيسى عليه الصَّلاة والسَّلام والتزم أحكام الإنجيل، ثمَّ صار اليهوديُّ من كَفَر بما أُنزل بعد موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، والنَّصارَى من كفر بما أنزل بعد عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام"[١١١].

وفي كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري للجكنيّ الشَّنقيطيّ (ت١٣٥٤هـ) نقل ما ذكره ابن حجر في فتح الباري عن الملّوي، فقال: "في كلام الشَّيخ الملَّويّ أنَّ العَقْد يقع على خزانة الإلهيَّات من الحافظة، وهي الكنز المحصَّل من القُوى، ومنها يتناول القلب ما يريد التَّذَكُّر به"[١١٢].

وما من أحد كتب في علم المناسبات من قديم

ولي الدين الملّوي وعلم المناسبات بين السور والآيات

أو معاصر إلَّا ونقل مقولة وليّ الدِّين الملّوي فيها، والإشارة إليهم تغني عن ذكرهم لكثرتهم.

المطلب التَّاسع: وفاته:

توفي وليُّ الدِّين الملَّويُّ ـ رحمة الله عليه ـ في القاهرة ليلة الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأوّل[١١٣] سنة (٧٧٤هـ)، عن بضع وستين سَنَة.

وكان الجمع في جنازته حافلًا مُتوفِّرًا، يُقَال: بلغوا ثلاثين ألفًا[١١٤]، وقد كانت ميتته حسنة، وذُكِرَ أنَّه لَمَّا حضرته الوفاةُ قال: هؤلاء ملائكة ربّي قد حضروا وبشّروني بقصر في الجنّة، وشَرَع يُردِّد: السَّلام عليكم، ثمَّ قال: انزعوا ثيابي عنّي فقد جاؤوا بِحُللٍ من الجنّة، وظهر عليه السّرور، ومات في الحال[١١٥].

وقد دُفِن بتُربة الأمير ناصر الدِّين بن آقبغا آص، وكانت جنازته مشهودة حافلة، قال بعضهم: حُزِرَ[١١٦] الجمعُ الذين صلُّوا عليه بثلاثين ألفًا[١١٧].

****

المبحث الثَّاني

عِلم المناسبات وعناية وليّ الدِّين الملَّويّ به

المطلب الأول: تعريف علم المناسبات:

المناسبة في اللُّغة: من النَّسب، وهو القَرابة، ونَسيْبُه: أي قريبه، والنَّسيبُ: هو المناسب، وتقول: ليس بينهما مُناسبة؛ أي: مُشاكلة[١١٨].

وقال ابن فارس (أحمد أبو الحسين ت٣٩٥هـ): "النُّون والسِّين والباء كلمة واحدة، قياسها: اتصال شيء بشيء منه، سُمِّي لاتِّصاله وللاتّصال به"[١١٩].

فالمناسبة: مُقاربة، ومُشاكلة، ومُشابهة، واتِّصال، وهي رابطة بين شيئين بأيّ وجه من وجوه الارتباط.

وقد تحدَّث أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله ت بعد ٣٩٥هـ) عن بعض أوجه التَّناسب وقيمتها البيانيَّة في اللُّغة، فقال: " وتَخَيُّر الألفاظ وإبدالُ بعضِها من بعض يُوجب التئامَ الكلام، وهو من أحسن نُعوتِه وأزينِ صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظومًا من حروف سهلةِ المخارج كان أحسنَ له وأدعى للقلوب إليه، وإنِ اتَّفق له أن يكون مَوقعُه في الإيجاز والإطناب أليقَ بموقعه وأحقَّ بالمقام والحال، كان جامعًا للحُسْن، بارعًا في الفضل، وإن بَلَغ مع ذلك أن تكون مواردُه تُنبيكَ عن مصادره، وأولُه يكشِفُ قِناعَ آخره، كان قد جمع نهاية الحُسن، وبلغ أعلى مراتب التَّمام"[١٢٠].

وقال أيضًا: "وحُسنُ التَّأليف يزيد المعنى وُضوحًا وشرحًا...، وحُسنُ الرَّصف أن تُوضَع الألفاظ في مواضعها، وتُمَكَّنَ في أماكنها...، وتُضَمَّ كلُّ لفظةٍ منها إلى شَكلها، وتُضاف إلى لِفْقِها[١٢١]"[١٢٢].

وممَّا سبق يمكن أن يُعرَّف عِلمُ المناسبات بأنَّه: عِلم تُعرَف منه عِللُ ترتيب أجزاء الشَّيء المطلوبِ معرفةُ مناسبتِه؛ ليتمَّ الاطِّلاعُ من خلاله على الرُّتبة التي يَستحقُّها الجزءُ بسبب ما له بما وراءَه وما أمامه منَ الارتباط والتَّعلق الذي هو كَلحْمَة النَّسب[١٢٣].

ـ وأمَّا المناسبة في كتاب الله تعالى: فتُطلَق على وجوه متعدِّدة منَ الارتباط القائم بين السُّور

والآيات، كارتباط السُّورة بما قبلَها وما بعدها، وفقًا لترتيب التِّلاوة في المصحف العُثمانيّ، وارتباطِ مطالعِ السُّور بخواتمها، وارتباطِ كلِّ آية بما قبلَها وما بعدها[١٢٤].

وعليه فعِلم المناسبات القُرآني: هو علم يُعْرَف به ارتباطُ آي القُرآن بعضِها ببعض، حتَّى تكون كالكلمة الواحدة، مُتَّسِقَةَ المعاني، مُنتَظِمَةَ المباني[١٢٥]، وارتباطُ السُّور بما قبلها وما بعدَها وما سِيقَت له[١٢٦].

ويُعرّفه بُرهان الدِّين البِقاعي (إبراهيم بن عمر ت ٨٨٥هـ) بأنَّه: "عِلم تُعرف منه عِللُ ترتيب أجزائه، وهو سِرُّ البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مُطابقة المعاني لِمَا اقتضاه الحال"[١٢٧].

والمناسبة بين أجزاء الكلام أمرٌ تتقبَّلُه العقول السليمة، بل تستحْسِنُه وتسعى إليه، وفي هذا السياق نجد الإمـام الزَّركشي (محمد بن عبد الله بن بُـهـادِر ت٧٩٤هـ) يقول: "لهذا قيل: المناسبة أمرٌ معقول، إذا عُرِض على العقول تلقَّتهُ بالقَبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومَرجِعُها إلى معنى ما رابطٍ بينهما: عامّ أو خاصّ، عقليّ أو حِسيّ أو خياليّ، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التَّلازم الذِّهنيّ، كالسَّبب والمسبَّب، والعِلَّة والمعلول، والنَّظيرين والضِّدَّين، ونحوه. أو التَّلازم الخارجيّ، كالـمُرَتَّب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"[١٢٨].

وعِلْم المناسبات: "من العلوم التي تحتاج إلى بذل الجهد في التَّتبُّع والاستقصاء اللُّغوي لدلالات الألفاظ القرآنيّة، والإحاطة بأسباب النُّزول، والتَّوسُّع في أفانين عِلم البلاغة والأساليب البيانيَّة، وفوقَ كلِّ ذلك ينبغي أن يكون الباحث ذا حِسٍّ مُرهف، ونفسٍ شفافة، وذكاء لَـمَّاح؛ ليُدرك سِرَّ هذا التَّرتيب للآيات التي وُضِعت بجوار بعضها، وقد أَكَّدَتِ الأخبارُ الصَّحيحة عن المعصوم أنَّ الفاصل الزَّمني بينها قد يتجاوز السَّنوات العديدة أحيانًا"[١٢٩].

وقد يُطلَق حديثًا مصطلح **الوحدة الموضوعيّة في القرآن** للتَّعبير عن المناسبات بين السُّور والآيات؛ لأنَّ التَّناسب القائم بين آيات السُّور، وبين مطالعها وخواتمها، وبين السُّور ككلٍّ، يؤدِّي إلى ترابط قائم بينها، وإن اختلفت مقاصدُها وألفاظُها، حتى يغدوَ القرآن كالكلمة الواحدة[١٣٠].

المطلب الثَّاني: رأيه في علم المناسبات:

يُثَنِّع وليُّ الدِّين الملَّويّ على أولئك الذين يُنكرون المناسبةَ بين الآيات القرآنيّة، مُتَعلِّلين بنزول الآيـات في مناسبات مختلفة وأزمـان متباعدة، فيقول: "قد وَهِمَ من قال: لا يُطلَب للآية الكريمة مُناسبة؛ لأنَّها على حسب الوقائع المتفرِّقة"[١٣١].

ثمَّ يؤكِّد على أنَّ نزول الآيات والسور كان على حسب الوقائع والأحداث، إلَّا أنَّ ترتيبها في الكتاب الكريم كان على وفق الحكمة الرَّبانيَّة، ويَرى أنَّ ترتيب السُّور القرآنيَّة توقيفيٌّ كما هو الرَّأي الرَّاجِح عند جملة من العلماء[١٣٢]، وأنَّ هذا التَّرتيب والنَّظْم جانب من جوانب الإعجاز في كتاب الله تعالى، فيقول: "وفَصْلُ الخِطاب: أنَّها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحِكمة ترتيبًا وتأصيلًا، فالمصحف كالصُّحف الكريمة على وفق اللَّوح المحفوظ، مُرتبةٌ سُورُه كلُّها وآياتُه بالتَّوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العِزَّة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر"[١٣٣].

المطلب الثَّالث: المنهج الذي رسمه الملَّويّ للتَّعرُّف على المناسبات بين السور والآيات:

وقد أرشد وليُّ الدِّين الملّويّ النَّاظرين في كتاب الله تعالى إلى الطَّريقة المثلى لمعرفة المناسبة بين الآيات، وكذلك السُّور، وأخبر بأنَّ التَّوصُّل إلى معرفة هذه المناسبات يُورث صاحبَه علمًا عظيمًا، فقال: "والذي ينبغي في كلِّ آية أن يُبحَث أوَّلَ كلِّ شيء عن كونها مُكمّلةً لِمَا قبلها، أو مُستقلَّةً، ثمَّ المستقلةُ ما وجهُ مناسبتها لِمَا قبلَها؟ ففي ذلك عِلْم جَمٌّ، وهكذا في السُّور يُطلَب وجه اتِّصالها بما قبلَها وما سِيقت له"(١٣٤).

المطلب الرَّابع: مؤلَّفات الملّويّ التي اعتنى فيها بالمناسبات القرآنيَّة:

من خلال النظر في قائمة مؤلّفات الملَّويّ التي وقفت عليها أستطيع القول بأنَّ كتابه: "الوجوه الجميلة في بيان أنَّ أمّ القُرآن حاويةٌ لمعانيه الجليلة"، يؤكِّد على التناسب والارتباط القائم بين سورة الفاتحة وبقيَّة سُور القرآن الكريم، كما أنَّ كتابه: "البيان الجميل لمحاسن القرآن الجليل" لا يبعد أن يكون من هذا القبيل، ولم أقف على النسخ المخطوطة لهذين الكتابين.

وأما كتابه: "تفسير سورة الكوثر وما يليها من السُّور" فقد وقفت على نسخته المخطوطة، وفيها أمثلة كثيرة من حديثه عن المناسبات بين هذه السور وآياتها، وسأذكر في المطلب الآتي أمثلة من كلامه في بيان المناسبات بين هذه السور.

المطلب الخامس: أمثلة للمناسبات من تفسيره:

ففي تفسيره لسورة الكوثر بعد أن بيَّن بأنَّ الكوثر هو لفظ مُشترك بين صِفةٍ وعَلَم، أمَّا الصِّفَة: فهي الخير الكثير، وأمَّا العَلَمُ: فهو نهر في الجنَّة، ثمَّ قال: "والله تعالى أعطى نبيَّه ﷺ النَّهرَ، وأعطاه الخير الكثير الكثير، فمن المفسرين من عَيَّنَ أمرًا، والتَّحقيقُ: شمول الكَوثر جميع ما ذُكِر"(١٣٥).

ثمَّ قال مُبيِّنًا المناسبة بين سورة الكوثر وما قبلها من السُّور: "وقد تَأَمَّل بعضُهم ما في السُّورة قبل سُورة الكَوثر فَرَآه كَوْثرًا، ولْنَقْتَصِر على بيان شيءٍ من ذلك:

فأوَّل ما نذكُرُه **سورةَ الضُّحَى**:

فَتَأَمُّل ما فيها من إقسام الله العظيم له أنَّ ربَّه تعالى ما وَدَّعَهُ وما قَلَاهُ، وأنَّ الآخرة خيرٌ له من الأُوْلى، وأنَّه سوف يُعْطِيه حتى يَرضى.

فالأوَّل: تسجيلٌ بحبِّه والرِّضَى عنه، وذلك قُرَّة العَين، **والثَّاني**: تَبيين عاقبتِهِ وخُلُودُ سَعَادَتِه، وذلك سَكَنُ النَّفْس، والثَّالث: تَكَفَّلَ بأن يَحْرِص على رِضَاه، وذلك شرف عظيم ومنزلة عالية، وسيادة باهرة.

ثمَّ في تذكيره ﷺ بإيوائه يتيمًا، وهِدَايته وإغْنَائه لُطْفٌ عجيب، ونِدَاء بأنَّه في عِنَايةِ الله تعالى مِن أوَّل العُمُر إلى مُنتهاه، باعتبار بدنه ودِينه وعِيَاله، حَضَانَةً وأُسْتَاذِيَّةً وكَفَالة، وإن شِئْتَ قلتَ: رِعَايةً وهِدَايةً وكِفَايةً، وهو الأَحْسَن.

ثمَّ في إخباره ﷺ بأنَّه نُهِيَ عن قَهْرِ اليتيم، ونَهْرِ السَّائل، وأُمِرَ بأن يُحَدِّثَ بِنِعْمَة ربِّه إظهارًا

لقِيَامه ﷺ بحقِّ الخَلق خَيرًا وإفادةً، وبحقِّ الحَق مَعْرِفةً وعِبَادَةً، وذلك حُلُول في أعالي ذِرْوَة الكَمَال والصَّلاح، إذ منَ المستحيل أن يُخْبِرَ بأنَّه مَأمورٌ منَ الرَّبِّ الأعظم، الموَاتِرِ عليه أفضلَ النِّعَم بأمورٍ صالحة فاضلة، ثمَّ يتظاهر بعِصْيَانه فيها[١٣٦].

وثَانِيْهِ ألم نشرح:

فتَأَمَّل ما فيها من شرح الله العظيم صدرَه ﷺ، وَوَضْعِه وِزْرَه، ورَفْعِه ذِكْرَه.

ثم قال: وما فيها من وَعْد اليُسر مع العُسر، والأمرِ وقتَ الفَرَاغ بالنَّصَب، والرَّغبةِ إلى ربِّه تعالى دُونَ كلِّ شيء، **فالأوَّل**: بسط من نفسه. والثَّاني: تشريف عظيم من حيث إن الله تعالى أَذِنَ له بذكره ومُنَاجاته، وخَتْمٌ بالأمر أن يَتَعَاطى ما فيه، وإبهاجٌ لقلبه وروحه. والثَّالث: تأْهِيله لِقُرْبه تعالى وتمجيده والاتِّصَال به، ونحو ذلك، فَمَا تَكِلُّ الأَلْسُن عن وصفه.

وثَالِثُهُ سورةُ التِّين:

فَتَأَمَّل ما فيها من تعظيم من عَظَّمَهُ من النَّاس، كما يُشْعِر به إنجاءُ من آمن به ﷺ وبما جاء به، واقتدى بأقواله وأعماله، وتَسْلِيمهم منَ الرَّدِّ أسفلَ سَافلين، وَوَعْدِهم المُؤَكَّد بلام الملك والاختصاص بأجر غير ممنون، وتعجيبُ الإنس والجِنِّ من مُكَذِّب له بعد ظهور صِدْقِه وَوُضُوحه الباهر، وانكشافه الفاتحِ عُيونًا عُمْيًا، وقُلوبًا غلفًا، وآذانًا صمًّا، فالأوَّل: تسجيلٌ بعِصْمَته في أقواله الصِّدقِ، وأعماله الصَّالحة. والثَّاني: تسجيل بقبول ما شَرَعَه، وارتِضَائه دِينًا مُؤَيِّدًا للسَّعَادة العُظْمَى، والثَّالث: شهادةٌ بأنَّه قُدْسُ الصُّبْح لدَى عَيْنَين

وذلك كَوْثَرٌ وحْـدَه، فكيف قد انضَاف إلى كوثر كمالِه وتكميله واجتبائه المشروحِ في ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ المضافِ إلى رِضوان الله العظيم عنه، وإرضائه وعنايته به، كما بُيِّنَ في الضُّحَى.

فما من وَسَط بين طرفين كهذا أصلًا، فالطَّرف الأوَّل: تعظيمًا له من الله تعالى، والطَّرف الثَّاني: تعظيمًا لمن عَظَّمَه، والوَسَطُ اصْطِفَاء عَلِيٍّ، فَلْيُتَأَمَّل.

ورَابِعُهُ سُورة العَلَق:

فَتَأَمَّل ما فيها من تعليم الرُّوْحِ الأَمين شَديدِ القِوى له ﷺ ما لم يكن يعلم، مُضِيفًا ذلك إلى الرَّب الأكرم، ومن إنبائه جواهرُ وحِكَمٌ نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦] ضِمن جوامع الكَلِم الوجيز المُعْجِز، ومن تعجيب الأُمَم كافةً نَهْيَ نَاهٍ له ﷺ عن إقباله على مولاه دُونَ مَن سِوَاه....."[١٣٧].

وهكذا تناول السور سورة سورة إلى أن وصل إلى سورة الكوثر، وهو في ذلك كله يبين التناسب والترابط بين هذه السور وبين سورة الكوثر.

ثمَّ بيَّن مُناسبة السُّور التي جاءت بعد سورة الكوثر، وما بينها من روابط، فقال: "**وسورة العصر**: المقسومة نصفين، أحدهما: مُسَجِّلٌ بِخُسْر مُشَاقِقه، والثَّاني: بِرِبْح مُوَافِقِهِ ﷺ، مُتوسِّطةٌ بين ثلاث سُورٍ قبلَها، دَالَّةٌ على فساد حال مُشَاقِقيه في الآخرة، مُصَدَّرة بتعظيم العَادِيَات به إلى مقاصده الصَّالحة، وبينَ ثلاثٍ بعدَها دَالَّةٌ على فساد حال مُشَاقِقيه في الدُّنيا، وبعدَ هذا الإيضاح إن شِئْتَ

ولِيّ الدّين الملّوي وعلم المناسبات بين السور والآيات

اكتفيت بما يلي سُورة الكَوثر، فَسُورة التَّبرئة[١٣٨] مَطْوِيَّة على أنَّه ﷺ ما وَدَّع رَبَّه وما قَلَى، وعلى أنَّه شَرَح له صَدْرَه ونُجِّيَ منَ الرَّدِّ أسفلَ سَافلين، عالمًا عاملًا بالحَقِّ، يتلو صُحفًا مُطهَّرة، تُحَدِّث الأرضُ بأخباره الصَّالحة، مُعترفًا لرَبِّه بما يليق بجلاله وكماله وإفضاله، ثقيلة مَوَازينه، مُتَيقِّظٌ لِمَا يعنيه، سالمٌ من كلِّ خُسْرٍ، مَصُونٌ من حال الهُمَزَة اللُّمَزة، فَتَأَمَّل جُمَلَ السُّورة يَلِحْ لك ذلك.

وسورة النَّصر: مُنطَوِيَة على أنَّه ﷺ فُتِحَ عليه بما حُمِيَ عن أصحاب الفيل، ولم يَخِبْ أَمَلُه بل ظَفِر بِمُراده من دخول النَّاس في دين الله أفواجًا، وعَصَمَهُ اللهُ من كُلِّ مُؤْذٍ حتى ألحقَه بالرَّفيق الأَعْلَى، مُسْتَغْرِقًا في إجلاله تعالى وحَمْدِه واستغفاره، عابدًا رَبَّ البيتِ الذي أطعمه قَلبًا وقالبًا من كلِّ جُوع، وآمَنَهُ حَالًا ومَآلًا من كُلِّ خَوف.

وسُورة أبي لهَب: مُنطويةٌ على تتبيب مَن كان سيدَ قريش، لَمَّا بارز تقطيعَ رَحِمٍ من كان مُرَاعى هو وقومُه من أجل رَحِمِه، ولهذا صَرَّح باسمه الشَّهير على وجه التَّكنِيَة الدَّالَّة على سِيَادَته قومَه، فمَا أعجبَ إكرامه أوَّلًا بإيلاف الرِّحْلَتين للرَّحِم النَّسَبِيَّة، وإهانته ثانيًا لَمَّا رَضيَ بالأجنبيَّة المباينة للقَرابة النَّسبيَّة، مجموعًا له ما تَفَرَّق في تلك السُّور من ذُلِّ الدُّنيا والآخِرة.

ثمَّ **سُور المعَوَّذَات**: منطَوِيَة على كَوثر تلك الكمالات مُفَصَّلًا "[١٣٩].

وقال في تأمُّل سورة النَّصر: "وُضِعت ثالثة سورة التَّبرئة فَأَفْهَم ذلك أنَّها ثمرتُها، فكأنَّه قيل: نصرتني بلسانك لَمَّا تَبَرَّأتَ من معبودٍ غيري، فَسيجيء نَصري لك، وفَتحتَ لي كعبةَ قلبك لَمَّا جعلتني معبودَكَ من بينهم، فسأفتح لك كعبةَ الآفاق، وأريتني جوارحَ بدنِكَ داخِلَين في طاعتي أفواجًا فَسَأُرِيكَ النَّاس يَدخلُون في دِين الله الذي على يَدِك أفواجًا، ورَضيتَ بدِيني دينًا لك فقد رَضيتُكَ تُسبِّح بحمدي وتستغفرني فأَتُوبُ عليك، والحمد لله وحده"[١٤٠].

وقال في تأمل سورة العصر كذلك: "لَمَّا أُعطِيَ ﷺ الكوثر نَغَّصَه الشَّانئ، وتبعها الكفار بإسماع ما يؤذي في الدُّنيا من نحو: إنَّك لأبتر، وفي الدِّين من نحو: اعبُد إلهنا، فلمَّا تبرَّأ كُوفِئ بالنَّصر والفتح والأفواج، فتمَّ الأمر ونما الفرح والسُّرور، فلمَّا استبشر نُودي بالرَّحيل، إذ لم يبقَ ضرورةٌ لبُعْدِه عن الرَّفيق الأعلى"[١٤١].

وهناك أمثلة كثيرة، ولكن أكتفي بما ذكرت لإيضاح منهج الملَّويّ واهتمامه بالمناسبات بين السُّور والآيات.

***

خاتمة

وفي الختام أذكر أبرز نتائج البحث، فأقول:

- وليُّ الدِّين الملَّوي عَلَّامَة مُفَسِّر مُحقِّقٌ مُدقّق، وهو عَلَم من أعلام القرن الثَّامن، جمع بين صلاح الباطن مع الورع والزُّهد، وبين حُسن السَّمت والظَّاهر، وسَعَة العلم، فهو عالم مُتفنن، له باع في التفسير، وأصول الاعتقاد، والفقه وأصوله، والقضاء، والنَّحو، والتَّصوف، والمنطق، وقد كان مُتمكنًا من معارفه، قادرًا على التَّصرُّف والتَّأليف فيها.

- كان للشيخ الملَّوي أثرٌ كبير في مجتمعه، ويظهر ذلك من كثرة تلامذته، ولم يتوقَّف أثرُه على حياته بل امتدَّ إلى ما بعد وفاته؛ حيث أفاد أهلُ العِلْم من مُؤلفاته وآثاره.

- ألَّف الملَّويّ في التَّفسير والفقه والأُصول والعقيدة والحديث والنَّحو والمنطق، وقد وَصَف ابنُ حجر تآليفَه بأنَّها بديعة الترتيب، إلَّا أنَّ المكتبة الإسلاميَّة المطبوعة لم تعرف شيئًا من هذه الكتب البديعة إلى الآن.

- بعد الاستقصاء والبحث المتعمِّق وقفتُ لوليّ الدّين الملّويّ على (٤٤) كتابًا مخطوطًا، وقد نقلتُ عن بعض مؤلَّفاته المخطوطة التي عَثَرت عليها.

- كان وليّ الدّين الملّويّ من العلماء الذين اعتنوا بعلم المناسبات القرآنية، وقد شَنَّع على أولئك الذين يُنكرون المناسبة بين السور والآيات بحجَّة أنَّها نزلت حسب الوقائع المتفرّقة، فَرَدَّ عليهم احتجاجهم، وبيَّن بأنَّ نزول الآيات والسُّور صحيح أنَّه كان على حسب الوقائع والأحداث إلَّا أنَّ ترتيبها في الكتاب الكريم كان على وفق الحكمة الرَّبانيّة.

فهو من العلماء الذين يرون أنَّ ترتيب السُّور توقيفي، وأن هذا التَّرتيب والنَّظم القرآني هو من جوانب إعجاز كتاب الله العزيز.

- أخيرًا: التعريف بهذا العَلَم، وبيان آثاره، وإلقاء الضَّوء على منهجه في التَّفسير، مَدْعَاة للاعتناء بكُتُبه المخطوطة، وإخراجها إلى النُّور للإفادة منها، فهو إحياء لعِلْمه، وحَقٌّ من حقوقه.

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠] .

الحواشي

١. ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيات للصفدي ٢: ١٢٠، طبقات الشافعية للسبكي ٩: ٧، الوفيات لابن رافع ٢: ٤٠٠، البداية والنهاية لابن كثير ١٤: ١٥٦، طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٥٦٧، الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٤: ٣٥٥، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١٥١، الدرر الكامنة لابن حجر ١: ١١٠، إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ١: ٤٧، النجوم الزاهرة في أعيان مصر والقاهرة لابن تغري ١١: ١٢٥، نيل الأمل في ذيل الدول لابن أبي الصفاء ٢: ٤٤، طبقات المفسرين للداوودي ٢: ٦٣، كشف الظنون لحاجي خليفة ١: ٦٤، ٢: ١١٤١ ـ ١١٤٣، شذرات الذهب لابن العماد ٨: ٤٠٢، إيضاح المكنون للبغدادي ١: ٤١٦، ٢: ٥١٤، هدية العارفين للبغدادي ٢: ١٦٦، معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٢٧، ٢٨٩، معجم المفسرين لنويهض ٢: ٤٨٣.

٢. في هدية العارفين ٢: ١٦٦ ذكر اسمه ونسبه فقال: محمد بن جمال الدين أحمد بن عثمان، وما ذكرته هو الأصح الذي اتَّفقت عليه كلمة علماء التراجم.

٣. العثماني الديباجي: نسبة إلى الديباج من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد تكون نسبة الديباجي إلى صنعة الديباج (الحرير). ينظر: الأنساب للسمعاني ٥: ٤٣٥، ولب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي ص١١٠.

٤. نسبة إلى (مَلَّوَى) وهي اليوم إحدى مدن محافظة المنيا بصعيد مصر، قال السخاوي في الضوء اللامع ١١: ٢٢٨: (الملوي) بِفَتْح ثمَّ بلام مَفْتُوحَة مُشَدّدَة.

٥. نسبة إلى منفلوط، وهي بلدة بالصعيد في غربي النيل، بينها وبين شاطئ النيل بُعد. ينظر: معجم البلدان ٥: ٢١٤.

٦. ينظر: الدرر الكامنة ٥: ٣٣، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

٧. ينظر: المصادر السابقة. قال ابن حجر في الدرر الكامنة ٥: ٣٣: "نشأ على قدم صدق في العبادة، والأخذ عن أدب الشيوخ".

٨. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، وشذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

٩. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩: ٧، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ١: ١٦٥، الدرر الكامنة ١: ١١٠، الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١: ٢٢٤.

١٠. ينظر: الوافي بالوفيات ٢: ١٢٠، إنباء الغمر ١: ٤٦، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

١١. ينظر: النجوم الزاهرة ١١: ١٢٥.

١٢. أي: أصول الاعتقاد، وأصول الفقه.

١٣. ينظر: الوافي بالوفيات ٢: ١٢٠، إنباء الغمر ١: ٤٦، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

١٤. أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، ولي الدين أبو زرعة، العراقي الأصل، المصري، قاضي القضاة، مات سنة ٨٢٦هـ. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ١٠٥.

١٥. نسبة إلى الحسن بن يسار البصري رحمه الله (ت١١٠هـ).

١٦. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، طبقات المفسرين للداوودي ٢: ٦٣، شذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

١٧. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حِجّي السَّعدي الحسباني الدمشقي (ت٨١٦هـ).

١٨. ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٦، وشذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

١٩. ينظر: الدرر الكامنة ٥: ٣٣، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

٢٠. ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٦.

٢١. ينظر: الدرر الكامنة ٥: ٣٣.

٢٢. هم الذين يزعمون أن العبد هو الرب، أو الخالق اتَّحد بالمخلوق.

٢٣. ينظر: إفهام الأفهام [ق٦/أ].

٢٤. ينظر: إفهام الأفهام [ق٧/ب].

٢٥. ينظر: إفهام الأفهام [ق٧/ب].

٢٦. ينظر: تفسير سورة الكوثر وما يليها [ق١٧٣/أ]، في تفسيره لسورة الإخلاص.

٢٧. ينظر: الوفيات لابن رافع ٢: ٤٠٠، الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، الدرر الكامنة ١: ١١٠، ٤: ٢٦٨، الجواهر والدرر للسخاوي ١: ١٣٠.

٢٨. ينظر: الدرر الكامنة ١: ١١٠، الجواهر والدرر للسخاوي ١: ١٣٠.

٢٩. ينظر: الدرر الكامنة ١: ١٦٥، شذرات الذهب ٨: ١٦٢.

٣٠. ينظر: الدرر الكامنة ٣: ٢٨.

٣١. ينظر: المصدر السابق ٤: ٢٦٩.

٣٢. ينظر: الدرر الكامنة ٤: ٢٦٨.

٣٣. ينظر: الدرر الكامنة ١: ٤٢٩.

٣٤. ينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر ١: ٤٦.

٣٥. ينظر: المصدر السابق ١: ٤٧.

٣٦. ينظر: إنباء الغمر ١: ٢٩٦، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٢١٧، شذرات الذهب ٨: ٥٠٢.

٣٧. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١٥٢، الدرر الكامنة ٢: ٣١١، إنباء الغمر ١: ٣٤٠، شذرات الذهب ٨: ٥٢٧.

٣٨. ينظر: إنباء الغمر ١: ٣٤٠، شذرات الذهب ٨: ٥٢٦.

٣٩. ينظر: إنباء الغمر ١: ٥١٥، شذرات الذهب ٨: ٦٠٢.

٤٠. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ٥، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ١: ١٢٩، الضوء اللامع ١: ١٧٢، شذرات الذهب ٩: ١٢.

٤١. ينظر:طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ٦٧، شذرات الذهب ٩: ٦٣.

٤٢. ينظر: إنباء الغمر ٢: ٢٣٩، المجمع المؤسس ٣: ٣٨، الضوء اللامع ١: ٣٥٩، شذرات الذهب ٩: ٧٦.

٤٣. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ٥٣، إنباء الغمر ٢: ٤٤٢، والضوء اللامع ٨: ٨٣، شذرات الذهب ٩: ١٤٦.

٤٤. ينظر: إنباء الغمر ٢: ٤٧١، المجمع المؤسس ٣: ١٧٦، الجواهر والدرر ١: ١٢٩، الضوء اللامع ٥: ١٦٣، شذرات الذهب ٩: ١٥٢.

٤٥. ينظر: إنباء الغمر ٣: ١٢١، شذرات الذهب ٩: ٢٠٩.

٤٦. ينظر:إنباء الغمر ٣: ١١٨، والضوء اللامع ٨: ٢١٧، شذرات الذهب ٩: ٢٠٧.

٤٧. ينظر: إنباء الغمر ٣: ٢٦٣، شذرات الذهب ٩: ٢٤٤.

٤٨. ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٧.

٤٩. سأذكرها مرتبة على حروف الهجاء.

٥٠. في الآداب والفضائل، يوجد منه نسخة في تركيا، في مكتبة جار الله برقم: (٢٠٧٠).

٥١. ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١: ٦٤ له، وقال: وهو مختصر، أوله: "الحمد لله خلق الإنسان في أحسن تقويم.."، وذكره في هدية العارفين ٢: ١٦٦.

٥٢. من مخطوطات الظاهرية، يوجد منه نسخة في مركز جمعة الماجد برقم: (٢٢٥٦٧٤).

٥٣. يوجد منه نسختان خطيتان، إحداهما في دار الكتب المصرية، والأخرى في مكتبة فيض الله أفندي بتركيا، وكلتاهما مصورتان في مركز جمعة الماجد بدبي، وقد قمت بتحقيقه وهو في طريقه للإخراج، إن شاء الله.

٥٤. ذكره الملوي في كتابه إفهام الأفهام [ق٩:أ] في شرح عقيدة العز بن عبد السلام، قائلاً: "وفي أمالينا في علم الأصول".

٥٥. وهو في التصوف، يوجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

٥٦. في الفقه الشافعي، يوجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

٥٧. في علوم القرآن، ذكره في إفهام الأفهام [ق١٣/أ] بعنوان: البيان الجميل لشرف القرآن الجليل.

٥٨. في الآداب، توجد منه نسخة في تركيا.

٥٩. في علم الكلام، توجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

٦٠. في مباني الإسلام، ذكره في إفهام الأفهام [ق١٣/ب]، وتوجد منه نسخة في مركز جمعة الماجد برقم: (٦٩٠١٣٥)، وقد ذكر في خزانة التراث برقم: (٢٢٦٧٧)، وذكر بأنه توجد منه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث برقم حفظ: (١٨٤٨).

٦١. ذكره برهان الدين البقاعي في مصاعد النظر ونقل عنه ونسبه إليه ١: ٣٧٨، وقد ذكر في كشف الظنون ١: ٣٤٢ ولم ينسبه لأحد، وتتمة العنوان منه، وقال: مختصر في معاني القرآن على مقدمة ومقاصد وخاتمة، أوله: "الحمد لله مبشر من صدَّق بالحسنى...".

٦٢. توجد منه نسخة في مكتبة مصطفى أفندي في تركيا، ومطلعها: "الحمد لله جاعلِ السِّراجِ المنيرِ كوثرِ التَّوهُّج والإشراق"، وأشتغل الآن على إخراج هذا التفسير محقَّقًا، إن شاء الله.

٦٣. ذكره في إفهام الأفهام [ق٢/ب] و[ق٣/ب] ، وتوجد منه نسخة في مكتبة آل عابدين بدمشق.

٦٤. في الفتوى، توجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

٦٥. في العقيدة، ذكره في تفسيره لسورة الإخلاص.

٦٦. ذكره في إفهام الأفهام [ق٣/ب].

٦٧. في العقيدة، ذكره البقاعي في نظم الدرر ٤: ٤٥٢.

٦٨. ذكره في إيضاح المكنون ١: ٤١٦ وذكر أن أولها: "الحمد لله راحم من تضرع واستكان إليه.."، وهدية العارفين ٢: ١٦٦، وتوجد منه نسخة مخطوطة في كوبرلي ـ تركيا، برقم ١٥٨٧، ونسخة في مكتبة آيا صوفيا، وهي بعنوان: حل الحباء لاسترفاع الوباء.

٦٩. ذكره في إفهام الأفهام [ق٣/ب]، وأشار إلى أن من أبوابه: نجائب النجباء، ومناهج المباهج.

٧٠. ذكره في تفسيره لسورة الناس في المقصد العاشر منها [ق٢١٤/أ]، من كتابه تفسير سورة الكوثر وما يليها.

٧١. في الأداب والفضائل، في المكتبة الأزهرية برقم: (٦٦٤٤٧)، يوجد منه نسخة في مركز جمعة الماجد برقم: (٢٩٩٧٠٥)، أوله: "الحمد لله العليم الستار، الكريم الحليم الغفار.."، وقد ذكر معنى العنوان في صفحة العنوان فقال:"رِعَة: من الورع والتقوى، البَارع: من فاق أقرانه وغيرهم في العلم وغيره، بلتعة: المرأة السليطة الكثيرة الكلام...، البَازع: الذي يتكلم ولا يستحي، ثم قال: وحاصله: ما يُوجب تورّع العالم الخَيّر عن اتّباع الظَّنّ وما تهوى الأنفس..".

٧٢. ذكره في إفهام الأفهام [ق٥/ب].

٧٣. ذكره في تفسير سورة الفلق [ق١٨٤/ب]، من كتابه: تفسير سورة الكوثر وما يليها.

٧٤. في فضائل القرآن، ذكره في إفهام الأفهام [ق٧/ب].

٧٥. في الحديث الشريف وفقهه، ذكره في إفهام الأفهام [ق٤/أ].

٧٦. ذكره في إفهام الأفهام [ق١٣/ب]، من مكتبة الملك عبد العزيز العامة، وتوجد منه نسخة في مركز جمعة الماجد برقم: (٣٣٦٦٦٠)، قال في أوله: "الحمد لله الذي له الاسم الأعظم، وله الأسماء الحسنى..".

٧٧. في العقيدة، ذكره في إفهام الأفهام [ق١٥/ب]، وأما الرسالة التي تحمل عنوان: شرح شفاء الصدور من زخرف قول الجبر والقدر الغرور، فأظنها لآخر، وقد نُسِبت إليه، ويوجد منها نسخة في مركز جمعة الماجد برقم: (٥١٣٨١٠)، وهي من المكتبة الأزهرية.

٧٨. في التصوف، ذكره في تفسيره لسورة المسد [ق١٤٤/ب].

٧٩. ذكره في كشف الظنون ٢: ١١٤١، وفي هدية العارفين ٢: ١٦٦. وتوجد منه نسخة مخطوطة في مركز جمعة الماجد برقم: (٧١٢٠٦٣).

٨٠. ذكر في خزانة التراث برقم: (١٢٥٩٥٢)، يوجد منه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، برقم حفظ ج٣٢٣/٢.

٨١. في الفضائل، ذكره في إفهام الأفهام [ق١٤/ب].

٨٢. ذكر في خزانة التراث منسوبًا له برقم ٥٢٤٥٢، وهو من مخطوطات شستربتي ـ إيرلندا، برقم ٥/٤٤١٦.

٨٣. ذكره في إفهام الأفهام [ق١٢/أ].

٨٤. في الآداب والفضائل، ذكره في هدية العارفين ٢: ١٦٦، توجد منه نسخة في تركيا ـ آيا صوفيا.

٨٥. ذكره في إفهام الأفهام [ق٥/ب].

٨٦. ذكره في إفهام الأفهام [ق١١/ب].

٨٧. توجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

٨٨. ذكره في إيضاح المكنون ٢: ٥١٤ وذكر بدايته: "الحمد لله المنفرد في صمديته بكمال جلاله، والمتوحد في قدوسيته بجمال كماله.." وقال: في مجلد لطيف، وهدية العارفين ٢: ١٦٦.

٨٩. كذا سماه في تفسيره لسورة الفلق [ق٢٠١/أ]، من كتابه: تفسير سورة الكوثر وما يليها من السور.

٩٠. ذكره في إفهام الأفهام [ق١٣/ب].

٩١. يوجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية، وهي في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (٢٢٧٦٦٩)، في

٤ ورقات، وبدايتها: "الحمد لله رافع من انتصب بجر الخيرات إليه..".

٩٢. ذكره في إفهام الأفهام [ق٥/ب].

٩٣. في التفسير، يوجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

٩٤. في التفسير، ذكره في إفهام الأفهام [ق١٦/ب]، وأشار إليه في تفسير سورة الفلق.

٩٥. وقد قال البقاعي في نظم الدرر ١: ٨، ٩ بعد هذا النقل: "الشيخ المشار إليه هو العارف ولي االدين محمد بن أحمد الملّوي"، وصرّح باسمه كذلك جلال الدِّين السيوطي في الإتقان ٥: ١٨٣٨، ومعترك الأقران ١: ٤٤.

٩٦. البرهان في علوم القرآن ١: ٣٧.

٩٧. آداب الأكل (ص: ٥٤).

٩٨. فتح الباري ٣: ٢٤.

٩٩. المصدر السابق ٣: ٢٦.

١٠٠. التقرير والتحبير ١: ٥٩.

١٠١. مصاعد النظر ١: ٣٧٨.

١٠٢. المصدر السابق ٣: ٢٧٣.

١٠٣. أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود ١: ٣٥١ برقم ٤٨٤.

١٠٤. أخرجه البخاري في التهجد، باب: إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه ١: ٣٨٤ برقم ١٠٩٣، ومسلم في صلاة المسافرين، باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح برقم ٧٧٤.

١٠٥. أخرجه أحمد في المسند ٥: ٨٣، والترمذي في باب: ما يقول إذا خرج مسافرًا ٥: ٤٩٧ برقم ٣٤٣٩ وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في باب: الاستعاذة من الحور بعد الكور ٨: ٢٧٢ برقم ٥٤٩٨، عن عبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنه.

١٠٦. بهجة المحافل وبغية الأماثل ٢: ٣٥٢.

١٠٧. الضوء اللامع ٧: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

١٠٨. ينظر: الإتقان ٥: ١٨٣٨، معترك الأقران ١: ٤٤.

١٠٩. أخرجه البخاري في التهجد، باب: عقد الشيطان على قافية الرأس ١: ٣٨٣ برقم ١٠٩١، ومسلم في صلاة المسافرين، باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح برقم ٧٧٤.

١١٠. التوشيح شرح الجامع الصحيح ٣: ٩٨٦ ـ ٩٨٧.

١١١. فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢: ٤٠٤.

١١٢. ينظر: كوثر المعاني الدراري ١١: ٤٧.

١١٣. قال ابن رافع في الوفيات ٢: ٤٠٠: "وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه توفي الشيخ الإمام ولي الدين". وقال ابن حجر في الدّرر الكامنة ٥: ٣٣: "مات في ليلة الجمعة خامس عشرين ربيع الأول سنة ٧٧٤هـ عن ثمانين سنة". قلت: قوله: "عن ثمانين سنة"، لا يصحّ، وقد ذكر هو في إنباء الغمر غيرَ ذلك، فقال ١: ٤٧: "مات في شهر ربيع الأول عن بضع وستين سنة".

١١٤. ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٧.

١١٥. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، إنباء الغمر ١: ٤٧، النجوم الزاهرة ١١: ١٢٥، شذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

١١٦. الـحَـزْرُ: التقدير والـخـرص، ينظر: الصحاح للجوهري ٢: ٦٢٩، مادة: حزر.

١١٧. ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك ٤: ٣٥٥، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤، طبقات المفسرين للداوودي ٢: ٦٣.

١١٨. ينظر: الصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، ومختار الصحاح للرازي، مادة: نسب.

١١٩. مقاييس اللغة ٥: ٤٢٣، مادة: نسب.

١٢٠. الصناعتين (ص: ١٤١).

١٢١. لَفَقْتُ الثوبَ أَلْفِقُهُ لَفْقًا، وهو أن تضم شُقّة إلى أخرى فتخيطَهما، واللِّفْقُ: أحد لِفْقَيْ الـمُلاءَةِ. ينظر: الصحاح، مادة: لفق.

١٢٢. الصناعتين (ص:١٦١).

١٢٣. في علوم القرآن للدكتور أحمد فرحات (ص:٧١).

ولـيّ الدّين الملّوي وعلم المناسبات بين السور والآيات

١٢٤.ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم (ص: ٥٨)، وفي علوم القرآن للدكتور فرحات (ص:٧٠).

١٢٥.ينظر: البرهان للزركشي ١: ٣٦؛ والإتقان ٥: ١٨٣٧ عن سراج المريدين لابن العربي؛ معترك الأقران ١: ٤٣.

١٢٦.ينظر: البرهان في علوم القرآن ١: ٣٧.

١٢٧.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١: ٦.

١٢٨.البرهان ١: ٣٥.

١٢٩.مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٦٥).

١٣٠.ينظر: البرهان ١: ٣٦ ـ ٣٩، الإتقان ٥: ١٨٣٧.

١٣١.البرهان ١: ٣٧، الإتقان ٥: ١٨٣٨، معترك الأقران ١: ٥٦، مناهل العرفان ١: ٧٣.

١٣٢.وهذا رأي جماعة من العلماء منهم: أبو بكر الأنباري وأبو جعفر النحاس وأبو بكر الباقلاني في أحد قوليه وابن الحصار والكرماني والبغوي وشرف الدين الطيبي، وهو ما رجحه الزركشي في البرهان ١: ٣٨، ينظر: تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول (ص: ١٦٥)

١٣٣.البرهان ١: ٣٧، الإتقان ٥: ١٨٣٨، معترك الأقران ١: ٥٦، مناهل العرفان ١: ٧٣.

١٣٤.المصادر السابقة.

١٣٥.ينظر: تفسير سورة الكوثر [ق٤/ب].

١٣٦.ينظر: المصدر السابق [ق١١/ب].

١٣٧.ينظر: تفسير سورة الكوثر [ق١١/أ] و [ق١٢/ب].

١٣٨.يقصد بها سورة الكافرون.

١٣٩.ينظر: تفسير سورة الكوثر وما يليها من السور [ق٢٢/ب] [ق٢٢/أ].

١٤٠.ينظر: تفسير سورة الكوثر وما يليها من السور [ق١٢٦/أ]

١٤١.ينظر: المصدر السابق [ق١٢٧/ب].

فهرس المصـادر والمراجع

- آداب الأكل: لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن عماد الدين بن يوسف بن عبد النبي، الأقفهسي ثم القاهري الشافعي (ت٨٠٨هـ)، تحقيق: دكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وأبو هاجر محمد السعيد ابن بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الإتقان في علوم القرآن: لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط/١٤٢٦هـ.
- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي ابن فارس، الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥/٢٠٠٢م.
- أعيان العصر وأعوان النصر: لصلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، والدكتور نبيل أبو عشمة، والدكتور محمد موعد، والدكتور محمود سالم محمد، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١/١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
- إفهام الأفهام شرح عقيدة العز بن عبد السلام، لولِيّ الدِّين الملَّويّ المنفلوطي، محمد بن أحمد (ت٧٧٤هـ)، مخطوط من مكتبة فيض الله أفندي، تركيا برقم: (٢١٦١)، ١٧ ورقة.
- إنباء الغمر بأبناء العمر: لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: د حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط/١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- الأنساب: لأبي سعد، عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني المروزي (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١/١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن

- أسامي الكتب والفنون: لإسماعيل باشا البغدادي، نشر دار الفكر ـ بيروت، ط/ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، ط١/١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- البرهان في علوم القرآن: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية، مصر، ودار المعرفة، بيروت، ط١/ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.
- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل: ليحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (ت ٨٩٣هـ)، نشر دار صادر ، بيروت. د ت ط.
- البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧/١٤١٨هـ ـ ١٩٨٨م،
- تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول، دراسة وتقويم : د. طه محمد فارس، نشر دار الفتح للدراسات والنشر ـ الأردن، ط١/١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
- تفسير الفاتحة الكبير المسمى بـ (البحر المديد): لابن عجيبة، أحمد بن محمد (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق: بسام محمد بارود، نشر المجمع الثقافي في أبو ظبي، ط١/١٩٩٩م.
- تفسير سورة الكوثر وما يليها من السور: لولي الدين الملوي، مخطوط من مكتبة رئيس الكتاب مصطفى أفندي، تركيا، اسطنبول، برقم: (٥٤)، وهي في ٢٣٣ ورقة مخطوطة.
- التقرير والتحبير: لأبي عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد، المعروف بابن أمير حاج الحنفي (ت٨٧٩هـ)، نشر دار الفكر، بيروت، ط/١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
- تناسق الدرر في تناسب السور: للسيوطي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، طبع عالم الكتب ـ بيروت، ط٢/١٤٠٨هـ.
- تهذيب اللغة: لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/٢٠٠١م.
- التوشيح شرح الجامع الصحيح: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١/ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.
- جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط١/ ١٩٨٧م.
- جواهر البيان: للشيخ عبد الله بن محمد الغُماري الحسني (ت ١٤١٣هـ)، نشر مكتبة القاهرة، ط/١٩٦٥م.
- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر: لشمس الدين، أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، نشر دار ابن حزم، بيروت ط١/١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩ م.
- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِي): لشهاب الدين أحمد ابن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ) ، نشر دار صادر ـ بيروت، د ت.
- خزانة التراث: فهارس المخطوطات الإسلامية في المكتبات والخزانات ومراكز المخطوطات في العالم تشتمل على معلومات عن أماكن وجود المخطوطات وأرقام حفظها في المكتبات والخزائن العالمية، إصدار مركز الملك فيصل، الرياض. (الكتروني)
- الدارس في تاريخ المدارس: لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت ٩٢٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد، الهند، ط٢/ ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- الذيل على العبر في خبر من غبر: لولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي (ت٨٢٦هـ)، تحقيق: صالح مهدي عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك: لأبي العباس، تقي الدين، أحمد بن علي بن عبد القادر، الحسيني العبيدي، المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى ابن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢/١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- السنن الكبرى: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن علي الخراساني، النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- سنن النسائي الصغرى (المجتبى من السنن): لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، نشر دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١/ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط١٤٠٧/٣هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت. د ت ط.
- الصناعتين: لأبي هلال، الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ط/ ١٤١٩هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ابن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ)، من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر، ط٢/ ١٤١٣هـ.
- طبقات الشافعية: لأبي بكر بن أحمد بن محمد ابن عمر، تقي الدين، ابن قاضي شهبة الدمشقي (ت٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، نشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- طبقات المفسرين العشرين: لجلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/ ١٣٩٦هـ.
- طبقات المفسرين: لأحمد بن محمد الأدنه وي (ت . ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، نشر مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١٤١٧/١هـ - ١٩٩٧م.

- طبقات المفسرين: لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي (ت٩٤٥هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. د ت ط.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي ابن حجر، أبو الفضل العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ترقيم الأبواب والأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح وإشراف: محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ط/١٣٧٩هـ.
- في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق، للدكتور أحمد حسن فرحات، طبع دار عمار- عمَّان، ط١/١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير: لزين الدين، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١/١٣٥٦هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، نشر دار المعرفة، بيروت. د ت ط.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: للمولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، نشر دار الفكر - بيروت، ط/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: لشمس الدين الكرماني، محمد بن يوسف (ت٧٨٦هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢/ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: محمد أديب الجادر، نشر دار صادر- بيروت، ط١/ ١٩٩٩م.
- لب اللباب في تحرير الأنساب: لجلال الدين السيوطي، نشر دار صادر، بيروت، د ت ط.
- لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، نشر دار صادر، بيروت، ط١٤١٤/٣هـ.
- مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، نشر دار القلم، دمشق، ط١٤٢٦/٤هـ - ٢٠٠٥م.
- مجلة الأحمدية الصادرة عن دار البحوث للدراسات الإسلامية بدبي، العدد: (٤)، لسنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- مجلة الأحمدية، الصادرة عن دار البحوث بدبي، العدد (١١)، لسنة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، العدد ١١، لسنة: ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.
- مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، العدد: ١٣- لسنة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس: مشيخة ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط١ للجزء ١٤١٣/١ هـ - ١٩٩٢م، (جـ ٢ - ٤) /١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- مجمل اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، نشر مؤسسة قرطبة، القاهرة. د ت ط.
- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ: لبرهان الدين البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ)، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ط١٤٠٨/١ هـ - ١٩٨٧ م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): للسيوطي (ت٩١١هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

- معجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر": عادل نويهض، نشر مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط٣/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- معجم المؤلفين: لعمر بن رضا بن محمد راغب ابن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت١٤٠٨هـ)، نشر مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣/١٤٢٠ هـ.
- مقاييس اللغة: لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، بيروت، ط/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ)، نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط٣. د ت ط.
- النبأ العظيم: للدكتور محمد عبد الله دراز، نشر دار القلم - الكويت، ط٢/١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ليوسف ابن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت٨٧٤هـ)، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت٨٨٥هـ)، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. د ت ط.
- نيل الأمل في ذيل الدول: لزين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (ت٩٢٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١/١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون: لإسماعيل باشا البغدادي، نشر دار الفكر - بيروت، ط/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك ابن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنـاؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت. د ت ط.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدِّين، أحمد بن محمد ابن خلّكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت. د ت ط.
- الوفيات: لتقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: صالح مهدي عباس, و د.بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ١٤٠٢هـ .

خطابات التجار اليهود مصدر لرصد حركة التجارة في جنوب الجزيرة العربية خلال العصر الوسيط

"دراسة وثائقية"

د. محمود أحمد هدية

باحث ومحاضر في التاريخ الإسلامي

مصر

برز وتطور التراث اليهودي في ظل الحضارة الإسلامية، وتطعم بجوهر الحضارة الإسلامية باحتكاكه بكبريات الحواضر الإسلامية في القاهرة وبغداد وقرطبة وفاس واليمن وبلاد الشام، والتي اتخذوها حواضر لهم وعواصم انتقلوا من خلالها لأرجاء الأرض، فتمتعوا بالعديد من مظاهر الحرية في الخلافات والحكومات الإسلامية، لما وفرته قوانين الشريعة الإسلامية من حقوق، كحرية البيع والشراء والتنقل، كما حمت أموالهم ودماءهم، فكان لها الأثرُ الأكبر في إنجاح النشاط اليهودي وبصفة خاصة تجارتهم، وعن ذلك يقول جوايتاين: "إنَّ القدر الهائل من حرية الحركة الذي تمتَّع به اليهود، والذي صورته جنيزة القاهرة، كان من المستحيل أن يتحقق مالم يكن لهم وضع قانوني، ومالم يسمح بذلك مناخ السياسة العامة"(١).

وثائق الجنيزة وأهميتها التاريخية لتجارة جنوب الجزيرة العربية:

احتوت أوراق الجنيزة على وثائق متنوعة أسرية وغير أسرية، كما ضمت خطابات وقوائم حسابات وموارد مالية وضرائبية، ومعلومات قيمة عن أثمان بعض السلع والمتاجر المختلفة وكذلك سجلات قضائية وإيصالات، وعقود إيجارات، وقروض ومقايضة ومشاركة، والسمة المميزة في أوراق الجنيزة أنه لا يوجد اختلاف كبير بين وثيقة تجارية أو خطاب شخصي، ففي

خطابات التهنئة أو التعزية نجد أمورًا كثيرة خاصة بالنواحي المالية والاقتصادية، وترجع معظم وثائق الجنيزة من الناحية التاريخية إلى العصرين الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م) والأيوبي (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٢٥م)، كما توجد بعض الوثائق التي تعود إلى العصر المملوكي (٦٤٨- ٩٢٢هـ /١٢٥٠ – ١٥١٧م)[٢]، ومعظم الخطابات محل الدراسة هي عبارة عن مراسلات تمت بين تجار أرسلوا خطاباتهم من عدن أو بعض المدن الأخرى في جنوب الجزيرة العربية، إلى أحد الموانئ المطلة على (بحر الحجاز) البحر الأحمر، أو الهِنْد، أو (الفسطاط) مصر، الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) وبالعكس، والتي تعكس لنا أهمية المبادلات التجارية بين تلك الأقطار وخط سير الحركة التجارية بين موانئ جنوب الجزيرة العربية وتلك الجهات.

اليهود والحركة التجارية في جنوب الجزيرة العربية:

يعد اليهود من أهم العناصر التي عملت في النشاط التجاري بين بلدان المشرق والمغرب، لما وجدوه من ترحيب وتسهيل للعمل بذلك النشاط وبخاصة في بلدان ومدن الخلافة الإسلامية؛ حيث يرجع هذا إلى أن اليهود كانوا تجارًا فقط وليسوا قوة محاربة، كما أن التجار المسلمين كانوا لا يستطيعون أحيانًا الذهاب للعمل التجاري وبخاصة لمدن وموانئ الغرب المسيحي، تجنبًا للتعرض للأسر أو مصادر الأموال والعكس فتواجد التجار اليهود في تلك المنطقة.

لذا لعب اليهود دورًا فعالاً في اقتصاد الدول الإسلامية وبالأخص تجارتها، فكانوا على اتصال يومي ووثيق مع مختلف الأديان والجنسيات -وهو ما توضحه وثائق الجنيزة- فكانوا من المسافرين دائمي الترحال والتنقل؛ حيث لم يشكل الافتقار للأموال عائقًا أمامهم للسفر والمتاجرة ولكن كان حافزًا ودافعًا لهم لاستكمال الأمر والبحث عنه[٣]، فاتجهوا نحو البحر لتحقيق تلك الأهداف والغايات والبحث عن سُبل جديدة وأسواق يسعون للسيطرة عليها[٤]، وتسلط الجنيزة الضوء على النشاط التجاري باعتباره أمرًا ذا أهمية كبيرة ومتعلقة بالنشاط اليهودي عامة والتجارة مع بلدان المتوسط ومدن الشرق والشرق الأقصى على وجه الخصوص، كونهم أدوا دور الوسيط التجاري بين تلك المناطق في العصر الوسيط، فكان لهم النصيب الأوفر في حجم التبادل التجاري بين الشرق والغرب، باعتبارهم أنشط الفئات التي مارست التجارة في ظل الحكم الإسلامي، وتناقلته بين أبنائها من جيل إلى آخر[٥]؛ حيث عُد النشاط التجاري بالنسبة لهم هو الطريق الأفضل لتحقيق الربح، وهو ما يذكره العالم التلمودي راب (RAB) والذي اتخذ شعارًا لأبناء مِلَّته **"تاجر بمائة فلورين**[٦]، **تحصل على لحمٍ وخمر، أما إذا استغلَلْتَ هذا القدر نفسه في الزراعة، فأكبر ما تحصلُ عليه هو الخبزُ والملح"**[٧]، وهو ما يظهر أيضا في أحد الخطابات حول تصميم أحد التجار على جمع أقل الأموال لاستكمال تجارته **"بعد أن نجاتي من الموت وفقدت كل ما أحمله معي أخذت قرض عبارة عن دينار وسافرت وراجعت حساباتي**

ووجدت كسور مالية أخذتها ودفعت إلى أحد رجال الدين الذين سافروا من ملبيار إلى عدن لشرائه لك"[٨].

ولم يقتصر دورهم في مجال التجارة الخارجية فقط، ولكن امتد لمجال التجارة الداخلية، فشاركوا في نقل وتبادل السِّلَع بين المدن والموانئ[٩]، وعُـدَّت مراسلاتهم التجارية تقاريرًا ترصد حركة التجارة في الموانئ والأسواق ومعبرة عن حالة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والأحداث السياسية وأخبار الطائفة اليهودية في تلك البلدان[١٠]، وهو ما جاء في الخطاب المؤرخ في أواخر القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي، من أبى **إبراهيم الرقي** من الفسطاط إلى **أبى الفرج نسيم الرقي** بالإسكندرية، والذي يعطيه أدق التفاصيل وأكبرها عن حالة السوق وأهم الصعوبات والنصائح التجارية التي من خلالها يستطيع أن يحقق أكبر المكاسب ويتلاشى الخسارة بقوله: **"الأعمال هنا ضعيفة، وتكاد تكون متوقفة، إذ ثمة بلبلة كبرى في أسعار الصرف ... والوباء متفش كثيرًا في جهات المدينة، وكل واحد يواجه صعوبات في أعماله التجارية"**[١١].

الحركة التجارية في جنوب الجزيرة العربية من خلال خطابات التجار اليهود:

أ- اليهود الرازانية :

أُطْلِقَ على اليهود الذين يستغلون الطريق البحري بين بلاد الإسلام وأوروبا اسم" تجار البحر"[١٢]، وكانوا يتكلمون عدة لغات من بينها العربية والفارسية واللاتينية، وتبدأ رحلاتهم من بروفانس في جنوب فرنسا، ويعبرون بسفنهم البحر الأبيض المتوسط إلى ميناء الفرما، ثم يحملون تجارتهم على ظهور الدواب إلى القلزم، ومن هناك تنقل عبر البحر الأحمر مارة بموانئه الهامة مثل جدة، ثم يخرجون إلى بحر العرب متوجهين إلى ميناء عدن، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، وفي طريق العودة إلى أوروبا كانوا يحملون معهم سلع الشرق، فإذا وصلوا إلى القلزم، اتجهوا إلى الفرما أو الفسطاط والإسكندرية ومنها يبحرون إلى بروفانس، وأحيانًا كانوا يتوجهون إلى انطاكية أهم ميناء تجاري في الشام، وكذلك إلى القسطنطينية عاصمة الروم لبيع بضائعهم فيها، وقد قل دور اليهود الرازانية في تجارة الشرق مجال التجارة الخارجية مع بداية القرن الخامس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وأخذ في الاضمحلال بعد أن دخلت الحكومة الفاطمية في علاقات ومعاهدات تجارية مع المدن والدول الأوروبية، فضلاً عن ذلك فقد استقرت أعداد من هؤلاء التجار اليهود زمن الفاطميين في مصر والهند واليمن[١٣].

وترسم خطابات التجار اليهود خريطة شبه كاملة عن حركة التجارة في جنوب الجزيرة العربية، والتي هي نقطة الربط بين خطوط التجارة الشرقية والغربية، وحلقة الوصل مع تجارها، والتي في مجملها طرق بحرية انطلقت شمالًا لتتصل بخطوط التجارة العالمية البحرية عبر البحر المتوسط، وغربًا عبر (بحر الحجاز) البحر الأحمر ومنها إلى المحيط الهِنْدي جنوبًا، وصولًا إلى الهِنْد شرقًا؛ حيث نستطيع من خلالها تحديد أبرز محاور هذه الشبكة التي تكونت في جنوب الجزيرة العربية؛ **أولا**: محور **جنوب الجزيرة العربية / الهِنْد**، والذي يتكون من عدة خطوط تجارية منها؛ خط (عدن/ المَلِيبَار[١٤])،

وخط (عدن/ مانجالور)، وخط (عدن/ زبيد - مالابار (دهبان)[١٥]، بالإضافة إلى خط (عدن/ فاندراينا)[١٦]، **ثانيًا**: محور **جنوب الجزيرة العربية/ الشرق الإفريقي**، وأبـرز خطوطه (عدن/سواكن- عيذاب)، وخط (عدن/ بربرة)، وخط (مرباط -عدن/ دهلك)، **ثالثًا**: محور **جنوب الجزيرة العربية / مصر**، وأبرز خطوطه (عدن/ عيذاب – الفسطاط)، وخط (سواكن/ عيذاب- قوس)[١٧]، **رابعًا**: محور **جنوب الجزيرة العربية/ فارس**، وأهم خطوطه خط(قيس- مرباط/عدن)، وخط (تاز/عدن)، خامسًا: محور **جنوب الجزيرة العربية / المهدية – الأندلس**، سادسًا: محور **موانئ جنوب الجزيرة العربية (عدن- مرباط- زبيد).**

أولا: محور جنوب الجزيرة العربية / الهِنْد:

للحديث عن هذا المحور لابد من تناول أهم المراكز والموانئ التجارية الساحلية الهِنْدية والتي وردت بخطابات التجار اليهود فكانت مقصدًا للعديد من الرحلات والقوافل التجارية القادمة من كافة البلدان والمناطق لجلب المنتجات والسلع[١٨]؛ حيث ارتبطت بلاد الهِنْد بجنوب الجزيرة العربية منذ القدم فكانت بمثابة العمود الفقري لاقتصاد تلك المنطقة، واعتبر وصول المراكب الهِنْدية لسواحل جنوب الجزيرة العربية أسبق زمنًا من وصول المراكب العربية إلى السواحل الهِنْدية[١٩]، منطلقة منها وإليها الجاليات اليهودية في الفسطاط، والمهدية[٢٠] والأندلس، فضلاً عن مناطق (بحر الحجاز) البحر الأحمر وعدن[٢١]، وبخاصة أن البحر الأحمر كان بحرًا إسلاميًا مغلقًا، ولم يسمح المسلمون لأي سفينة أن تبحر فيه، فكانوا هم السادة وعلموا مسالكه نظرًا لكثرة الشعاب المرجانية والتي شكلت صعوبة في حركة الملاحة في البحر الأحمر نظرًا لكثرتها، ولكن مع نضوج الخبرة الجغرافية والملاحية للتجار تم تفاديها[٢٢]، كما استفادوا من الرياح الموسمية في تسيير رحلاتهم التجارية إلى مدن المحيط الهِنْدي والخليج العربي[٢٣].

ومن خلال دراسة الخطابات وتحليلها نجد أن عددًا كبيرًا من المدن والموانئ الهِنْدية هي صاحبة النصيب الأكبر في حجم المبادلات التجارية؛ حيث يذكر **محروس بن يعقوب** في خطاب له والمؤرخ في ٥٤٠هـ/١١٤٥م أهم الموانئ الهِنْدية بقوله: **"جاء سيدي الشيخ أبو قاسم بن القطان إلى مانجالور، استفسرت عنك وقال لي أنك في بروش، في جميع الظروف يرجى أن تأتي بسرعة إلى مانجالور، ولا تتوارى؛ لأنني في انتظارك هنا في مانجالور، وإذا شاء الله سنشرع في طريقنا إلى البيت في أقرب وقت ممكن، فمن الأفضل بالنسبة لك السفر من مانجالور معي من السفر في سفن الغرباء... تبدأ القوارب حاليا من مكانك في كنباية ومن تانة، يرجى الاستعداد فورا حتى تصل إلى مانجالور مع السفن التي إن شاء الله سوف تصل قريبا في ماليبار ومانجالور"**[٢٤]، وعن تلك الموانئ ودورها في الحركة التجارية مع جنوب الجزيرة العربية نذكر أهمها:

مانجالور:

امتازت هذه المدينة بموقع جغرافي متميز على السواحل الهِنْدية وبخاصة ساحل **الماليبار**، ولها علاقات تجارية نشطة مع البلاد الإسلامية وبخاصة جنوب الجزيرة العربية في عدن[٢٥]،

كما نزل إليها معظم تجار فارس واليمن لشهرتها بإنتاج الفلفل والزنجبيل[٢٦]، وكانت مقصد التجار اليهود، وهو ما يؤكده الخطاب المؤرخ في٥٤١هـ/ ١١٤٦م **"أنا ركبت سفينة مبارك التي سوف تبحر إلى مانجالور"**[٢٧].

كُولم :

اشتهر ميناء كُولم بأنه من أهم المراكز والمحطات التجارية بساحل المَلِيبَار، أشار إليها ابن بطوطة[٢٨] بقوله: **"من أحسن بلاد المَلِيبَار، وأسواقها حسان، وتجارها يعرفون بالصوليين، ولهم أموال عريضة، يشتري المركب أحدهم بما فيه، وبها تجار المسلمين جماعة، وهذه المدينة أول ما يوالي الصين من بلاد المَلِيبَار، وإليها يسافر أكثرهم، والمسلمون بها أعزة ومحترمون"**، بالإضافة أنه من أبرز المحطات التموينية على الطريق التجاري البحري إلى بلاد الصين، والتي تزودت السفن العابرة بالمؤن اللازمة منه[٢٩]، وتعد كولم مركزًا صناعيًا وزراعيًا ضخمًا، وبها معَدَنْ النحاس، ويجلب إليها التجار العود[٣٠] والكافور[٣١]، وهي من السلع التي صدرت لبلاد جنوب الجزيرة العربية[٣٢]، ولم ترد كولم في الخطابات التجارية بكثرة، ولكن بين أيدينا إشارة لها في أحد الخطابات عن سفر أحد التجار لها بقوله: **"وشحنا القماش والحديد بالليل وهربنا إلى فاكنور ... ومضينا بالمركب إلى كولم وتوهنا في كولم"**[٣٣].

ناكور:

ذكر ابن بطوطة ناكور عند حديثه عن حركة القرصنة في المحيط الهِنْدي وأشار لها بأن: **"سلطان فاكنور كان من الفاسدين يقطع البحر ويسلب التجار وله نحو ثلاثة مراكب بحرية وقائد هذه المراكب مسلم يسمى لولا، وكان يخرج إلى البحر لكي يسلب التجار بضائعهم والمسافرين أموالهم"**[٣٤]، كما يذكرها أيضا في موضع آخر: **"وصلنا إلى الجزيرة الصغرى هنور وفاكنور خرج علينا الكفار في اثني عشر مركبا حربيا وقاتلونا قتالا شديدا وتغلبوا علينا فأخذوا جميع ما عندي ما كنت أدخره للشدائد وأخذوا الجواهر واليواقيت"**[٣٥]، وذكرت فاكنور في أحد الخطابات عن رحلة تجارية إلى السواحل الهِنْدية: **"وشحنا القماش والحديد بالليل وهربنا إلى فاكنور، وقد تركت عند يعقوب ابن ثابت بعض الفلفل... ووصلنا إلى فاكنور"**[٣٦].

تانة:

من مدن ساحل اللاروي في الهِنْد، تعد آخر المدن الساحلية الواقعة على بحر اللار[٣٧]، عرفت نشاطًا اقتصاديًا واسعًا لوقوعها على الخط الساحلي التجاري فتردد عليها التجار[٣٨]، فكانت محطة تجارية للتاجر الراغبين في السفر إلى مانجورا[٣٩]، كما كانت مقصدًا للتاجر اليهودي **محروس بن يعقوب** والذي سير العديد من الرحلات التجارية لها[٤٠].

كمباية- كنباية :

من المدن الساحلية الهِنْدية المهمة، تقع على خور البحر الهِنْدي، تحيط بها المدن والضياع والعمائر اشتهرت بصناعة النعال الكنبائية التي كانت رائجة في البلاد العربية[٤١]، قصدها التجار من جنوب الجزيرة العربية كما في الخطاب المؤرخ في ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م **"تبدأ القوارب حاليا من مكانك في كنباية"**[٤٢].

ميناء فانسور:

يقع بقرب بجزيرة سومطرة[٤٣]، اشتهر بكثرة تردد التجار اليهود للحصول على الكافور؛ حيث عد الكافور الفانسوري الأفضل وفقا لوثائق جنيزا، فلا عجب أن نراهم يقطعون شوطًا طويلًا من القاهرة إلى فانسور للحصول عليه، الأمر الذي يتطلب أربعة أشهر من السفر عن طريق مصر وعدن ومنها إلى سومطرة كما جاء في أحد الخطابات: **"مؤخرا وصل رجل يهودي من عدن واستجوبه رجل آخر عن هذا الرجل الذي سافر إلى الهِنْد، قال سمعنا أنه سافر إلى فانسور وتوفي في فانسور"**[٤٤].

بروش - بروتش:

ذكرت بروش في المصادر العربية بأنها مدينة **"باروج"** أو **"باروص"**، والتي تقع عند مصب نهر نربودا[٤٥]، ذكرها الإدريسي باسم باروج[٤٦]، وتشير بعض الخطابات لحركة السفر من جنوب الجزيرة العربية باتجاه بروش على الساحل الهِنْدي، كما في الخطاب الذي أرسله **إبراهيم بن يجو** إلى **خلف بن إسحق** يشكره على تعزيته في وفاة والده ويعزيه في فقدان شابين من اليمن في المحيط الهِنْدي بقوله: **"أعترف بكلمات تعزيتكم على وفاة والدي ...لم أشك أبدا في صداقتك، عزيزي الشيخ أبو إسحاق أعلم جيدا أن ما حدث معك هو مثل ما حدث معنا، هذان الشبان أبناء موسى، وهما يهوذا وحارون، سافرا إلى بروش ولكن السفينة أصيبت في خور الخليج؛ فتوفي الاثنان مع الشيخ أبو الفرج الماحي"**[٤٧]، واشتهرت أيضًا بنشاط قرصاني كما ورد في أحد الخطابات حول خطف أحد التجار من قبل القراصنة، وكان عالقًا في ميناء بروش، وتم مراسلته للمجيء لمانجالور للعودة إلى عدن[٤٨].

صندابور:

ميناء كبير في الهِنْد استقبل العديد من السفن وتميز بنشاط تجاري فكان مقصد التجار من كل مكان[٤٩]، ومن بينهم التجار اليهود كما ورد في خطاب من **علان** إلى **عروس بن يوسف** في الفسطاط، والذي قرر السفر من عدن إلى الهِنْد والذهاب إلى صندابور **"وأحب أن أعلمك أنـي وصلت إلـى عدن في جملة السلامة... واستخرت الله على السفر إلى صندابور"**[٥٠]، ويستكمل أيضًا في خطاب آخر قوله: **"سبب كتابي لحضرته هي إعلامه ما جرى في هذه الرحلة وذلك أني كنت أعلمته في الكتاب الذي تقدمت به له بالسفر إلى صندابور والوصول إلى المليبار"**[٥١].

ساحل كوكوماندیل - الكرومندل :

هي تلك المنطقة الواقعة في جنوب الهِنْد، تميزت بكثرة عبور المراكب التجارية إلى موانئ الهِنْد الشمالية الشرقية[٥٢]، وكانت مركزًا رئيسًا للتجارة قصدته السفن من الساحل الغربي للهند[٥٣]، وتميزت بإنتاج العنبر حيث سعى التجار للحصول عليه كما يظهر في أحد الخطابات: **"أنت توبيخني فيما يتعلق العنبر؛ ... لو كنت تعرف كم من المشاكل والنفقات التي تكبدتها للحصول على هذا العنبر لك، كنت قلت أنه لا يوجد شيء مثل ذلك في العالم"**[٥٤].

فاندراينا - فندرينة:

تقع في الجنوب الشرقي من ساحل المليبار اشتهرت بإنتاج الفلفل، ميناءها واسع تقصده مراكب التجار من السند والبلدان الأخرى، تعرف بإنتاجها لنوع من العود يعد من أجود أنواع الطيب المجلوب من بلاد الهِنْد وهو عود القاقلي[٥٥]، ورد ذكرها في أحد الخطابات المرسلة من عدن من **مضمون بن حسن** إلى **إبراهيم بن يجو** في مانجالور والمؤرخ في عام ٥٣٤هـ/١١٣٠م: "**أنت مدين بخمسة دنانير سعر السكر والذي ستستلمه من الشيخ أبو سعيد في مانجالور في سفينة الناخودا راميشت، وأرسلت لك إلى فانداريا مع الناخواد أحمد بن بختيرا حقيبة من النحاس الأحمر بعدد عشر قطع زنة بهار**[٥٦] **ونصف بسعر ١٠٢ دينار**"[٥٧]، وذكرت باعتبارها محطة تجارية في خطاب **إبراهيم بن إسحاق** من عدن إلى **إبراهيم بن يجو** والمؤرخ في ٥٣٢هـ/١١٣٨م "**أما عن شحنتكم يا سيدي فأرسلتها من فندارينا في سفينة فاتان سوامي مع الشيخ أبو الحسن بن جعفر**"[٥٨]، كما وردت في حسابات **إبراهيم بن بيجو** كمدينة مصدرة للحديد "**وعن عائدات أربعة بهار من الحديد تم بيعها في مانجالور لهذا اشتريت له من فانداريا ستة بهار من حديد (السلس) في كيسان**"[٥٩].

ثانيًا: محور جنوب الجزيرة العربية / الشرق الإفريقي:

ارتبطت موانئ جنوب الجزيرة العربية واليمنية على وجه التحديد بمجال تجاري كبير تجاه موانئ الشرق الإفريقي؛ حيث أبحرت السفن اليمنية بصفة مستمرة إلى تلك المنطقة، فيما استقبلت عدن السفن القادمة من تلك الجهات محملة بالتجار والسلع لتصريفها في الأسواق اليمنية[٦٠]، ومن بين الموانئ التجارية ذات الصلة بجنوب الجزيرة العربية طبقًا لما ورد في خطابات التجار اليهود.

سواكن:

تقع سواكن على الساحل السوداني جنوب السودان، عرفت منذ القدم كمحطة تجارية لخدمة السفن العابرة في البحر الأحمر، وعُدَّت من أفضل المراسي للحماية من العواصف البحرية، قطن بها العديد من التجار من الهِنْد وجنوب الجزيرة العربية[٦١]، فتميزت بدخلها التجاري الكبير، وهو ما يؤكده أبو الفداء بقوله بأن حاكم سواكن "**له ضرائب على التجار**"[٦٢].

احتلت سواكن حيز في مجمل التجارة المتبادلة بين جنوب الجزيرة العربية والشرق الإفريقي، ومع بداية حكم المماليك في مصر خضعت سواكن لمصر المملوكية ومنذ ذلك الوقت زادت أهميتها وتحسنت نظمها الإدارية وتطورت تجارتها[٦٣]، وتشير خطابات التجار اليهود لمكانتها التجارية وذلك ضمن حسابات وتعاملات التاجر اليهودي **بركات اللبيدي** في الخطاب المؤرخ في ٥٢٦هـ/٢٦ يناير ١١٣٢م من الفسطاط[٦٤].

بربرة:

مدينة ساحلية مهمة تقع على الساحل الشمالي بمحاذاة خليج عدن وتطل على البحر الأحمر[٦٥]، عرفها التجار العرب منذ أقدم العصور وترددوا عليها كثيرًا وبصفة خاصة التجار اليمنيين، وتبادلوا السلع التجارية معها[٦٦]، وتوجد بعض

الإشارات الواردة في خطابات التجار اليهود حول ميناء بربرة والذي خرجت منه السفن التجارية في طريقها إلى عدن "**ووصل المسافرون في هذين العامين في سفن من كل بحر ... من المنطقة الداخلية من بربرة**"(٦٧)، وهو ما حدث أيضًا في عام ٥٣٢هـ/١١٣٨م عندما انطلقت سفينة من ساحل بربرة باتجاه السواحل العدنية وقد واجهتها بعض الصعاب فقررت أن ترسوا ببربرة للحماية(٦٨).

دهلك:

ذكرت دهلك في المصادر العربية بـ (دهيك) ويصفها ياقوت الحموي بقوله: "**جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة**"(٦٩)، ويصف أبو الفداء دهلك بقوله: "**أنها جزيرة من جزائر بحر القلزم، وأنها جزيرة مشهورة في طريق المسافرين في بحر عيذاب إلى اليمن؛ أي أنها تقد في (بحر الحجاز) البحر الأحمر قريب ميناء عيذاب في مصر والطريق البحري الموصل بين مصر واليمن**"(٧٠)، خضعت للسيطرة اليمنية من قبل الزياديين (بنو زياد ٢٠٤-٤٠٩هـ/ ٨١٩-١٠١٨م) فكان صاحبها يرسل للدولة الزيادية ضريبة سنوية تتكون من ألف رأس من الرقيق بالإضافة إلى الهدايا(٧١)، واشتهرت دهلك بالعديد من التجارات منها اللؤلؤ(٧٢)، والذي احتل مكانة في تجارتها وشكل دخلًا عظيمًا لأهلها، بالإضافة إلى تجارة الأسماك(٧٣).

وذكرت دهلك في عدد من الخطابات، كما في الخطاب الذي يحمل دعوى قضائية من **أبو يعقوب الحكيم** ضد **يوسف اللبيدي** والمؤرخ في ٤٩٠هـ/ نوفمبر ١٠٩٧م، والذي يشير إلى دهلك بأنها مقصدًا لبيع المنسوجات بقوله: "**تلقيت منه مجموعة من المنسوجات ووصلت بها إلى دهلك، وفي دهلك لاحظت أن المنسوجات تباع جيدا لذلك باعت أفضل القطع**"(٧٤)، وبيعت بها كمية من المنسوجات "**بيعت في دهلك أربعين قطعة كل قطعة من ٧ -٨ دينار، وبيعت الباقي بـ ٦٠ دينارا**"(٧٥)، وفي خطاب آخر ذكر: "**مدين أيضا بعائدات العبهر، التي بيعت في دهلك وقيمتها ٤٠ دينارًا بالعملة المحلية والتي تعادل عشرة مثاقيل جيدة**"(٧٦)، في خطاب آخر مؤرخ من الفسطاط في ٤٩١هـ/ ١٢ أبريل ١٠٩٨م يشير أنه: "**بيعت ٨٠ مانا**(٧٧) **من العبهر في دهلك، بـ ٤٠ دينار دهلكي، بقيمة عشرة دنانير مصرية، وأخذت الباقي معي إلى الهِنْد**"(٧٨)، وفي نفس الخطاب يشير إلى نقله كمية من المرجان بقوله: "**حملت في ذلك المرجان التي من دهلك إلى الهِنْد تزن قنطار واحد ولم تتطلب مني نفقات إضافية على طول الطريق**"(٧٩)، وفي خطاب من **امرام بن يوسف** إلى **نهاري بن نسيم** من الإسكندرية والمؤرخ في ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، يذكر وأنه في طريقه إلى الشرق اجتمع **نهاري ابن نسيم** في دهلك مع **الشيخ أبو الحسن سلامة المعري**، والذي يطلب بجلب المبالغ المحصلة من الكافور من عدن(٨٠).

وفي خطاب من **ديفيد بن ميمون** إلى أخيه **موسى بن ميمون** من الهِنْد مؤرخ في ٥٦٦هـ/١١٧٠م يذكر فيه أن: "**أبو علاء لا يزال في دهلك؛ لأن السفينة التي سافر فيها قد تحطمت، ولم يتم إنقاذه أي شيء على الإطلاق من أمتعته**"(٨١).

ثانيًا: محور جنوب الجزيرة العربية/مصر:

اعتبرت موانئ جنوب الجزيرة العربية مكانًا ملائمًا للرحلات التجارية بين الشرق والغرب، فكانت السلع التجارية تنقل على طول الساحل الجنوبي لها ومنها إلى (بحر الحجاز) البحر الأحمر وعيذاب وقوس ومنها عبر النيل إلى الفسطاط وأخيرًا الإسكندرية لتشق طريقها إلى بلدان الغرب الإسلامي، ومن بين الموانئ والمراكز التجارية الوارد ذكرها في خطابات التجار اليهود.

عيذاب:

عُدَّت عيذاب من الموانئ التجارية المصرية المهمة بوصفها محطة لعبور الحجاج والتجار، كما يشير ياقوت عنها: **"هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد"**(٨٢)، ومنذ القرن الخامس الهجري اشتهر ميناء عيذاب بأهميته التجارية والدينية كونه ميناء الحج(٨٣)، وصار الناس لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب، فيركبون النيل من ساحل مدينة الفسطاط إلى قوص ثم يركبون الإبل من قوص، ويعبرون الصحراء إلى ميناء عيذاب ومنه بالمراكب إلى جدة، واعتبر الحج عبر عيذاب من الرحلات الشاقة والمتبعة، وهو ما أكده العديد من الرحالة نظر لقلة المياه وقسوة سكان تلك المنطقة وسوء معاملاتهم(٨٤)، وهو ما أكده **ديفيد بن ميمون**، والذي سافر لعيذاب عبر الصحراء من قوص بقوله: **"إنقاذ الله لنا فقط بسبب تحملنا التجارب المخيفة"**؛ حيث يستكمل رحلته عبر البحر إلى الهِنْد مرة أخرى **"إن الذي أنقذني من الصحراء وينقذني حينما في البحر"**(٨٥)، كما تشير إليها الخطابات بأنها محطة تجارية وموضعًا لتبادل السلع كما جاء في خطاب يشير إلى الشركة التجارية للشيخ **بلال بن جرير العوضي** حاكم جنوب اليمن بقوله أرسلت **"ستين بالة من اللك وزنها ١٠٠ بهار، وتدفع منها للرسوم والجمارك والشحن في عيذاب، وثمانية بالات من الفلفل تباع في عيذاب للمصاريف الجمركية"**(٨٦).

قوص:

تُعد قوص حلقة وصل تجاري بين مرسى عيذاب ومدينة الفسطاط، بالإضافة إلى أنها ملتقى الحجاج وصفها ابن جبير بقوله: **"حفيله الأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهِنْديين وتجار أرض الحبشة لأنها محط أنظار الجميع، ومحط للرحال ومجمع الرفاق، وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والإسكندريين ومن يتصل بهم، ومنها يفوزون بصحراء عيذاب"**، وبذلك تعد قوص وسيط تجاري بين عيذاب والفسطاط، ووقد اتخذها التجار اليهود معبرًا إلى جنوب الجزيرة العربية ومنها إلى الهِنْد، فكتب **ديفيد بن ميمون** إلى شقيقه **موسى** من ميناء عيذاب أثناء رحلته من قوص باتجاه عدن والهِنْد(٨٧)، كما نجد التاجر **أبو اليمين** يسافر لعدن عبر قوص(٨٨)، هذا وتوجد العديد من الإشارات في خطابات التجار عن قوص والمتعلقة بتجارة جنوب الجزير العربية والهِنْد خاصة في العقود الأربعة الأولى من القرن الثالث عشر الميلادي(٨٩).

الإسكندرية:

من أهم الموانئ المصرية التي لها نشاط تجاري واسع مع بلدان المشرق والمغرب وموانئ الشام وموانئ الغرب المسيحي والغرب الإسلامي، فيذكر الإدريسي[٩٠] **"كانت المرية إليها تقصد مراكب البحر من الإسكندرية"**؛ حيث توافدت المراكب التجارية المحملة بالبضائع من بلاد الشام، كما خرجت مراكب منها الأندلس محملة بمختلف السلع، كما وصلت البضائع الأندلسية إلى مكة واليمن عبر الإسكندرية[٩١]، ومثلت الإسكندرية معبرًا للتجار اليهود كما كانت للتاجر **خلفون بن ناتانئيل**، والذي أبحر على متن قارب بالنيل باتجاه الفسطاط ومنها إلى الإسكندرية[٩٢]، وعُدَّت للتجار اليهود سوقًا لتبادل المنسوجات من منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والتي أرسلت من تونس وصقلية إلى الإسكندرية ومن هناك إلى الفسطاط في طريقها لجنوب الجزيرة العربية في عبر ميناء عيذاب[٩٣]، كما بيعت بها السلع الأخرى إذ بيعت شحنة من المرجان في الإسكندرية والفسطاط مقابل ثلاثة عشر دينارًا ونصف[٩٤].

رابعًا: محور جنوب الجزيرة العربية/فارس:

تضمنت خطابات التجار اليهود محورًا تجاريًا امتد من جنوب الجزيرة العربية باتجاه بعض المدن الفارسية الساحلية وبخاصة مدينة التاز في جنوب شرق بلاد فارس، ومدينة القومة جنوب شرق بلاد فارس، والتي ربطتها علاقات تجارية بين موانئ عمان الساحلية خاصة على الطرف الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية، كما جاء في له مراسلات بين **يوسف اللبيدي** إلى **حسن ابن بندار "طلبت من الرب أن يمنحني أزيد من خمسين بهار فلفل... لقد خرجنا جميعا وذهبتم إلى الميناء ...دخلت أرض التاز، وقد سمعت ما حدث لي في التاز"**[٩٥].

قيس:

برزت قيس كقاعدة بحرية في الخليج العربي، فكانت مرسى سفن الهِنْد والصين، عجت أسواقها بالتجارة الشرقية، واحتكر حكامها التجارة لحسابهم فكان لهم الأساطيل التي تعمل لحسابهم، ومع تزايد أهمية (بحر الحجاز) البحر الأحمر لتجارة المحيط تضاءلت أهمية قيس التجارية[٩٦]، الأمر الذي دفع حاكم قيس لشن حملة عسكرية على عدن بسبب ارتفاع المكانة التجارية لعدن على حساب قيس، وهو ما ذكره تفصيلًا خطابات التجار اليهود عن تلك الغارة التي قادها حكام قيس على عدن عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م **"وكان هذه السنة جهز صاحب قيس إلى عدن طلب قطعة من عدن ولم يعطوه، أخذ الجهاز ... وقعدوا في مكلا عدن ينتظروا المراكب ولم يدخلوا البلد فكان في البلد خوف منهم"**[٩٧].

خامسًا: محور جنوب الجزيرة العربية/ الإسكندرية – المهدية - الأندلس :

وجودت صلات تجارية بين بلاد الغرب الإسلامي وبلدان الشرق الأقصى والهِنْد والصِّين عن طريق جنوب الجزيرة العربية، والتي كانت محط وملتقى للتجار القادمين من الغرب الإسلامي والوافدين إليها لتبادل البضائع والسلع؛ حيث تشير الوثائق اتصال تجارة الهِنْد مع أقطار شواطئ البحر المتوسط (بحر الروم) الجنوبية

والشرقية منذ القرن ٦هـ/١٢م، بوصفها تجارة مرور لتبادل للسلع الشرقية القادمة من أقطار الشرق الأقصى[٩٨]، وحدد التجار الأَنْدُلُسيين لأنفسهم مجالًا لحركتهم التجارية مع الأسواق الإسلامية سواء الشرقية أو الغربية، وتاجروا بحرية حتى وصلوا إلى الصِّين والهِنْد[٩٩]، فتاجر بعض من علمائها في أرض الهِنْد بأموال كبيرة وتجارة ضخمة فكان للتجار الهنود، وبخاصة المشاهير منهم عديد من الرحلات التجارية إلى بلدان الغرب الإسلامي[١٠٠].

وما كانت لتتم أوجه التبادل التجاري بين تلك المناطق لولا وجود منطقة تعمل على تسهيل الحركة التجارية من محطات وأسواق بجنوب الجزيرة العربية، وهو ما أشارت إليه خطابات التجار اليهود نظرًا لامتلاكهم شبكة الشراكة التجارية الواسعة بين التجار اليهود في الأَنْدُلُس وغيرهم من العاملين في تجارة الشرق؛ ومن أبرز التجار اليهود التاجر **خلفون بن ناتانئيل** والذي امتدت صفقاته التجارية شرقًا وغربًا، وذاع صيته في مصر والأَنْدُلُس، وكان زعيمًا لطائفته في مصر لكثرة نشاطاته التجارية خلال الفترة من (١١٢٥-١١٤٦م) ما دفع العديد من التجار اليهود وغيرهم لمشاركته[١٠١]، وكذلك التاجر **خلفون بن ليفي** وهو صاحب نشاطات عديدة وصفقات تجارية في الهِنْد والمغرب واليمن والأندلس[١٠٢]، وكذا التاجر **مخلوف بن موسى** فكان دائم السفر بين الأَنْدُلُس والهِنْد[١٠٣]، وعمل على جلب وتصدير للسلع والبضائع بينهما[١٠٤]، والتاجر **دافيد بن ميمون** فكان أحد أبرز التجار اليهود الأَنْدُلُسيين في تجارة مع الهِنْد، والذي توفي أثناء إحدى الرحلات التجارية في المحيط الهِنْدي عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م[١٠٥].

كما انطلقت تجارة جنوب الجزيرة العربية باتجاه الأندلس عن طريق مدينة المهدية، والتي تقع على ساحل البحر المتوسط (بحر الروم) بإفريقية (تونس)[١٠٦]؛ حيث توجد بعض الخطابات التي تناولت النشاط التجاري بين جنوب الجزيرة العربية ومدينة المهدية، إذ كتب **إبراهيم يجو** بعد وصوله إلى عدن إلى إخوته في المهدية خطابًا مؤرخًا في ٥٤٤هـ/١١ سبتمبر ١١٤٩م يذكر فيها إرساله شحنة تجارية من مصر بقوله: **"لا بد لي من أن أخبرك يا أخي ... أرسلت لك من مصر شحنة ... عطر بقيمة ٤٠ دينارًا بوزن خمسين أوقية يحملها أبو نصر ابن إليشع"**[١٠٧]، في خطاب إلى أمين التجار في عدن والمؤرخ في ١٠٩٧م، من **يوسف الحكيم** يظهر كيف أن **يوسف اللبيدي** سافر غربًا إلى المهدية، وجمع البضائع في طريقه من التجار الآخرين من أجل التجارة معهم وهو نفس الشيء فعله في الفسطاط[١٠٨]، وتشير بعض خطابات ووثائق الجنيزة عن قيام رحلات تجارية من بلاد المغرب الإسلامي عن طريق سجلماسة ومنها والتي كانت ملتقى القوافل القادمة من مختلف المناطق باتجاه الهند[١٠٩].

سادسًا: محور موانئ جنوب الجزيرة العربية (عدن- مرباط-زبيد).

اتصل هذه المحور التجاري في المنطقة الممتدة من الطرف الغربي للقارة الآسيوية والتي يحدها (بحر الحجاز) البحر الأحمر غربًا، والمحيط الهِنْدي وخليج عدن جنوبًا، والخليج العربي (الخليج الفارسي) وخليج عمان شرقًا،

وعن أشهر الموانئ والمراكز التجارية في تلك المنطقة حسب ما ورد في خطابات التجار اليهود.

عدن:

اتسع نشاط ميناء عدن التجاري في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فشمل الكثير من البلدان، وأصبحت عدن أحد المرافئ الدولية الكبيرة التي يتعامل معها التجار **"من المرافئ العظام ولا زرع بها ولا ضرع، وبها العنبر والعود والمسك ومتاع السند والهِنْد والصين والزنج والحبشة وفارس والبصرة وجدة"**، فهي مرسي بلاد اليمن ومرسى أهل الهِنْد تأتي إليها المراكب من كنباية وتانة وكولم وفندرانية ومانجولار وفاكنور وصندابور وغيرها[١١٠]، وقُدرت المراكب التي تدخل عدن في العهد الأيوبي ما بين (٧٠-٨٠) مركب محملة بمتاجر الهِنْد والصين بالإضافة لسفن الحبشة وشرق أفريقيا[١١١]، وهو ما يؤكده الخطاب المؤرخ في٥٥١هـ/يناير-فبراير ١١٥٦م حيث **"وصل المسافرون في السفن من السنة التي غرقت فيه سفينة كولامي، ووصل المسافرون في هذين العامين في سفن من كل بحر: من جميع أراضي هند ومقاطعاتها، من أرض الزنج ومقاطعاتها، ومن بربرة من المنطقة الداخلية من الحبشة ومقاطعاتهم ومن الشحر وقمر ومحافظاتهم، وجاء جميع المسافرين إلى عدن في هذين العامين"**[١١٢].

كما كانت محطة للتجارة العابرة في البحر والمحيط الهِنْدي، وأصبحت أهم قاعدة لصناعة النقل البحري في غرب المحيط الهِنْدي، فاتخذها التجار كمكان للإقامة وقاعدة للشحن التجاري في المحيط الهِنْدي[١١٣]؛ لذا مثلت مداخيلها لحكام عدن واليمن مصادر الأموال والدخول الرئيسية في جنوب الجزيرة العربية؛ حيث **"يصل إليها من جباية عدن عن المراكب العشرية مما لا يقع بموافقة وضمان، ويعمل بالأمانة، فربما زادت المراكب ونقصت والمرتفع له في السنة عن هذا المكان على التغريب مائتا ألف دينار عشري"**[١١٤].

وفي النصف الثاني من القرن ٩هـ/١٥م اقتصر دور عدن على الوساطة التجارية، بعد القيود التي فرضها سلاطين المماليك على عدن، وبخاصة أن معظم التجار المترددين كانوا مصريين، فحذر سلاطين المماليك (في عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) أصحاب السفن الشرقية من الرسو بسفنهم في عدن، وطلب منهم الرسو مباشرة في جدة، وإذا رست السفينة في عدن ضاعفوا عليها الضرائب، والتي وصلت إلى ١٠٪ من قيمتها وفي بعض الأحيان وصل الأمر إلى المصادرة[١١٥].

جبلة :

يقع هذا الميناء جنوب غرب مدينة آب[١١٦]، ورد في خطابات التجار اليهود باسم Dhu Jibla ، وهو ميناء يتوسط بين عدن وصنعاء، كانت عاصمة **الصليحين** في اليمن (٤٣٩-٥٣٢هـ/ ١٠٤٧-١١٣٦م) فأخذت قدرًا كبيرًا من الأهمية فكانت مقصد للتجار[١١٧]، وهو ما جاء في عدد من الخطابات، والذي يعكس دورها التجاري في جنوب الجزيرة العربية[١١٨]، كما في خطاب **مضمون بن حسن** والمؤرخ في ٥٣٠هـ/١١٣٥م[١١٩]، وفي خطاب **يوشع**

كوهين بن يعقوب إلى **إبراهيم بن يجو** عام ٥٤٤هـ/١١٥٠م[١٢٠].

غلافقة:

مدينة على ساحل البحر تقابل زبيد كانت مرفأ للسفن القاصدة ميناء زبيد[١٢١]، وقد عُدَّ ميناء غلافقة Ghulayfiqa محطة تجارية مهمة في جنوب الجزيرة العربية؛ حيث تأتيه السفن من الموانئ اليمنية المختلفة لتبادل السلع وأصناف البضائع كما برز دوره في عمليه الحج اليمني[١٢٢]، وتشير خطابات التجار إلى أن ميناء غلافقة كان أحد الموانئ البديلة لميناء عدن كما جاء في خطاب **يوسف بن إبراهيم** إلى **سليمان ابن أبو زكرى كوهين** من عدن والمؤرخ في ٥٤٧هـ/٣١ أكتوبر ١١٥٢م، والذي يشير إلى رحلة العودة من بروش عبر الموانئ جنوب الجزيرة العربية كميناء مرباط وغلافقة، ومن هناك انتقل مباشرة إلى مصر دون المرور بعدن[١٢٣]، كما تشير الخطابات لحدوث بعض من حالات الغرق والتحطم للسفن التجارية المارة في تلك المنطقة بالقرب من ميناء الغلافقة وبخاصة المبحرة إلى الهِنْد؛ حيث فقدت الأرواح والبضائع[١٢٤]، وهو ما ورد في حساب **لإبراهيم ابن يجو** والمؤرخ في ٥٤٤هـ/١١٤٩م عن غرق سفينة تحمل شحنة من الفلفل والهيل لتاجرين عدنيين هما: **خلف بن إسحاق ويوسف ابن إبراهيم**، فضلا عن غرق حمولة من الحديد **إبراهيم بن بيجو**[١٢٥].

زبيد:

ذكرت زبيد في مواضع قليلة في خطابات التجار، فهي من المرافئ الموجودة على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، ففي خطاب من **يوسف بن إبراهيم** إلى **إبراهيم بن يجو** من عدن ومؤرخ في٥٤٤هـ/١١٥٠م، يذكر فيه هروب إحدى السفن والمعروفة بـ (الفوفالي) إلى ميناء زبيد[١٢٦]، وفي خطاب آخر من **خلف بن إسحاق** إلى **إبراهيم بن ييجو** مؤرخ في ٥٤١هـ/١١٤٦م، يفيد باستلام شحنة تجارية من الهِنْد عبر ميناء زبيد شمال غربي عدن **"واستقل سفينة ... وصلنا من زبيد ثلاثة فقط منها، واحدة للشيخ مضمون، واحدة للشيخ يوسف، وواحدة لي"**[١٢٧].

جدة:

فرضة مكة المكرمة وتقع شمالًا على ساحل البحر الأحمر، فكانت مقصد لمراكب التجار من كل مكان من مصر وبلاد الشام والغرب الإسلامي والشرق الإفريقي فكانت بها متاجر عديدة[١٢٨]، وتوجد في خطابات ما يفيد بأن التجار القادمين من الغرب الإسلامي اعتادوا بيع تجارتهم من الحرير والنحاس في مصر وبلاد الشام؛ حيث مثل ميناء جدة الميناء البديل لهم لتصريف بضائعهم، كما في الخطاب المؤرخ في ٤٢٩هـ/١٠٣٦م؛ حيث اتفق أحد التجار على نقل شحنة من البضائع من مصر إلى ميناء جدة[١٢٩].

مرباط:

ميناء صغير على ساحل البحر جنوب عمان، اشتهر بكونه مرسى مناسب للتجار، سمي بهذا الاسم لكثرة ما كان يربط به من الخيل[١٣٠]، يعد من أوائل الموانئ في جنوب الجزيرة العربية التي تمر به المراكب القادمة من الشرق والغرب، بسبب نشاطه في مجال تجارة المحيط

الهِنْدي[١٣١]، وورد ميناء مرابط في خطابات التاجر اليهود **يوسف اللبيدي** إلى **حسن بن بدر** من الفسطاط والمؤرخ في ٤٩١هـ/١٠٩٨م باعتباره محطة للتبادل التجاري والحركة البحرية في جنوب الجزيرة العربية؛ حيث يذكر **"ولكنك سمعت أيضا أنني وصلت إلى مرباط بأمان مع ما تم إنقاذه من سلعي، واشتريت لك الحديد وأرسلتها لك من مرباط كبديل عن البضائع التي فقدت في رحلتي"**[١٣٢].

جبال القمر:

يقع هذا الميناء في على السواحل العمانية، ورد ذكره في مواضع قليلة من خطابات التجار اليهود كميناء تجاري، إذ جاء في خطاب يؤكد خروج بعض السفن التجارية من ميناء القمر إلى عدن، وتردد السفن التجارية الأخرى**"وصل المسافرون في السفن ... من كل بحر ... الشحر وقمر ومقاطعتها"**[١٣٣].

المبـادلات التجاريـة في جنـوب الجزيرة العربية :

امتد النشاط التجاري في بلاد جنوب الجزيرة العربية وحسب ما أوردتـه وثائق الجنيزة وخطابات التجار اليهود إلى الهِنْد شرقًا حيث استخدم مصطلح الهِنْد بالمعنى الواسع للمكان، شاملًا كل الأنشطة التجارية والحركة الملاحية والسفر إلى شواطئ سمطرة وأندونسيا[١٣٤]، كما اتصلت بدورها ببلاد الأندلس ومجتمع البحر المتوسط (بحر الروم) غربًا، حيث تكثر الخطابات والمراسلات التي تناولت المبادلات التجارية بين بلدان البحر المتوسط (بحر الروم) من عدن إلى صقلية، ومن دهلك إلى طرابلس الليبية، ومن الإسكندرية إلى الهِنْد[١٣٥]، والتي أوردت العديد من المنتجات الشرقية والتي كانت جنبًا إلى جنب مع منتجات البلاد المتعاملة معها[١٣٦].

إن من أبـرز ما قدمته وثائق جنيزة هي المعلومات القيمة عن طبيعة العلاقات التجارية التي ربطت اليهود بعضهم البعض[١٣٧]، وقد تكونت هـذه الصلات والشركات التجارية برؤوس أموالهم في تجارة أبناء دينهم وتكشف الخطابات عن سفنهم التجارية وجالياتهم في الكثير من الموانئ والمدن التجارية[١٣٨].

أولاً: الوكلاء التجاريين:

برز في النشاط التجاري في جنوب الجزيرة العربية الوكلاء التجاريين، وهم ثقات للتجار الكبار في الموانئ والمراكز التجاري، وعملوا معهم وفي نفس الوقت أدوا أعمالهم التجارية الخاصة بهم، استخدموا في السفر إلى الأماكن البعيدة والقيام بأعمال البيع والشـراء نيابة عنهم[١٣٩]؛ حيث تمت عملية شحن البضائع في جنوب الجزيرة العربية عن طريق هؤلاء الوكلاء بتوجدوا في الميناء المقصود؛ حيث يعهد إليه ناخودا بذلك، أو نراهم يسافرون على متن السفن[١٤٠].

ومن أشهر هؤلاء الوكلاء **مضمون بن حسن** ممثل التجار ووكيلًا عنهم في عدن بجنوب الجزيرة العربية كما كان من قبل والده **حسن ابن بندار**[١٤١]، امتلك سفينة تجارية كوالده وعمل وسيطًا تجاريًا بين يهود منطقة البحر الأبيض المتوسط والتجار النشيطين في الهِنْد[١٤٢]، شمل نشاطه مشاركة غيره من التجار في بناء السفن التجارية وشرائها وإبحارها، إذ كتب أنه شيد

سفينة كما قام بتجهيز ثلاث سفن عسكرية أرسلت إلى ميناء زبيد اليمني بالتعاون مع **بلال ابن جرير** حاكم جنوب اليمن(١٤٣)، كما في خطابه من عدن **لإبراهيم بن يجو** في الهِنْد والمؤرخ في٥٢٤هـ/١١٣٠م، نجد رغبة مضمون في إبحار سفينة من عدن باتجاه **منجالور "إذا كانوا يقومون بتجهيز سفينة في عدن، وهم يريدون مني أن أشارك، سأشارك معهم إذا كانت هناك سفينة تبحر لمنجالور هذا العام، وأود أن ترسل لهم الذهب والسكر والزبيب وغيرها من السلع، تأكد من إبلاغهم عن كل هذا، ولا تكون مقصر"**(١٤٤)، وعلى الرغم من ذلك فقد تعرض **مضمون** لخسارة مبالغ كبيرة في العديد من عمليات الشحن(١٤٥).

وفي بعض الأوقات عمل كبار التجار على مساعدة غيرهم في جلب السلع والبضائع وإتمام علميات البيع والشراء، كما فعل التاجر **يوسف ابن إبراهيم** من عدن مع **ابن يجو** في الهِنْد قائلا له: **"مع العائدات المرسلة اشتري لي كمية صغيرة من الحديد والهيل إذا كان متوفرا، وإذا كنت تستطيع قليلا العبهر أو ما تراه مناسبا"**(١٤٦).

هذا الأمر أدى لقيام بعض الشراكات بين ملاك السفن التجارية وبعض التجار والتي تمت بروابط وترتيبات قانونية خاصة في ظل وجود المحاكم اليهودية، والتي حفظت أطر هذه الشراكات، بتحديد النسب والاستثمارات، وتوزيع الأرباح أو الخسائر، فاحتفظوا بقوائم دقيقة عن الكميات والأسعار، وكذلك نفقات النقل والشحن والأجور المدفوعة للحمالين والعمال، فضلاً عن مبالغ الرشاوى دفعت إلى مسئولي التجارة، كما وجدت أيضًا بعض هذه الشراكات بين اليهود والمسلمين(١٤٧).

وعلى الرغم من ذلك فقد نشأت بعض الخلافات التجارية بين أوساط التجار ووكلائهم وهو ما حدث **لإبراهيم بن ييجو** مع **التاجر موسى بن مخلوف**، إذ طالبه بتسديد مبلغًا من **ابن ييجو** بعد أن أرسل قرابة العشرين رسالة إلى **مضمون** ليساعده في تحصيل دينه ويهدد فيها بالطعن أمام المحاكم، وفي رسالة أخرى من **موسى بن مخلوف** إلى **أبي ذكري كوهين** يذكر فيها أن يخطط للسفر إلى عدن لجمع أمواله من **ابن ييجو**(١٤٨).

ثانيا: تجار جنوب الجزيرة العربية في خطابات التجار اليهود:

قبل الحديث عن أهم التجار في تجارة جنوب الجزيرة العربية كما أوردتهم الخطابات، نلقي الضوء سريعًا على (الناخودا)، وهم مالكي السفن التجارية أو العاملين عليها أو قادتها، وتظهر الخطابات امتلاك التجار اليهود للسفن التجارية في المحيط الهِنْدي خلال القرن ١١-١٣م، في الوقت الذي امتلكوا فيه حصة أصغر بكثير من سفن البحر المتوسط (بحر الروم) خلال القرن ٥هـ/١١م فصاعدًا(١٤٩)، والناخودا هم في الأصل تجار أثرياء وزعماء محليين ارتبطوا ارتباطًا وثيقًا بالمؤسسات الدينية، واعتبر الناخودا من الشرفاء والموثوقين بهم، وأنشأ بين الناخودا وبعضهم البعض روابط دون تفرقة بين عرق أو دين وهو ما يوضحه تحالف التاجر **محروس**

ابن يعقوب والناخودا **"تينبو"** الهِنْدي وبعض الناخودا الآخرين، كما ارتبط مصطلح ناخودا ببعض الأفراد والعائلات كلقب شرفي يمنحهم الوضع الاجتماعي، إلا أن بعضهم لم يستغل الثقة التي منحت لهم فبدأوا يتصرفون بطريقة يشوبها السرقة والاحتيال على موكليهم من التجار(١٥٠).

وعن أشهر التجار اليهود الذين شكلت تجارتهم محورًا أساسيًا في النشاط التجاري بجنوب الجزيرة العربية؛ التاجر **إبراهيم بين ييجو** فهو من أكثر التجار الوارد ذكرهم في تجارة الهِنْد، ويرجع أصله لمدينة المهدية، أقام ما لا يقل عن سبعة عشر عامًا في الهِنْد خلال الفترة ما بين ١١٣٢ – ١١٤٩م، وقضى ثلاثة أعوام آخرين في جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، ومن بعدها عاد إلى مصر، أنشئ في الهِنْد معملًا لتصنيع الحديد(١٥١)؛ حيث اعتمد على وكلائه لجلب المواد الخام من الحديد والنحاس والقصدير وغيرها من المعادن، كما في أحد الخطابات من **يوسف بن إبراهيم** بقوله: **"لقد أرسلت إلى الشيخ إبراهيم بن ييجو، عن طريقة وكاليه التاجر مضمون إلى مانجالور، في سفينة ناخودا محروس- سلمها الله تعالى - حقيبة تحتوي على النحاس، مكونة من أربع قطع من الخردة، وصينية نحاسية ذات عشرة أعمدة تزن ٤١ ونصف رطل(١٥٢)، ومرجل طويل في حقيبة منفصلة يزن ١٢ رطلا، بإجمالي وزن ٥٣ رطل"**(١٥٣).

ولكثرة تلك الأعمال التجارية تعددت خطاباته لشركائه من الهِنْد إلى عدن، وبعضها أرسل لأماكن أخرى غير عدن(١٥٤)، وتحمل في مضمونها وصفًا دقيقًا لحركة التجارة والسلع والأحداث في جنوب الجزيرة العربية، كما جاء في الخطاب المؤرخ في ٥٣٠هـ/١١٣٥م والمرسل من وكيله في عدن **مضمون بن حسن** عن الهجوم الذي شنه حاكم قيس ضد عدن(١٥٥)، كما نرى بعض وكلائه يرسلون له من عدن يطلبون بعض السلع **"رجاء أصنع لي صينية بنفس الحجم الذي أرسلته إليك... أما ما تبقى من النحاس يرجى بيعه، ومع عائداته دفع رسوم الصانع، مع شراء كمية صغيرة من المكسرات أو الهيل أو الكركم إذا لم تكن المكسرات متوفرة"**(١٥٦).

ويعدُّ أيضًا التاجر **محروس بن يعقوب** من أشهر التجار اليهود الذين سكنوا عدن، فكان دائم السفر بين عدن والهِنْد، وتذكره الخطابات بأنه ناخودا على الأقل في أحد عشر مرة أكثر من أي تاجر آخر تشارك في مجال النقل البحري من الهِنْد شرقًا إلى مصر غربًا، وله العديد من السفن التجارية المبحرة على طريق عدن – مانجالور، ارتبط به لقب ناخودا رغم وفاته نظرًا لمكانته التجارية، كما نراه يسعى لإقامة روابط عائلية مع كبرى العائلات اليهودية الرائدة في مجال التجارة الهِنْدية(١٥٧)، فيزوج أخته من **يهوذا بن يوسف بن كوهين** ممثل التجار في مصر والذي شقيقته هي الأخرى متزوجة من **مضمون بن حسن** ممثل التجار في عدن، وهكذا نرى أن هؤلاء التجار عززوا أوضاعهم الاقتصادية بإقامة روابط عائلية مرتبة بعناية(١٥٨)، كما امتدت تجارته بتجارة "الكارم" فنراه يرسل من عدن إلى الفسطاط قبل سفره إلى الهِنْد مجموعة من الهدايا والسلع(١٥٩).

من أبرز التجار اليهود وأشهرهم في خطابات التجار **خلفون بن ناتانئيل** والـذي يُعرف بـ **"أبى سعيد الدمياطي"**، من أبناء مدينة دمياط بمصر، وأحد التجار الجائلين في عالم العصور الوسطى، امتدت صفقاته التجارية شرقًا وغربًا، وأطلق عليه في خطابات الجنيزة **"الرجل الذي يعد أهم شخصية بين زعماء عهده"**(١٦٠)، ذاع صيته في مصر والأَنْدُلُس، وكان زعيمًا لطائفته في مصر لكثرة نشاطاته التجارية ما دفع العديد من التجار اليهود وغيرهم لمشاركته(١٦١)، فجاب الهِنْد والمغرب واليمن والأندلس(١٦٢)، ويعد أحد أبرز تجار اليهود الذين تاجروا مع الهِنْد، واتخذ العديد من المساعدين والوكلاء التجاريين من بلاد المغرب والذين اتصلت رحلاتهم إلى عدن(١٦٣).

وهناك إشـارة إلـى أن التاجر **خلفون بن مضمون** رئيس الطائفة اليهودية باليمن، امتلك مجموعة من السفن التجارية؛ حيث جاء في أحد الخطابات غرق سفينة تجارية تابعة له تُعرف بـ"الكيلامي" بعد خمسة أيام من إبحارها من عدن في اتجاه الهِنْد(١٦٤).

كما كان التاجر **ابن المقدم** والغير معروفة هويته - يهوديًا أو مسلمًا أو هنديًا- أبحرت سفينته عبر طريق عـدن/ زبيد - مالابار (دهبان)، ولكنها غرقت شرق عدن، وحلت محلها سفينة جديدة غرقت هي الأخرى قبالة ساحل غلافقة، ولكن تم إنقاذ بضائعه وأرسلت مع الناخودة **جوهر المقدضي** أو الناخودا **يوسف**(١٦٥).

ويذكر اسم التاجر **خالفون بن شيماريا ليفي** أو **أبو سعيد بن محفوظ** والمعروف باسم ابن جماهير/ جميهر، وهو يهودي مصري نشط في تجارة المحيط الهِنْدي امتلك سفينة تعرف بـ "مبارك" والتي كانت بالقرب من عدن كما ورد في الخطاب المؤرخ في ٥٤١هـ/ ١١٤٦م **"أنا ركبت سفينة مبارك التي سوف تبحر إلى مانجالور تحت إشـراف الشيخ أبو سعيد بن مـحـفـوظ"**(١٦٦)، فكان تاجرًا مهمًا في تجارة الهِنْد وعدن بالإضافة لمشاركته في الشؤون اليهودية(١٦٧).

ومن ضمن التجار النشطين في تجارة الهِنْد **أبو زكري الشامى** من بلاد الشام اسمه كاملا أبو زكري يحيى زكريا بن سار شالوم ابن الشامي، ذكر عنه أنه ناخودا وأرسلت معه شحنة في سفينة صغيرة سافرت من اليمن إلى الهِنْد، كان مسؤولًا عن أسطول لتجارة الكارم ومسؤولًا عن شحنة لأحد التجار وهو **مضمون بن يافث** أرسلت عبر ميناء عيذاب إلى الفسطاط(١٦٨).

وورد ذكـر التاجر **موسى بن صدقة** في أحد الخطابات ومطالبته بتدخل الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي لإنهاء أزمته وتعطل أحواله بعد عودته من الهِنْد واليمن حاملًا **"بأنه وصل من الهِنْد واليمن بتجارة وقراض معه، فأعيق بشبهة لم تتحقق"**(١٦٩).

والتاجر **نيهورى بن نسيم** أحد التجار الكبار وله العديد من المناديب التجاريين في معظم الموانئ والمراكز التجارية للفحص والتأكد من النوعيات المتفق عليها، ففي خطاب طلب **نيهورى بن نسيم** من التاجر **يوشا بن إسماعيل المخمورى** طالبه بفحص قافلة من الحَرِير قادمة إليه من **الإسْكَنْدَرِيَّةِ** تحمل أنواعًا مختلفة من

الحَرِير كالحَرِير[١٧٠]، إلا أن تجارته مع الهِنْد كانت قليلة مقارنة بصقلية وشمال أفريقيا وسوريا وفلسطين ومصر، وعلى الرغم من ذلك امتد نشاطه إلى المنتجات الشرقية كالكافور والفلفل، والقرفة، والمنسوجات الفارسية والقمح والزيت والعسل[١٧١].

بالإضافة للتجار اليهود نجد تجارًا من جنوب الجزيرة العربية وبخاصة اليمنيين؛ حيث كان التاجر اليمني وسيطًا بارزًا في حركة التجارة الدولية آنذاك في ظل طلب التجار أنواعًا محددةً من السلع والبضائع لاحتياج السوق لها[١٧٢]؛ حيث نجد حاكم جنوب اليمن وعدن **بلال بن جرير العوضي**، والذي ذكر في عدد من الخطابات التجارية مشاركته **مضمون بن حسن** ممثل التجار بميناء عدن في عدد من الصفقات التجارية وكذلك بناء بعض السفن للسفر إلى الهِنْد[١٧٣].

كما أشارت الخطابات للتجار الهنود والذين سعوا لتوفير السلع من المناطق الداخلية في الهِنْد وساحل ماليبار، وإرسالها لجنوب الجزيرة العربية، ومن أمثلتهم التاجر الهِنْدي **بانيا** والذي كان مسؤولاً عن توريد (٢١) بهار من الحديد إلى سفينة النخودة **مضمون** لنقلها إلى عدن، ولكنه استطاع أن يوفر (١٨) بهار فقط بسبب نقص كميات الحديد، كما تشير الخطابات إلى قدوم بعض السفن التجارية المملوكة لتجار هنود والتي أبحرت بانتظام في خط التجارة (عدن – مليبار)، ففي خطاب مؤرخ في ٥٣٢هـ/١١٣٨م نجد سفينة تجارية مملوكة للتاجر **فيديار** Fidyar، وسفينة أخرى للتاجر **نامبيار** Nambiyar، هذا بالإضافة لسفينة التاجر **فاتان** سوامي Fatan Swami (باتاناسوامي) الذي أرسل سفينتين في وقت واحد إلى عدن وصل الأصغر بأمان والقارب الأكبر تحطم عند باب المندب وغرق، وسفينة له تحمل الفلفل والحديد من فانداريـنة بالهِنْد[١٧٤]، ولعل اسم **فاتان سوامي** هو اسم مشتق من اللغة الهِنْدية القديمة يعني رئيس التجار في الميناء أو في السوق ويترجم إلى **"رب المدينة"** كما يشير **جواتيان**[١٧٥]، كما كان التاجر والناخودا **تينبو** من أشهر التجار الهنود والذين تشاركوا مع بعض الناخودا بعدن في عدد من الصفقات التجارية[١٧٦]؛ حيث أرسلت له العديد من الخطابات من قبل **محروس بن يعقوب** من مانجالور إلى تانة كما في الخطاب **"يا سيدي، إذا كنت بحاجة إلى أي ذهب، يرجى أن تعتبر حسابي من ناخودا تينبو لأنه يقيم في تانة، وبيننا روابط الصداقة والأخوة اللذان لا ينفصلان"**[١٧٧].

ثالثًا: التبادل السلعي في خطابات التجار اليهود:

تضمنت خطابات التجار اليهود قائمة بأبرز السلع والبضائع التي هي محور عملية التبادل التجاري من وإلى جنوب الجزيرة العربية، والتي خضعت للحالة الاقتصادية داخل تلك الموانئ؛ حيث لم يكن الاستقرار السياسي-مع أهميته الكبيرة- هو وحده الحاكم في انخفاض الأسعار وارتفاع مستوى المعيشة؛ لأن الشروط الاقتصادية للسوق تتأثر ولأسباب مختلفة بالتقلبات التي تنشأ في بعض الحالات من كثرة المعروض من السلع أو لقلة الطلب عليها ما

يعني أن الأسعار كانت متغيرة طبقًا لمعايير الجودة وعمليتي العرض والطلب، كما جاء في خطاب **مضمون بن حسن** في عدن **لإبراهيم ابن ييجو** في الهِنْد والمؤرخ في٥٣٠هـ/١١٣٥م والذي يتضمن إشارات عن انخفاض كبير في أسعار الفلفل في عدن وقلة الطلب عليه نتيجة اضطراب الحالة الاقتصادية في مصر بقوله: **"الأخبار من مصر كانت متواضعة ونتيجة لذلك بيعت السلع بشكل ضعيف، ولم يكن هناك طلب على الفلفل أو غيره من البضائع، باستثناء أسبوع قبل الإبحار"**(١٧٨).

كما أثرت حالة الكساد داخل الأسواق على وجود بعض السلع كما في خطاب **علان** إلى **عروس بن يوسف** في الفسطاط والذي يذكر فيه **"وأحب أن أعلمك أني وصلت إلى عدن على جملة السلامة ووجدنا أن الأسواق كاسدة، ونصف ما مع يلم يباع"**(١٧٩)، وفي غير ذلك كانت حركة السوق جيدة وتنشط معها حركة البيع كما جاء في أحد الخطابات: **"وصلنا إلى عدن بالقارب قبل المراكب، وبعت ٢٠ بهار من الحرير بسعر طيب حيث كان معي ٧٢ بهار و٥٠ قطعة، وبعت٤٠ بهار من القرنفل... وأردت الخروج فوجدت الفلفل ٣٥ دينار للبهار فامكنني أن أغيب هذه المدة واشتري الفلفل من عدن"**(١٨٠).

واعتلى ترتيب السلع القادمة من الهِنْد الفلفل والتوابل بالإضافة إلى الحديد والنحاس ومواد بناء السفن كالأخشاب(١٨١)، وبخاصة من ساحل ماليبار في الهِنْد(١٨٢)، سواء للاستهلاك المحلي أو لإعادة بيعه إلى باقي البلدان، كما جاء في خطاب **مضمون بن حسن** في عدن **لإبراهيم بن ييجو** في الهِنْد بقوله: **"ولم يكن هناك طلب على الفلفل أو غيره من البضائع... هل سألت مالكي الفلفل عن العشور أنهم باعوه لأقل من ٢٠ دينار لكل بهار؛ لذلك كنت صبور معهم من أجل العشور حتى يوم الإبحار، حتى وفد الناس من جميع الأنحاء وتم تحديد سعر الفلفل عند ٢٣ دينار لكل بهار"**(١٨٣)، وجاء أيضًا في خطاب **يوسف بن إبراهيم** إلى **إبراهيم بن ييجو** عام ٥٤٨هـ/١١٥٠م أن الأسواق العدنية كانت من أهم المناطق لبيع الفلفل والمتاجرة به **"كان الفلفل هذا العام رخيص وبيع بشكل ضعيف ولا يضمن رأس المال فهو استثمار محفوف بالمخاطر الذي يفقده الجميع الثقة في الربح"**(١٨٤).

وكانت المنسوجات وبصفة خاصة الفوط من السلع المكررة في الخطابات، والتي تم إرسالها من مصر إلى عدن ومن عدن إلى الهِنْد، وهي عبارة عن قطعة طويلة من القماش غير مصبوغة، تلبس حول الجسم على غرار الساري، أو تغطية الكتفين(١٨٥)، كما جاء في الخطاب المؤرخ في ٥٣٤هـ/١١٤٠م، والذي يشير إلى جلب الفوط من مصر عندما اشتراها تاجر من الإسكندرية في طريقه إلى الشرق، وكذلك التاجر العدني الذي أرسل بطلب الحصول على أفضل الفوط المتوفرة في القاهرة الأمر الذي اضطره لدفع **"مثقال واحد لكل قطعة"** فوق ثمنها فحصل على أسعار أفضل في عدن(١٨٦)، وبالإضافة للفوط أرسلت بعض المنسوجات الأخرى كالحرير، كما ورد في خطاب **مضمون** إلى **ابن ييجو** والذي يذكر فيه: **"أرسلت لك أيضا (هدية) مني: وشاح جديد من الدرجة الأولى،**

والدبيقي الخام، التي لديها فرقة جميلة على كل جانب، ومناسبة للرجال"[١٨٧]، كما أرسلت بعض الأردية القيسية إلى الهِنْد عن طريق عدن كما في الخطاب **"وعلاوة على ذلك عشرة أردية قيسية"**[١٨٨].

وعُدَّت الحديد من بين السلع الأكثر طلبًا والتي أرسلها **إبراهيم بن بيجو** إلى جنوب الجزيرة العربية، إذ شكل أهمية تجارية كبيرة تضاهي في قيمتها التوابل الهِنْدية وبخاصة الزنجبيل الـهِـنْـدي[١٨٩]، كما في الخطاب المرسل من **مضمون بن حسن لإبراهيم بن بيجو** والمؤرخ في ٥٢٤هـ/١١٣٠م والذي يفيد بأنه تلقى أقفال حديدية مع شحنة أخرى من التوابل[١٩٠]، فكان الحديد بجميع أنواعه المذكورة في خطابات التجار اليهود سلعة رائجة في الأسواق العدنية **"الحديد في هذه السنة كان جيد في عدن مباع وجميع أنواع الحديد الأخرى وفي العام المقبل سيكون هناك سوق جيدة وكذلك في السنة القادمة لأنه لا يوجد أي شيء على الإطلاق في المدينة، يرجى أخذ هذا التنبيه"**[١٩١]، كما يذكر أنه شُحنت كمية كبيرة من الحديد تقدر بـ (٢٠) بهار من عدن إلى الهِنْد كما جاء في خطاب **مضمون** إلى **إبراهيم بن بيجو: "يسلم إلى مولاي في بلاد الهِنْد، ويكون الحديد المقبوض منه بعدن ٢٠ بهار وماية وعشرين رطل"**[١٩٢]، وعـن أنـواع الحديد المذكورة في خطابات التجار اليهود من وإلى جنوب الجزيرة العربية النوع المعروف بـ (البياض)[١٩٣]، ونوع آخر يعرف بـ(الرسمي)[١٩٤]، وآخر بـ(محدث)[١٩٥]، ونوع آخر (لامـع)[١٩٦]، والنوع المعروف بـ (السلس)[١٩٧].

بالإضافة للحديد وجد النحاس من بين السلع الموجودة في الأسواق العدنية؛ حيث يذكر **يوسف اللبيدي** في خطابه **"أما بالنسبة للنحاس فقد بيعت كمية منه تقد بـ (٢١) بهار لم تكن مناسبة للتصدير إلى الهِنْد، واشتريت نوع آخر وأرسلت له فلفل ليتم بيعها هناك"**[١٩٨]، كما كان اللؤلؤ من السلع المتداولة في خطابات التجار اليهود، وهو ما جاء في الخطاب المرسل من عدن إلى القاهرة عن مجموعة من اللؤلؤ[١٩٩].

بالإضافة للسلع الهِنْدية كانت السلع الخاصة بشرق إفريقيا موجودة هي الأخرى في جنوب الجزيرة العربية، ومن بينها الجلود والعاج والذهب، في حين قدمت جنوب الجزيرة العربية وبخاصة اليمن مجموعة متنوعة من السلع من بينها الطيور والحيوانات والمنسوجات وبخاصة البرد اليمنية[٢٠٠].

وعلى رأس تلك السلع الحصر البربرية والتي جلبت إلى عدن من ميناء بربرة كما جاء في خطاب **مضمون بن حسن** إلى **إبراهيم بن بيجو** والمؤرخ في٥٢٤هـ/١١٣٠م بقوله: **"لقد أرسلت لك مع عبد المسيح الشماس، حزمة من حصير بربرة، مكونة من ستة وملفوفة في قماش كتب اسمك عليها بالعربية والعبرية"**[٢٠١]، كما يذكر الحصير البربري في خطاب آخر مؤرخ في ٥٢٨هـ/١١٣٣م باعتباره أحد السلع المُصدرة إلى الهِنْد بقوله: **"حصر بربرة في حزمة مسجلة بالعبرية والعربية ودينار واحد"**[٢٠٢]، وكذلك في خطاب آخر من عدن مؤرخ في ٥٣٠هـ/١١٣٥م يشير أيضًا حزمة من الحصر البربرية[٢٠٣].

أخطار السفر والتجارة في جنوب الجزيرة العربية:

تذكر العديد من الخطابات تأثر عملية النقل التجاري في جنوب الجزيرة العربية بعدة عوامل منها تعرض السفن التجارية للغرق والتحطم بالإضافة إلى العواصف البحرية في البحر الأحمر والمحيط الهِنْدي؛ حيث توجد دلالات على تحطم عدد من السفن قرب مضيق باب المندب، وساحل أبين شرق عدن، وساحل غلافقة، والسواحل الهِنْدية[٢٠٤]، كغرق إحدى السفن قرب عدن كما جاء في أحد الخطابات: **"وقد أنقذ الغواصون من البحر بعض بضائعه"**، وتحطم سفينة **ليجو** ٥٣٨هـ/١١٣٨م، تحمل الحديد بالقرب من باب المندب **"أما بالنسبة للحديد، فقد تم جلب البحارة من عدن، يجب أن الغوص لها وإنقاذ ذلك. انقذوا نحو نصف الحديد"**[٢٠٥].

لهذا مثلت الرحلة البحرية حالة من المعاناة والخوف في بعض الأحيان نتيجة الصعوبات والأهوال والمخاطر، وهو ما أكده **ديفيد بن ميمون** بقوله: **"إنقاذ الله لنا فقط بسبب تحملنا التجارب المخيفة"**، ونراه يستكمل رحلته عبر البحر إلى الهِنْد مرة أخرى وضع ثقته في الله **"إن الذي أنقذني من الصحراء وينقذني حينما في البحر"**[٢٠٦]، وكذلك رحلة **يوسف اللبيدي** بقوله **"لقد تعرضت لأهوال كما تعلمون، ولكنك وصلت لمرباط بأمان مع ما تم إنقاذه من سلعي"**[٢٠٧].

تلك المخاطر خلقت نوعًا من أنواع الخوف والرهبة الأمر الذي فرض على بعض التجار طلب السلامة وتمنيها؛ فمنهم من كان يصوم من أجل السلامة **"لم يدخل الطعام أو الشراب فمها حتى وصلت رسالتكم الموقرة"**، وأحدهم يصلي من أجل ذلك، وبعضهم اتخذ من سلامة وصوله قسمًا كما فعل أحد تجار الهِنْد المعروفين في عدن بقوله: **"بحقيقة من خلقني وخلقك وحقيقة من الذي أمر سلامتي على البحر والأرض، حيث سافرت ووصلت بأمان"**[٢٠٨]، ومنهم من ردد بعض آيات التوراة عند وصوله أمنّ وشكر الله[٢٠٩]؛ لذا أطلق بعضهم على السفن التي يمتلكوها بعض الأسماء لتمنحهم الثقة والبركة في استكمال السفر، ومن بين تلك الأسماء سفينة **"المبارك"**، وسفينة **"الموفق"**[٢١٠].

وترتب على تلك المخاطر والأهوال فقدان بعض التجار للعديد من السلع والبضائع كما ورد في خطاب مرسل من **خلف بن إسحاق** إلى **خلفون بن ناتانئيل** من عدن ومؤرخ في ٥٣٤هـ/ ١٤- ١١ نوفمبر ١١٤٠م، يذكر فيه: **"كتب الشيخ إسحاق السجلماسي أن الشعاب المرجانية فقدت في البحر مع الأشياء الأخرى"**[٢١١]، وفي خطاب آخر: **"وأنه بعد أيام أنقذ الغواصين من البحر بعض بضائعه"**[٢١٢]، وهنا تجدر الإشارة إلى وجود فئة من الغواصين كانت مهمتها تتمثل في إنقاذ وجلب البضائع الغارقة وردها لأصحابها مقابل أجر متفق عليه، وتواجدوا في عدن لإنقاذ شحنات الحديد الأمر الذي حتم على السلطات في عدن إنفاق أموالاً إضافية على الغواصين لإنقاذ الحديد وتحمل أيضًا تكلفة إلى أسواق عدن الداخلية[٢١٣].

الرسـوم الجمركيـة فـي موانـئ جنوب الجزيرة العربية:

توضح لنا خطابات التجار اليهود بعض الرسوم الجمركية التي فرضت في موانئ جنوب الجزيرة العربية من مكوس وضرائب، والتي فرضت على السفن التجارية المارة بالموانئ، وكذلك على البضائع المشحونة في تلك السفن عند وصولها.

فعن النوع الأول؛ فتقدم بعض الخطابات معلومات قيمة عن حركة الجمرك ونقل البضائع والرسوم المفروضة في موانئ جنوب الجزيرة العربية، والتي شكلت مصدرًا مهمًا للدخل بسبب كثرة الأعمال التجارية وحركة التبادل التجاري؛ حيث حُصل في عدن على الفلفل وبعض السلع الهِنْدية الرئيسية ما يوازي ثلث سعر ثمنها[٢١٤]، كما يشير **ابن ييجو** عن بعض البضائع التي نقلت من عدن إلى عيذاب بقوله: **"الرسوم على قطر ثلاثة وسادس ونصف قيراط، وعلى الجنزبيل واحد وثلث وربـع، واللبان خمسة ونصف، وزيت الصبار سبعة وثلثين وقيراط ... وخمسة قطع من الفخار الصيني دينار، ورسوم النقل والجمارك على الطريق خمسة ونصف وربع، ورسوم نقل للبان والقطر الثلث والربع؛ والرسوم على اللبان في عيذاب ثلث قيراط"**[٢١٥].

وفي خطاب مؤرخ في ٤٩٢هـ/ ١٢ أبريل ١٠٩٨م يفيد بأن التاجر **يوسف اللبيدي** دفع بعض الرسوم الجمركية وكذلك الرشاوى بقوله: **"للحمالين وقائد القارب دينار واحد ... دفعت من عيذاب إلى دهلك ستة وربع دينار، وفي دهلك رسوم جمركية للقطعتين ستة دنانير، بعد أن قدمت رشاوى بمبلغ دينار واحد، ودينارين للشحن ودفعت دينـار واحـد من دهلك إلى عدن"**[٢١٦]، وكان إجمالي ما أرسل إلي في إحدى الصفقات ما قدره **"وإجمالي ما أنفق في عدن لمواد التعبئة والجلود وسلال النخيل والحبال والحزام ١٢ دينارا، وحصيلة الفرضة ١٦ دينارا، وشحن السفينة ٢٨ دينارا، وإجمالي الجمارك في دهلك وميناء نيزالا**[٢١٧]"[٢١٨].

كما خَصص بعض التجار اليهود جزءًا من عائدات البيع كرسوم للجمارك كما ورد في أحد الخطابات. **"وعن ثمانية بالات من الفلفل يتم بيعها في عيذاب للمصاريف الجمركية والشحن، وكذلك رداء قاسي للجمارك في سواكين وغيرها من الأماكن"**[٢١٩]، وفي خطاب **خلف بن إسحاق** بعدن إلى **إبراهيم بن يجو** بـداهباتان، يخبره بأنه دفع الرسوم الجمركية المقررة على السلع من حصة البيع المقررة بقوله: **"وبالمثل أخذت من سيدي شيخ مضمون ٣٠ رطل من الهيل من حصتك ودفعت من ثمنها الرسوم الجمركية، كما كتبت"**[٢٢٠]، وجاء أيضًا في أحد الخطابات: **"وصلنا إلى عدن وقد تحصل لي بعد العشور ألف وخمسماية دينار ... وأيضا (٢٧) دينار بعد للمكوس"**[٢٢١]، وهو ما يؤكده الخطاب المرسل لـ **إبراهيم بن ييجو** بأنه دُفع جزء من المبالغ المحصلة للجمارك والحمالين بقوله: **"وهما مائتين سبعة وأربعين دينار وربع، يخصم من ذلك العشور والمونة والحمال سبعة وعشرين دينار"**[٢٢٢].

ومما سبق يتضح أن التجار اليهود امتلكوا خبرة تجارية كبيرة استطاعوا من خلالها أن

يحسبوا وبدقة كافة التكاليف والرسوم وعائدات المكسب وفرص الخسارة، كما فعل **يوسف اللبيدي** بتقديم المساعدة لممثلي التجار في الفسطاط في حساب نفقات النقل والجمارك والمستحقات الأخرى في الموانئ المصرية عبر نهر النيل والبحر الأحمر، وعدن وعلى طول الطريق إلى الهِنْد(٢٢٣).

أما النوع الثاني؛ فهي تلك الرسوم التي تُحصل على السفن المارة في سواحل وموانئ جنوب الجزيرة العربية، وهو ما يشير إليه خطاب **يوسف اللبيدي** أثناء عودته من الهِنْد؛ حيث ذكر أنه ظل وقتًا طويلاً في ميناء مرباط ومنها أرسل البضائع المجلوبة من الهِنْد مع أحد التجار إلى عدن؛ حيث لم يبحر إلى عدن وتحول مباشرة إلى دهلك لتفادي الرسوم الجمركية الباهظة بعدن(٢٢٤)، ونفس الأمر بالنسبة للتجار القادمين من الهِنْد أو جنوب بلاد فارس ومن شرق الجزيرة العربية فتفادوا السفر إلى عدن وفضلوا المرور بمرباط كما جاء في الخطاب المؤرخ في ٤٩١هـ/١٠٩٧م(٢٢٥).

وفي خطاب آخر مؤرخ في أغسطس ٥٩٦هـ/١١٩٩م يؤكد فرض رسوم جديدة على كل القادمين إلى عدن من التجار؛ حيث تم تحصيل (١٥) دينار عن كل (١٠٠) دينار من حجم التجارة: **"كان التجار غاضبين من الفرضيات الجديدة ... وكان الخليفة قد أمر بأخذ ١٥ دينار عن كل ١٠٠ دينار من الجميع عند الوصول والمغادرة ... وكل فرد قادم في وقت لاحق سوف يضطر لدفع ١٥ من ١٠٠ دينار من جميع السلع، وأيضا من الذهب والفضة، ومن القمح، وباختصار، من كل شيء"**(٢٢٦).

أهم النتائج:

- احتوت أوراق الجنيزة على خطابات وقوائم حسابات وموارد مالية وضرائبية، ومعلومات قيمة عن أثمان بعض السلع والمتاجر المختلفة وكذلك سجلات قضائية وإيصالات، وعقود إيجارات، وقروض ومقايضة ومشاركة، ومعظمها مراسلات تمت بين تجار أرسلوا خطاباتهم من عدن أو بعض المدن الأخرى في جنوب الجزيرة العربية، إلى أحد الموانئ المطلة على (بحر الحجاز) البحر الأحمر، أو الهِنْد، أو (الفسطاط) مصر، والغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) وبالعكس، والتي أوضحت أهمية المبادلات التجارية بين تلك الأقطار وموانئ جنوب الجزيرة العربية.
- عُدَّ اليهود من أهم العناصر التي عملت في النشاط التجاري بين بلدان المشرق والمغرب؛ لما وجدوه من ترحيب وتسهيل في بلدان ومدن الخلافة الإسلامية؛ لذا لعبوا دورًا فعالًا في اقتصاد الدول الإسلامية وبالأخص تجارتها، وأصبحوا أنشط الفئات التي مارست التجارة في ظل الحكم الإسلامي.
- رسمت خطابات التجار اليهود خريطة شبه كاملة عن حركة التجارة في جنوب الجزيرة العربية، والتي كانت نقطة الربط بين خطوط التجارة الشرقية والغربية وحلقة الوصل مع تجارها، عبر البحر المتوسط، وغربًا عبر (بحر الحجاز) البحر الأحمر ومنها إلى المحيط الهِنْدي جنوبًا، وصولًا إلى الهِنْد شرقًا.
- تشكلت شبكة من الطرق التجارية كان

محورها جنوب الجزيرة العربية عبر محاور للتجارة العالمية، كان أهمها محور جنوب الجزيرة العربية / الهِنْد، ومحور جنوب الجزيرة العربية/ الشرق الإفريقي، ومحور جنوب الجزيرة العربية / مصر، ومحور جنوب الجزيرة العربية/ فـارس، ومحور جنوب الجزيرة العربية / المهدية – الأندلس، وأخيرًا محور موانئ جنوب الجزيرة العربية (عدن - مرباط - زبيد).

- برز في النشاط التجاري في جنوب الجزيرة العربية الوكلاء التجاريين، وهم ثقات للتجار الكبار في الموانئ والمراكز التجارية، واستخدموا في السفر إلى الأماكن البعيدة، والقيام بأعمال البيع والـشـراء نيابة عن شركائهم.
- نشأت بعض الشراكات التجارية بين ملاك السفن التجارية وبعض التجار اليهود وفق روابـط وترتيبات قانونية خاصة في ظل وجود المحاكم اليهودية، والتي حفظت أطر هذه الشراكات، بتحديد النسب والاستثمارات، وتوزيع الأرباح أو الخسائر.
- شكل (الناخودا) جـزءًا أصيلاً وكبيرًا من حركة التجارة في جنوب الجزيرة العربية، والناخودا هم مالكي السفن التجارية أو العاملين عليها أو قادتها، وهم في الأصل تجار أثرياء وزعماء محليين ارتبطوا ارتباطًا وثيقًا بالمؤسسات الدينية، وعُدَّ الناخودا من الشرفاء والموثوقين بهم، وأقاموا روابط دون تفرقة بين عرق أو دين؛ لذا نجحت العمليات التجارية المرتبطة بهم.
- تضمنت خطابات التجار اليهود قائمة بأبرز السلع والبضائع التي هي محور لعملية التبادل التجاري من وإلى جنوب الجزيرة العربية؛ حيث اعتلى ترتيب السلع الفلفل والتوابل بالإضافة إلى مواد بناء السفن كالأخشاب، والمنسوجات وبصفة خاصة الفوط، كما عُدَّ الحديد من بين السلع الأكثر طلبًا، بالإضافة إلى النحاس فكان من بين السلع الموجودة في الأسواق العدنية، كما كانت بضائع شرق إفريقيا موجودة هي الأخـرى في جنوب الجزيرة العربية، ومن بينها الجلود والعاج والذهب والحصر البربرية.
- تأثرت عملية النقل التجاري في جنوب الجزيرة العربية بعدة عوامل منها تعرض السفن التجارية للغرق والتحطم بالإضافة إلى العواصف البحرية في البحر الأحمر والمحيط الهِنْدي؛ حيث توجد دلالات على تحطم عدد من السفن قرب مضيق باب المندب، وساحل أبين شرق عدن، وساحل غلافقة، والسواحل الهِنْدية.
- أوضحت لنا خطابات التجار اليهود بعض الرسوم الجمركية التي فرضت في موانئ جنوب الجزيرة العربية من مكوس وضرائب، والتي فرضت على السفن التجارية المارة بالموانئ، وكذلك على البضائع المشحونة.

ملحق

خريطة لجنوب الجزيرة العربية وأهم المدن والموانئ ذات الاتصال التجاري بها من خلال خطابات التجار اليهود

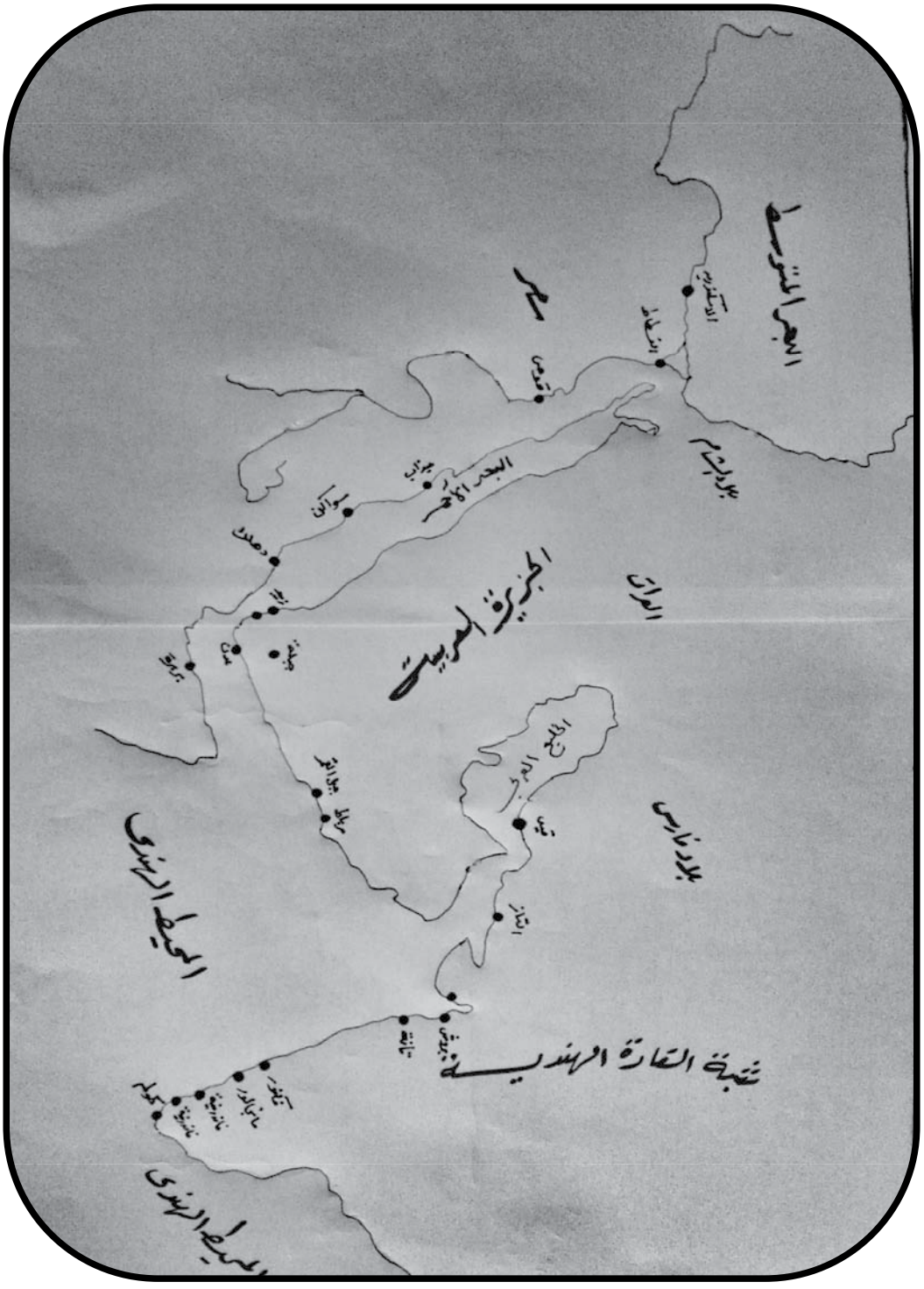

الحواشي

١. جواتياين، دارسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تحقيق: عطية القوصي، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م)، ص٢١٢-٢١٣.

٢. حسانين ربيع، وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ الحجاز واليمن في العصور الوسطى، ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، (السعودية، مطبوعات جامعة الرياض)، ج٢، ص ١٣٢.

3. Goitein: The Social Services Of The Jewish Community As Reflected In The Cairo Geniza Records (II), Jewish Social Studies, Vol. 26, No. 2 (Apr., 1964), P.78

4. Goitein And Mordechai Akiva Friedman: India Traders Of The Middle Ages Documents From The Cairo Geniza (India Book), Brill, Leiden , Boston, 2008, p.212

5. Moshe Gil: The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century Geniza Documents, Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 46, No. 3 (2003), p.274.

٦. الفلورين (Florin): من العملات الأوروبية القديمة ولعلها عملة فلورنسية أو هولندية أو إنكليزية. منير البعلبكي، معجم المورد، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م)، ص٣٥٦.

٧. ول وايريل ديورنت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (تونس، ١٩٨٨م)، ص٦١.

8. Goitein, Letters Of Medieval Jewish Traders, (Princenton University, 1972), p. 223

9. Norman A. Stillman: The Eleventh Century Merchant House Of Ibn ‘Awkal (A Geniza Study), Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 16, No. 1 (Apr., 1973), P.28.

10. Goitein, Letters,264-267.

١١. أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، (الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧م)، ج٢، ص١٤٨.

١٢. ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)، مختصر كتاب البلدان، (ليدن، ١٩٦٧م)، ص٢٧٠.

١٣. سلام شافعي محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م)، ص ١٥٤-١٥٥.

١٤. المَلِيبَار: إقليم كبير يشتمل على مدن كثيرة، يقصده تجار جنوب الجزيرة العربية، ومن أشهر مدنه "المولتان، والمنصورة، والديبل، وكولم، وصيمور"، وعرف هذا الإقليم بأسماء أخرى قبل أن يشتهر باسم "المَلِيبَار" وهذا الاسم الأخير اشتهر بفضل مؤرخي العرب، وأصل كلمة مَلِيبَار أنها مركبة من جزئين من" ملي" وتعني الجبل، و"بـار" وتعني الكثير، فبذلك يكون معناها بلد الجبال. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٩٦؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، (المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، ١٤١٧هـ/١٩٩٧)، ج٢، ص١٠، ١٣٦؛ ١١٣. القلقشندي، أبى العباس أحمد بن على القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤٢٢م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، (دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م)، ج٥، ص٧٣.

15. Goitein, Indian book, p.147

16. Goitein, Indian book, p.146

17. ()S. Digvijay Kumar Singh: Note On The Coastal Economy: Malabar C.11th - 12 The Centuries, Proceedings Of The Indian History Congress, Vol. 72, Part-I (2011), P.392.

18. Goitein: India book, p.20.

١٩. القلقشندي، المصدر السابق، ج٥، ص٦١، ٦٧؛ جواتيان، المرجع السابق، ص٢٥١.

٢٠. المهدية: مدينة ببلاد المغرب الإسلامي في منطقة إفريقية (تونس). ياقوت الحموي، شهاب الدين أبى عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٧م)، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج٥، ص٢٢٩.

21. S. Digvijay Kumar, Op.cit.,P.392.

٢٢. عبير كريم عبد الرضا الشاوي، تجار الكارم وأثرهم الاقتصادي والحضاري من القرن الرابع وحتى القرن التاسع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، (بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٥م)، ص١٦٧.

٢٣. حسانين ربيع، المرجع السابق، ص ١٣٤.

24. Goitein: letters, p.64

٢٥. شفيقة عيساني، شبه القارة الهندية و بلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين -الفترة ما بين القرن الثالث إلى الثامن الهجري من ٩الى ١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨م)، ص٤٣

٢٦. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج٤، ص٤٠.

27. Goitein: India book, p.149

٢٨. ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٢، ص١٤٣.

٢٩. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، (بمطابع ليدن، ١٨٨٩م)، ص٦٢.

٣٠. العود: يشبه شجر البلوط وأوراقه كأوراقها ولا ثمرة له وقشرته رقيقة، أما عيدانه وورقه غير عطري، يستخدم للأغراض الطبية، وجزء منه يستخدم في صناعة التذهيب. عبير الشاوي، المرجع السابق، ص٢١٦.

٣١. الكافور: يستخرج من شجرة سفحية بحرية، بعد إحداث شق في الشجرة، يسيل السائل في أواني مصنوعة تحت الشجر أو أحيانا يحصلون عليه من قلبه. عبير الشاوي، المرجع السابق، ص٢١٤.

٣٢. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط٣، (مصر، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلي، ١٩٥٦م)، ص١٠٦: ١٠٧.

33. Goitein , Portrait of a Medieval India Trader: Three Letters from the Cairo Geniza, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 50, No. 3 (1987), p. 455

٣٤. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج٤، ص٣٩.

٣٥. ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤، ص٣٩؛ شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب, ١٩٩٠م)، ص٨٠

36. Goitein, Three Letters from the Cairo Geniza, p. 455

٣٧. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه: رينورد، والبارون ماك كوكين ديسلان، (باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م)، ص٣٥٨.

٣٨. شفيقة عيساني، المرجع السابق، ص٣٧.

39. Goitein, Indian book, p.477

40. Goitein, Indian book, p.152

٤١. شفيقة عيساني، المرجع السابق، ص٣٣

42. Goitein: letters, p.64.

٤٣. جزيرة سقطرى تقع في المحيط الهِنْدي، تميزت بعلاقاتها الاقتصادية مع جنوب الجزيرة العربية وبخاصة بلاد اليمن ومدينة الشحر والذين كانت لهم وكلات ومناديب في تلك الجزيرة. ياقوت، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٧.

44. Goitein: letters, p. 228.

٤٥. شفيقة عيساني، المرجع السابق، ص٣٩

٤٦. الإدريسي (من علماء القرن السادس الهجري)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج ١، ١٨٧

47. Goitein, Indian book, p.58

48. Goitein, letters, p.62.

٤٩. شفيقة عيساني، المرجع السابق، ص٣٩

50. Goitein, Three Letters from the Cairo Geniza, p. 454

51. Goitein, Three Letters from the Cairo Geniza, p. 455

٥٢. شفيقة عيساني، المرجع السابق، ص٤٧

٥٣. شوقي عبد القوي، المرجع السابق، ص١٣٤

54. Goitein, letters, p. 223

٥٥. شفيقة عيساني، المرجع السابق، ص٤٥

٥٦. البهار: وزن يقدر في بعض الأحوال بثلاثمائة رطل وفي أحوال أخرى أربعمائة أو ستمائة رطل. الزبيدي، تاج العروس، مادة بهر.

57. Goitein, Indian book, p.332.

58. Ibid., p. 599

59. Ibid., p. 636

٦٠. علي حسين أحمد، النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي (٢٠١ - ٦٢٦ هـ ٨١٦ - ١٢٢٨م)، رسالة دكتوراه، (جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات، ٢٠٠٢م)، ج١، ص٣٠١.

٦١. نعيمة شديد محمد، أهمية الموانئ السودانية للتجارة الدولية عبر (بحر الحجاز) البحر الأحمر خلال العصر الإسلامي، (السعودية ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز - العلوم التربوية، ع(١٣)، ٢٠٠٠م)، ص ٢٦٨-٢٧٢.

٦٢. أبو الفدا، المصدر السابق، ص٣٧١.

٦٣. نعيمة شديد محمد، المرجع السابق، ص ٢٦٨-٢٧٢.

64. Goitein, Indian book, p.259

٦٥. ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٠.

٦٦. ياقوت، المصدر السابق، ج١، ٣٦٩؛ على حسين أحمد، المرجع السابق، ص٣٠٠

67. Ibid., p.535

68. Ibid., p.599

٦٩. ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٢.

٧٠. أبو الفدا، المصدر السابق، ص٣٧١؛ محمد كريم إبراهيم، جزر دهلك في البحر الأحمر أهميتها وعلاقتها باليمن خلال العصور الإسلامية، (العراق، مجلة الخليج العربي، ١٩٨٩م)، مجلد ٢١، ع (٢)، ص١١٩.

٧١. علي حسين أحمد، المرجع السابق، ص٣٠١

٧٢. اللؤلؤ: يسمى الصغير منه لؤلؤ، وعندما تبلغ الحبة منه مثقال سميت درة، وهو على ألوان عدة منه الأصفر والأحمر والأخضر والأزرق وهذه الألوان ناتجة عن ملاصقتها لأعضاء الحيوان. عبير الشاوي، المرجع السابق، ص٢١٧.

٧٣. محمد كريم إبراهيم، المرجع السابق، ص١٢٢.

74. Goitein, Indian book, p.172

75. Ibid, p.184

76. Ibid, p.172

٧٧. المن: يساوي شرعًا رطلين، كل رطل يتكون من ١٣٠ درهم، وكان المن ذو الـ ٢٦٠ درهما في الجزيرة العربية (٨١٢,٥ جم) في مكة يعرف بالرطل، وكان من القمح والعسل والتمر يساوي ٣ أرطال مصرية (١,٣٥جم). فالتنس هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (منشورات الجامعة الأردنية،١٩٧٠م)، ص٤٤.

78. Goitein, Indian book, p.188

79. Ibid, p.188

80. Ibid, p.293

81. Goitein, letters, p. 210

٨٢. ياقوت، المصدر السابق، ج٤، ص١٧١.

٨٣. آمنة حسين علي: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، (السعودية، جامعة أم القرى، ١٩٨٧م)، ص٨٦.

٨٤. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير المسماة " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار "، (بيروت، دار صادر، (د.ت)) ، ص٤٧-٤٨.

85. Goitein, Indian book, p.157

86. Goitein, Indian book, p.374; letters, p. 184

87. Goitein, Indian book, p.157

88. Goitein, Indian book, p.462

89. Goitein, Indian book, p.499

٩٠. الإدريسي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٧؛

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط١، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)، ص ١٨٤.

٩١. ابن حوقل، صورة الأرض، (بيروت، دار صادر، (د.ت))، ص ١٠٥ – ١٠٦.

92. Goitein, Indian book, p.158

93. Goitein, Indian book, p.177

94. Ibid, p.214

95. Ibid, p.206

٩٦. شوقي عبد القوي، المرجع السابق، ص١٢٦.

97. Goitein, Indian book, p.57, 341-342, 453, 464

٩٨. جواتيان، المرجع السابق، ص٢٥١.

٩٩. اوليفيا ريمي كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب: فيصل عبد الله، ط١، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١١١.

١٠٠.جواتيان، المرجع السابق، ص٢٥٤.

١٠١.كونستبل، المرجع السابق، ص١٥٥؛ جواتيان، المرجع السابق، ص٢٦١.

102. Goitein, Indian book, p.14.

١٠٣.كونستبل، المرجع السابق ، ص١٥٦.

١٠٤.Ibid, p.٦٥.

١٠٥.كونستبل، المرجع السابق ، ص١٥٦.

١٠٦.ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص٢٢٩-٢٣٠.

107. Goitein, letters, p. 203

108. Goitein, letters, p. 177

١٠٩.جواتيان، المرجع السابق، ص٢٦١.

١١٠.ابن بطوطة، المصدر السابق، ج٢، ص١١١.

١١١.القرقوطي، معمر الهادي، العلاقات التجارية بين مدينتي عدن و زيلع في العصر الإسلامي، (الجزائر، مجلة التراث، مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، جامعة زيان عاشور بالجلفة، ٢٠١٤م) ع ١١، ص٦٠.

112. Goitein, Indian book, p.535

113. Goitein, Indian book, p.155

١١٤.ابن حوقل، المصدر السابق، ص

١١٥.شوقي عثمان، المرجع السابق، ص١٢٤

١١٦.الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٦.

١١٧.علي حسين، المرجع السابق، ص١٥٥-١٥٦.

118. Goitein, Indian book, p.19

119. Goitein, Indian book, p.390

120. Goitein, Indian book, p.709

١٢١.الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٨.

١٢٢.علي حسين، المرجع السابق، ص٢٩٣

123. Goitein, Indian book, p.433

124. Ibid., p.433

125. Ibid., p.665

126. Ibid., p.592

127. Ibid., p.619

١٢٨.الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٤-١١٥.

١٢٩.حسانين ربيع، المرجع السابق، ص٢٠٨.

١٣٠.فريد، على محمد فريد مفتاح، موانئ الساحل العماني ودورها في تنشيط حركة السلع التجارية المتبادلة بين عمان وبلاد الهند في العصر الإسلامي (٧٠٠ - ٣٠٠ هـ / ٩١٢ - ١٣٠٠م)، (السعودية، مجلة الدارة، ٢٠١٣م)، ع ٢، مج ٣٩، ص١٧٥.

١٣١.مفتاح، المرجع السابق، ص١٧٦

١٣٢.Goitein, Indian book, p.٢٠٧

١٣٣.Goitein, Indian book, p.٥٣٥

١٣٤.جواتيان، المرجع السابق، ص ٢٥٤.

١٣٥.جواتيان، المرجع السابق ، ص ٢٥٦

١٣٦.جواتيان، المرجع السابق ، ص ٢٥٥

١٣٧.كونستبل، المرجع السابق، ص ١٠٧٥.

١٣٨.سلام شافعي، المرجع السابق ، ص ١٥١.

139. Digvijay Kumar, Op.cit.,P.394.

140. Goitein, Indian book, p.139

141. Goitein, letters, p. 14

142. Goitein, From Aden to India: Specimens of the Correspondence of India Traders of the Twelfth Century, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 23, No. 1/2 (Apr., 1980), p.45.

143. Goitein, Indian book, p.144

144. Goitein, Indian book, p.317

145. Ibid., p.144

146. Ibid., p.59

147 . Moshe Gil: Op.cit., P.317.

148. Goitein, Indian book, p.65

149. Ibid., p.132

150. Goitein, Indian book, p.155

151. Goitein, Indian book, p.69; letters, p. 186

١٥٢.رطل: يوزن به ويكال، وكان يزن ١٦ أوقية (أي نحو ٥٠٤ غرام) في حين كانت الأوقية ٢٠ درهم ومتوسط وزنها حوالي٣٠ غرام. هنتس، المرجع السابق، ص٣٧.

153. Goitein, Indian book, p.57

154. Ibid., p.57

155. Ibid., p.57, 341-342

156. Ibid., p.57

157. Goitein, Indian book, p.144

158. Ibid., p.473

159 . Goitein ,New Light On The Beginnings Of The Kārim Merchants, Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 1, No. 2 (Apr., 1958), p.177.

١٦٠.جواتيان، المرجع السابق، ص٢٦١.

١٦١.كونستبل، المرجع السابق، ص١٥٥.

162. Goitein, India Book, P.14.

163. Goitein, From Aden to India, p.

164. Goitein, Indian book, p.147

165. Goitein, Indian book, p.147

166. Ibid., p.149

167. Goitein, letters, p. 236

168. Goitein, Indian book, p.151

169 - S. M. Stern: Three Petitions Of The Fāṭimid Period, Oriens, Vol. 15 (Dec. 31, 1962), P. 179.

١٧٠- كونستبل، المرجع السابق، ص٢٦٤.

-Moshe Gil, Op.Cit., P.34.

171 . Goitein , New Light On The Beginnings Of The Kārim, p.183.

172. Goitein, Indian book, p.414

173. Ibid., p.146

174. Ibid., p.138; Digvijay Kumar, Op.cit., P.394.

175. Ibid., p.146

176. Ibid., p.155

177. Ibid., p.152

178. Goitein, Indian book, p.342-343

179. Goitein , Three Letters from the Cairo Geniza, p. 454

180. Goitein , Three Letters from the Cairo Geniza , p. 456

181. Digvijay Kumar , Op.cit., P.395.

182. Goitein, letters, p. 178

183. Goitein, Indian book, p.342-343

184. Ibid., p.592

185. Ibid., p.175

186. Ibid., p.177-178

187. Ibid., p.59

188. Goitein, letters, p. 199

189. Goitein, From Aden to India, p.46.

190 ()Digvijay Kumar , Op.cit., P.396.

191. Goitein, Indian book, p.59; From Aden to India, p.47

192. Goitein, From Aden to India, p.48

193. Goitein, From Aden to India, p.327

194. Goitein, From Aden to India, p.315.

195. Goitein, Indian book, p.636.

196. Digvijay Kumar , Op.cit., P.396.

197. Goitein, Indian book, p.636.

198. Ibid., p.191

199. Ibid.,ook, p.550

200. Ibid., p.343

201. Ibid., p.313; From Aden to India, p.50

202. Goitein, Indian book, p.325

203. Ibid, p.345

204. Ibid, p.160

205. Ibid, p.163

206. Ibid, p.157

207. Ibid, p.455

208. Ibid, p.157-158

209. Goitein, Indian book, p. 199

210. Ibid, p.159

211. Ibid, p.163

212. Ibid, p.527

213. Digvijay Kumar , Op.cit., P.396.

214. Goitein, Indian book, p.338-439

215. Ibid, p.722

216. Goitein, Indian book, p.189

٢١٧.يشير جواتيان إلى أن هذا الميناء يقع بين ميناء سواكن ودهلك.

218. Ibid, p.261

219. Goitein, Indian book, p.374; letters, p. 184

220. Goitein, Indian book, p.598

221. Goitein , Three Letters from the Cairo Geniza, p. 456

222. Goitein, From Aden to India, p.49

223. Goitein, Indian book, p.187

224. Goitein, Indian book, p.204

225 . Goitein New Light On The Beginnings Of The Kārim, p.179.

226. Goitein, Indian book, p.509

المصـادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)، مختصر كتاب البلدان، (ليدن، ١٩٦٧م).

٢. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، (المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، ١٤١٧هـ/١٩٩٧).

٣. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير المسماة " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار "، (بيروت، دار صادر، (د.ت)).

٤. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبيني (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م)، صورة الأرض، (بيروت، دار صادر، (د.ت)).

٥. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (٢٨٠هـ/- ٩١٢م)، المسالك والممالك، (بمطابع ليدن، ١٨٨٩م).

٦. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه: رينورد، والبارون ماك كوكين ديسلان، (باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م).

٧. الإدريسي (من علماء القرن السادس الهجري)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٨. الإدريسي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٧؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط١، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م).

٩. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط٣، (مصر، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلي، ١٩٥٦م).

١٠. القلقشندي، أبى العباس أحمد بن على القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤٢٢م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، (دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م).

١١. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبى عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٧م)، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

ثانيًا: المراجع:

١٢. آمنة حسين علي: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، (السعودية، جامعة أم القرى، ١٩٨٧م).

١٣. أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، (الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧م).

١٤. اوليفيا ريمي كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب: فيصل عبد الله، ط١، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

١٥. جواتياين، دارسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تحقيق: عطية القوصي، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م).

١٦. حسانين ربيع، وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ الحجاز واليمن في العصور الوسطى، ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، (السعودية، مطبوعات جامعة الرياض).

١٧. سلام شافعي محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م).

١٨. شفيقة عيساني، شبه القارة الهندية و بلاد الصين من خلال الرحالة و الجغرافيين المسلمين -الفترة ما بين القرن الثالث إلى الثامن الهجري من ٩الى ١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨م).

١٩. شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب, ١٩٩٠م).

٢٠. عبير كريم عبد الرضا الشاوي، تجار الكارم وأثرهم الاقتصادي والحضاري من القرن الرابع وحتى القرن التاسع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، (بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٥م).

٢١. علي حسين أحمد، النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي (٢٠١ - ٦٢٦ هـ ٨١٦ - ١٢٢٨م)، رسالة دكتوراه، (جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات، ٢٠٠٢م).

٢٢. فالتنس هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (منشورات الجامعة الأردنية،١٩٧٠م).

٢٣. فريد، على محمد فريد مفتاح، موانئ الساحل العماني ودورها في تنشيط حركة السلع التجارية المتبادلة بين عمان وبلاد الهند في العصر الإسلامي (٧٠٠-٩١٢/٥٣٠٠ - ١٣٠٠م)، (السعودية، مجلة الدارة، ٢٠١٣م)، مج ٣٩، ع(٢).

٢٤. القرقوطي، معمر الهادي، العلاقات التجارية بين مدينتي عدن و زيلع في العصر الإسلامي، (الجزائر، مجلة التراث، مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، جامعة زيان عاشور بالجلفة، ٢٠١٤م) ع ١١.

٢٥. محمد كريم إبراهيم، جزر دهلك في البحر الأحمر أهميتها وعلاقتها باليمن خلال العصور الإسلامية، (العراق، مجلة الخليج العربي، ١٩٨٩م)، مجلد ٢١، ع (٢).

٢٦. منير البعلبكي، معجم المورد، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م).

٢٧. نعيمة شديد محمد، أهمية الموانئ السودانية للتجارة الدولية عبر (بحر الحجاز) البحر الأحمر خلال العصر الإسلامي، (السعودية ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز - العلوم التربوية، ع(١٣)، ٢٠٠٠م).

٢٨. ول وايريل ديورنت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (تونس، ١٩٨٨م).

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

29. Goitein , Portrait of a Medieval India Trader: Three Letters from the Cairo Geniza, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 50, No. 3 (1987).
30. Goitein ,New Light On The Beginnings Of The Karim Merchants, Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 1, No. 2 (Apr., 1958).
31. Goitein And Mordechai Akiva Friedman: India Traders Of The Middle Ages Documents From The Cairo Geniza (India Book), Brill, Leiden , Boston, 2008.
32. Goitein, From Aden to India: Specimens of the Correspondence of India Traders of the Twelfth Century, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 23, No. 1/2 (Apr., 1980).
33. Goitein, Letters Of Medieval Jewish Traders, (Princenton University, 1972).
34. Goitein: The Social Services Of The Jewish Community As Reflected In The Cairo Geniza Records (II), Jewish Social Studies, Vol. 26, No. 2 (Apr., 1964).
35. Moshe Gil: The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century Geniza Documents, Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 46, No. 3 (2003).
36. Norman A. Stillman: The Eleventh Century Merchant House Of Ibn ‹Awkal (A Geniza Study), Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 16, No. 1 (Apr., 1973).
37. S. Digvijay Kumar Singh: Note On The Coastal Economy: Malabar C.11th - 12 The Centuries, Proceedings Of The Indian History Congress, Vol. 72, Part-I (2011).
38. S. M. Stern: Three Petitions Of The Fatimid Period, Oriens, Vol. 15 (Dec. 31, 1962).

تعقيب واستدراك على ديوان خالد الكاتب

محمد باسل عيون السود

سوريا

صدر الديوان عن الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠٠٦م بتحقيق كارين صادر بعنوان: خالد بن يزيد الكاتب أرقّ شعراء الغزل في العصر العباسي.

تاريخ مولده غير معروف، وتاريخ وفاته مختلف فيه. لكن محققة الديوان استنتجت أنه ولد حوالي ١٧٥هـ، وتوفي عام ٢٦٢هـ أو ٢٦٩هـ.

وكان له ديوان شعر مخطوط في مئتي ورقة صنعه أبو بكر الصولي (ت٣٣٥هـ)، وبات في حكم المفقود، لكن له نسخة متأخرة في المكتبة الظاهرية بدمشق تقع في تسعين ورقة، وهي النسخة التي اعتمدتها المحققة في تحقيق الديوان. وهذه النسخة مرتبة قوافيها حسب الأحرف الهجائية، لكنها تخلو من قوافي الأحرف (س ش ص ض ط ظ غ)، وبآخرها ذيل الديوان، ومع ذلك لم تضم هذه المخطوطة شعر خالد كله.

واستطاعت الباحثة ـ بعد التنقيب في كتب التراث ـ أن تضيف (١١٠) مائة وعشر قطع خلا منها الديوان وذيله المخطوط. وجعلته في قسم خاص تحت عنوان (صلة الديوان). ووثقت تخريجها من مصادر التراث،

ورغم الجهد الذي بذلته المحققة في جمع ما تفرّق من شعره، فقد فاتها بعض شعره، واستطعت أن أضيف إلى عملها اثني عشرة قطعة تضم ثمانية وأربعين بيتًا. كما أنني تمكنت من إضافة تخريج وتوثيق إلى قصائد الديوان وذيله وصلته.

ومن نافلة القول إن الإحاطة بالمصادر واستقصاء ما يرد فيها من شعر لهذا الشاعر أو ذاك أمر صعب المنال، وهدف عسير التحقيق، فضلًا عما يصدر من تحقيقات جديدة لكتب مخطوطة، ولذلك يبقى الاستقصاء بحرًا لا ساحل

له، ويصعب على المرء الإحاطة بجميع مظان الشعر.

أولًا: المستدرك على التخريج

أ. المستدرك على تخريج الديوان

١ ـ ص ٨٧، القطعة ٢٣:

وردت قطعة من أربعة أبيات، ولم تعلق عليها المحققة.

قلت: الأبيات الأربعة تغنى بها إبراهيم بن المهدي وهو مسجون أيام خلافة المأمون.

والأبيات في تاريخ مدينة دمشق ١٧٣/٧ ـ ١٧٤، ومختصر تاريخ دمشق ١٣٥/٤.

ونسب البيت الأول إلى إبراهيم بن المهدي في محاضرات الأدباء ١٥٠/٣ (صادر)، ٣/ ٧٨ (مكتبة الحياة).

وهو بلا نسبة في محاضرات الأدباء ٤٨/٣ (صادر)، ٧٧/٣ (مكتبة الحياة).

٢ ـ ص٨٩، القطعة ٢٨:

وردت قطعة من أربعة أبيات، وخرجتها المحققة من معجم الأدباء والأغاني.

قلت: الأبيات أيضًا بلا نسبة في الظرف والظرفاء ص٣٢٢.

٣ ـ ص٩٦، القطعة ٤١:

وردت قطعة من أربعة أبيات، ولم تخرجها المحققة.

قلت: الأبيات لخالد الكاتب في المحب والمحبوب ٩٦/١، وبدائع البدائه ١٩٧، والأبيات عدا الثاني له في ديوان أبي نواس ٧٤ (فاغنر)، والبيتان الأول والثاني له في نهاية الأرب ٤٣/٢، والبيت الرابع له في الدر الفريد ٣٩٥/٥.

ـ والبيت الرابع لديك الجن مع أبيات ثلاثة أخرى في ديوانه ٢٠٧، وخرجها محقق الديوان من (تزيين الأسواق ٥٠/١، ومدامع العشاق ٢٠٢ بلا نسبة، والرابع لأبي نواس في ديوانه ٩٢ دار صادر).

ـ والبيت الرابع لعبد الصمد بن المعذل في ديوانه ٧٧ ـ ٧٨، وهي كذلك لأبي بكر الشبلي في الملحق الأول من ديوانه ١٣٩، وذكر محقق المحب والمحبوب ٩٦/١ أن الأبيات عدا الثاني لأبي نواس في ديوانه ٩٢ دار صادر.

٤ ـ ص ١٠٠، القطعة ٥٠:

وردت قطعة من أربعة أبيات، خرجتها المحققة من بدائع البدائه ٢٩٠.

قلت: الأبيات (١، ٢، ٤) لخالد الكاتب في شرح المقامات للشريشي ١١٩/٢، والأول والثاني لخالد الكاتب في ديوان أبي نواس ٣٧/٤ (فاغنر) والأبيات كلها لإبراهيم بن المهدي في مروج الذهب ٣٠٧/٤، والأبيات عدا الثالث لإبراهيم بن المهدي في التطفيل ٩٢، ومطالع البدور ١٩٨/١.

٥ ـ ص١٠٣، القطعة ٥٤:

وردت قطعة من أربعة أبيات، خرجتها المحققة من الوافي بالوفيات ٢٨١/١٣.

قلت: الأبيات عدا الثالث لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٨/٧.

٦ ـ ص ١٠٧، القطعة ٦٢:

ورد بيتان خرجتهما المحققة من خمسة مصادر.

قلت: يضاف إلى التخريج:

البيتان لخالد الكاتب في حياة الحيوان ١١/١ (الأسد)، وبلا نسبة في كتاب الصناعتين ١٠٣، والتذكرة الحمدونية ٣٥٣/٢، ونهاية الأرب ١٨١/٣، ٢١٤.

٧ ـ ص ١٣١، القطعة ١١٢:

وردت قطعة من أربعة أبيات، خرجتها المحققة من نهاية الأرب ٢٥٧/٢.

قلت: البيتان لخالد الكاتب في ديوان المعاني ٢٨٤/١ (عالم الكتب)، ٥٦٦/١ (شعلان)، ولأبي القاسم بن كيكس في معاهد التنصيص ٢٤٦/١ ـ ٢٤٧، وأعادتهما المحققة في صله الديوان ص ٣٨٩، رقم ٣٢، ويجب حذفهما من صلة الديوان.

٨ ـ ص ١٣٤، القطعة ١١٩: وردت سبعة أبيات خرجتها المحققة بقولها: (٤، ٥، ٦: الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣/ ٢٧٩، الكتبي: عيون التواريخ، ورقة ١٧٩).

قلت: الأبيات (٣، ٤، ٥، ٦) لخالد الكاتب في الوافي بالوفيات ٢٨١/١٣، وبغية الطلب ٣٢٠٨/٧، وقد كررت المحققة الأبيات الأربعة في صلة الديوان ٣٨٩، ويجب حذفها من صلة الديوان.

٩ ـ ص ١٤١، القطعة ١٣٠:

وردت قطعة من أربعة أبيات، خرجتها المحققة من محاضرة الأبرار ٤٢٧/٢.

ـ قلت: البيت الأول مع بيت آخر لابن وهيب في المحب والمحبوب ١١١/٢، وليسا في مجموع شعره ضمن (شعراء عباسيون).

ـ البيت الثاني مع بيتين آخرين للعباس بن الأحنف في ذم الهوى ٤٢٢، والأبيات عدا الأول بلا نسبة في روضة القلوب ٣٣٠.

١٠ ـ ص١٥٩، القطعة ١٦٩:

وردت قطعة من أربعة أبيات، خرجتها المحققة من الأغاني ٥١٨/٢٢.

قلت: الأبيات أيضًا له في الديارات للأصفهاني ١٧٧.

١١ ـ ص ١٧٣، القطعة ١٩٧:

وردت قطعة من أربعة أبيات، خرجتها المحققة من مصارع العشاق وتزيين الأسواق.

قلت: يضاف أيضًا: الجليس الصالح ١٧٦/٢.

١٢ ـ ص ٢٠٢، القطعة ٢٥٦:

وردت سبعة أبيات، لكن المحققة لم تشر إلى أن هذه القطعة في أصل المخطوط هي أربعة أبيات فقط وهي (١، ٢، ٣، ٤) أما باقي الأبيات فهي إضافة من تزيين الأسواق ٢١٦ (دار الهلال)، ٢٩٧/١ (عالم الكتب)، ووفيات الأعيان ٢٣٦/٢.

ويضاف إلى التخريج أن البيتين (١، ٤) لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٥/٧، ورواية البيت الرابع فيه:

لئن كان أضحى فوق خدّيه روضة

فـإنَّ على خـدّي غـديـرًا مـن الدمع

١٣ ـ ص ٢٢٢، القطعة ٢٩٦:

وردت قطعة من أربعة أبيات، لم تخرجها المحققة.

قلت: البيتان الثاني والرابع لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٢/٧ برواية:

لـو تـرى مـا أراه مـنـك إذا ما

جـال مـاء الـشـبـاب فـي وجنتيكا

.....

لتمنيت أن تقبّل .....

١٤ ــ ص ٢٦١، القطعة ٣٦٣:

وردت قطعة من أربعة أبيات، خرجتها المحققة من الأغاني وتاريخ بغداد.

قلت: البيتان الأول والرابع لخالد الكاتب في الديارات للأصفهاني ١٧٦.

١٥ ــ ص ٢٧٣، القطعة ٣٨٧:

وردت قطعة من أربعة أبيات، وقد خرجتها المحققة من أربعة عشر مصدرًا.

ولكن يضاف إلى مصادرها ما يأتي:

ـ الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٢/٧، ٣٢٠٣ وتاريخ بغداد ٣١٤/٨، وتزيين الأسواق ٢٩٨/١ ـ ٢٩٩ (عالم الكتب)، ٢٢٤ (دار الهلال).

ـ والبيتان الثاني والرابع في وفيات الأعيان ٢٣٤/٢، وحياة الحيوان ١١/١(الأسد).

ـ والبيت الرابع في تاريخ بغداد ١٤٧/٦، ومصارع العشاق ١٨٠/٢، والجليس الصالح ١٧٦/٢.

١٦ ــ ص ٢٨٥، القطعة ٤٠٧:

وردت قطعة من ثلاثة أبيات خرجتها المحققة من محاضرة الأبرار والموشى وديوان العباس ابن الأحنف.

قلت: البيتان الأول والثاني بلا نسبة في العقد الفريد ١١٧/٨.

ب ـ المستدرك على تخريج ذيل الديوان:

١٧ ــ ص ٣٦٤، القطعة ٥٦٥:

وردت قطعة من أربعة أبيات، خرجتها المحققة من الأغاني ٢٢/ ٥١٧.

قلت: البيتان الأول والثاني لخالد الكاتب في الديارات للأصفهاني ١٧٦.

١٨ ـ ص ٣٦٥، القطعة ٥٦٧:

وردت قطعة من بيتين بلا تخريج.

قلت: البيتان بلا نسبة في الزهرة ٢١١/١.

١٩ ـ ص ٣٦٦، القطعة ٥٧٠:

وردت قطعة من أربعة أبيات، وخرجتها المحققة من مصادر عديدة، ولكن يضاف إلى تخريجها:

ـ الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣١٩٩/٧ ـ ٣٢٠٠، ورواية صدر البيت الثالث فيه: (أيا من تعبدني طرفه).

ـ البيتان الأول والثاني لخالد الكاتب في المختار من شعر بشار ١٣، ونهاية الأرب ١٣٤/١، وزهر الأكم ١٧٧/٢، والمدهش ٤٣٩،

ـ البيت الأول لخالد الكاتب في التبيان ١١٨/٢، وخاص الخاص ١١٥، والغيث المسجم ٢٠٩/١، ودلائل الإعجاز ٤٩٢، وسرقات المتنبي ٤٧، وخزانة الأدب لابن حجة ٤٣٢/١.

ـ الأول والثاني للعباس بن الأحنف في سرور النفس ٣٠.

٢٠ ـ ص ٣٦٧، القطعة ٥٧١:

وردت قطعة من أربعة أبيات، خرجتها

المحققة من أربعة مصادر، ويضاف إلى مصادر التخريج:

ـ الأبيات الأربعة للقاضي عبد الوهاب بن نصر في الذخيرة ٥٢٣/٨، والمحاضرات في اللغة ٤٥٠.

والأبيات عدا الرابع لأبي الفتح الكاتب ابن البكتمري في نشوار المحاضرة ١٧٧/٣.

ـ والأول والثاني لابن الفقاعي المعري في بغية الطلب ٤٦٩١/١٠.

٢١ ـ ص ٣٧١، القطعة ٥٧٩:

وردت قطعة من بيتين، خرجتها المحققة من تاريخ بغداد ووفيات الأعيان وثمرات الأوراق.

قلت: البيتان لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٦/٧، وحياة الحيوان ١١/١ (الأسد) ورواية البيت الأول فيهما:

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته

وكم مسعد من مثله ومعين

وخزانة الأدب لابن حجة ٤٣٣/١، والفصوص ٢٣٩/٣.

٢٢ ـ ص ٣٧٢، القطعة ٥٨٠:

ورد بيتان خرجتهما المحققة من وفيات الأعيان ونهاية الأرب وثمرات الأوراق والأذكياء.

ـ قلت: البيتان لأحمد بن محمد الخثعمي في التعازي والمراثي ٢٧٧ من قصيدة طويلة، وعيون الأخبار ١٦٨/٣، والأمالي ٣٠٩/٢ من مقطعة في أربعة أبيات، وسمط اللآلي ٩٢١ ـ ٩٢٢، ومن الضائع من معجم الشعراء ١٦، ووفيات الأعيان ٣٥٦/٥، وفيه أيضًا: (صاحب هذين البيتين هو الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضوء العلوي الحسيني نقيب مشهد باب التبن ببغداد، وهما من جملة قصيدة يرثي بها النقيب الطاهر والد عبد الله.

ذكر ذلك العماد الكاتب في كتاب الخريدة. وقال أيضًا: إن الشريف أبا محمد المذكور توفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ببغداد، رحمه الله تعالى.

ثم بعد وقوفي على ما ذكره العماد في الخريدة وجدت هذين البيتين في كتاب معجم الشعراء تأليف المرزباني لأحمد بن محمد الخثعمي).

ـ البيتان لبعض المحدثين في الأغاني ٣٨٢/١٥، من مقطعة في أربعة أبيات، ولفتى من العرب في التذكرة الحمدونية ٣٥٢/٢، ولابن أبي طاهر في المحاسن والمساوئ ٣٤٦.

ج ـ المستدرك على تخريج صلة الديوان

٢٣ ـ ص ٣٧٧، القطعة ١:

ـ البيتان لخالد الكاتب في زهر الأكم ١٦١/١.

ـ البيتان لسهل بن هارون في زهر الآداب ٩٤٩، ونور القبس ١٤١.

٢٤ ـ ص ٣٧٨، القطعة ٤:

ـ البيتان الأول والثاني لمنصور بن كيغلغ في يتيمة الدهر ٩٤/١.

٢٥ ـ ص ٣٧٩، القطعة ٩:

ـ البيت الأول لديك الجن في ديوانه ٢٣١ ضمن قصيدة تضم ستة وأربعين بيتًا، ورقم هذا البيت فيها عشرون(٢٠).

ـ والبيت الأول للسلامي في محاضرات الأدباء٥٩٢/٣.

٢٦ ـ ص ٣٨٠، القطعة ١٢:

الأبيات الأول والثالث والثاني للبحتري في ديوانه ٣٨٨/١ ـ ٣٨٩، ولثعلب أحمد بن يحيى في وفيات الأعيان ١٠٣/١، ومعجم الأدباء ٥٥٣/٢، والأول والثالث لثعلب في مصارع العشاق ١٠٩/٢ ـ ١١٠، ومرآة الجنان ٢١٩/٢، والدر الفريد ٣٨/٢، والأول لابن عبد السلام الرصافي في ربيع الأبرار ٤٨٦/١، والثاني بلا نسبة في التمثيل والمحاضرة ٢٦٠، والأول والثاني بلا نسبة في تاريخ مدينة دمشق ١٠٦/٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٠٦/٤.

٢٧ ـ ص ٣٨١، القطعة ١٣:

الأبيات لأبي نواس في ديوانه ٣٥٤ (الغزالي)، ١٣/٥ (فاغنر).

٢٨ ـ ص ٣٨١، القطعة ١٤:

البيتان لخالد الكاتب في نشوار المحاضرة ٦٣/٤، وهما بلا نسبة في الأغاني ٦٦/١٨، وقد غنتهما دنانير جارية محمد بن كناسة.

٢٩ ـ ص ٣٨٣، القطعة ١٧:

الأبيات لخالد الكاتب في الدر الفريد ٤٩٣/٥، والتذكرة الحمدونية ٩٩/١٠.

٣٠ ـ ص ٣٨٣، القطعة ١٩:

البيتان للحماني علي بن محمد العلوي الكوفي في ديوانه ٥١ نقلًا عن أنوار الربيع ١٦٤/٤، والبيت الأول بلا نسبة في المنتخل ٦٠١.

٣١ ـ ص٣٨٥، القطعة ٢٢:

الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٧/ ٣٢٠٧، ومرآة الزمان ٨٢/٣، والبيتان الأول والثالث لابن قوفا في الزهرة ٣٩٤/١.

٣٢ ـ ص٣٨٥، القطعة ٢٣:

البيتان (٢+٤) لخالد الكاتب في معجم الأدباء ٤٦/١، والأبيات بلا نسبة في أسواق الأشواق ١٦٣ورقة ١٦٣ أ، والحنين إلى الأوطان ٨٥، وذم الهوى ٥٣٥، ٥٣٦، وغرر الخصائص ١٧١، ومروج الذهب ٩/٥، ومصارع العشاق ١٩/١، ٢٢، ومسالك الأبصار ٣٨٣/١، والخزل والدأل ٢٤٢/٢ ـ ٢٤٣، ومنازل الأحباب ٩٠، والواضح المبين ٢٢٨، والأبيات عدا الثالث في عقلاء المجانين ٣٢٦، والثاني والرابع في مصارع العشاق ٢٦٠/٢، وانظر الأبيات في معجم أشعار العشق ١٥٧.

٣٣ ـ ص٣٨٦، القطعة ٢٤:

البيتان لأبي نواس مع بيتين بعدهما في ديوانه ٢٨١ (الغزالي)، ١٩٧/٤ فاغنر، وهما مع بيتين آخرين للنظام في أمالي المرتضى، ١٨٨/١، والوافي بالوافيات ١٨/٦ ـ ١٩.

٣٤ ـ ص٣٨٦، والقطعة ٢٥:

الأول والثاني لخالد الكاتب في الدر الفريد ١٣٣/٢، والأبيات الثلاثة بلا نسبة في المنتحل للثعالبي ٢٨٧، والمنتخل للميكالي ٩٦٨، ورواية عجز الثالث: (به ومنه وفيه آخر الأبد).

٣٥ ـ ص٣٨٦، القطعة ٢٦:

البيتان لعبد الصمد بن المعذل في ديوانه ٨٣، والمحب والمحبوب ٤٤/١، ونهاية الأرب ٧٦/٢.

٣٦ـ ص٢٨٨، القطعة ٢٩:

البيتان لخالد الكاتب في نفحة الريحانة ٤٤٠/٢، ولابن المعتز في أمالي القالي ٢٣٠/١، والتذكرة الحمدونية ٩٨/٦، وديوان المعاني ٢٤٣/١ (٤٨٠/١ شعلان)، ومحاضرات الأدباء ١٢٨/٣ (الحياة) ٢٨٨/٣ (صادر)، والمختار من شعر بشار ٢٩٦.

٣٧ـ ص٣٨٨، القطعة ٣١:

البيت لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٨/٧، والوافي بالوفيات ٢٨١/١٣ مع بيتين آخرين انظرهما فيما استدركته في هذه المقالة برقم (٣).

٣٨ـ ص٣٩١، القطعة ٣٧:

الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٧/٧، والوافي بالوفيات ٢٨٠/١٣.

٣٩ـ ص٣٩١، القطعة ٣٨:

ـ الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٧/٧ ـ ٣٢٠٨، وسلك الدرر ١٨٢/١، وذيل نفحة الريحانة ١٩١/٦، وشرح مقامات الحريري ١٩٠/١.

ـ والأبيات لأبي نواس في ديوانه ٧٣٠ الغزالي، والأغاني ٢٨٨/٥، ومطالع البدور ٢٣٩/١.

ـ وللنظام في الوافي بالوفيات ١٨/٦، وأمالي المرتضى ١٨٨/١ مع بيت رابع، ونفحة الريحانة ٣٦٣/١، والكشكول ٨٢/٢، وبلا نسبة في مروج الذهب ٣٠٦/٤، والأول والثاني بلا نسبة في تاريخ دمشق ١٨٠/٧، والأول والثالث بلا نسبة في المستطرف ١٨٤/٢، والمنازل والديار ٥١، والثالث بلا نسبة في سرقات المتنبي ومشكل معانيه ١٠٠ وانظر ما سيأتي في المستدرك برقم (٤).

٤٠ـ ص٣٩٢، القطعة ٣٩:

الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢١٠/٧، وثمة خطأ طباعي وقع في عجز البيت الثالث وهو (باليه والفقر) صوابه: (بالتيه والفقر).

٤١ـ ص٣٩٢، القطعة ٤٠:

البيتان لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٧/٧، ولعبد الصمد البغدادي في سلك الدرر ١٨٥/١، وللنظام في بهجة المجالس ١٢/٢، والنصوص ٢٣٩/٣، ولبهلول بن عمرو بن المغيرة المجنون في الوافي بالوفيات ٣١١/١٠، وفوات الوفيات ٢٣٠/١، وعقلاء المجانين ١٥٩.

٤٢ـ ص٣٩٣، القطعة ٤١:

ـ البيتان لابن المعتز في المحب والمحبوب ٢٣٧/٢ وليسا في ديوانه.

ـ ولسيدوك الواسطي في يتيمة الدهر ٣٧٢/٢، وثمار القلوب ٩٠٤، ومن غاب عنه الطرب ٨٥، والإعجاز والإيجاز ١٣٤، وخاص الخاص ١٦٦، والتذكرة الفخرية ١٤٧، وفوات الوفيات ٣٣٢/٢، والدر الفريد ١٠٣/٤، وفيه: (ويرويان لابن المعتز).

ـ ولسيدوك التمار في المرقصات والمطربات ٥٩، ولسيدوك في حلبة الكميت ٣٣٤، ولكشاجم في لطائف اللطف ١٣٧.

ـ وللوزير المغربي أبي القاسم الحسين بن علي في بغية الطلب ٢٥٤٦/٢.

ـ البيتان بلا نسبة في ديوان المعاني ٣٤٨/١ (٦٩٩/٢ شعلان)، وتزيين الأسواق ٤٢٢، وديوان الصبابة ١٥٥، ونثار الأزهار ٨ والدر

الفريد ١٠٣/٤، وأحسن ما سمعت ٧٣.

٤٣ـ ص٣٩٣، القطعة ٤٢:

البيتان لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٧/٧، ولابن الرومي في بهجة المجالس ١٢/٢، والفصوص ١٤٠/٣، وليسا في ديوانه، وبلا نسبة في الآداب الشرعية ١٣٥/٣.والمحاسن في النثر والنظم ٩٤ (شرح ديوان المتنبي ١١١/٤).

٤٤ـ ص٣٩٣، القطعة ٤٣:

الأبيات لخالد الكاتب في نشوار المحاضرة ١٠٣/٦.

٤٥ـ ص٣٩٥، القطعة ٤٩:

الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٨/٧.

٤٦ـ ص٣٩٥، القطعة ٥٠:

البيتان لابن المعتز في ديوانه ٣٧٦/١، وزهر الأكم ١٩٣/٣.

٤٧ـ ص٣٩٨، القطعة ٥٦:

الأبيات لخالد الكاتب في الدر الفريد ٣٧٠/٣، والثاني فقط في الدر الفريد ٢٥/١.

وفيه رواية عجز الأول: (لغير حسنك ضائع)، ورواية صدر البيت الثاني: (فيك مقتسم الهوى).

والأبيات بلا نسبة في إيقاظ الهمم في شرح الحكم ٦٣٦ـ ٦٣٧.

٤٨ـ ص٣٩٩، القطعة ٥٨:

البيتان لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠١/٧، وتاريخ دمشق ٢٤٤/٩، ومختصر تاريخ دمشق ٤٠/٥.

٤٩ـ ص٣٩٩، القطعة ٥٩:

الأبيات مع بيت آخر لأبي الصواعق في المحاسن والأضداد ١٤٢، وبلا نسبة في المستطرف ١٧٥/٢.

٥٠ـ ص٤٠٠، القطعة٦٠:

البيتان لخالد الكاتب في روضة القلوب ٣٣٠، والبيتان مع بيت آخر بينهما للفضل بن إسماعيل أبي عامر الجرجاني في معجم الأدباء ٢١٦/٥، والبيت الزائد فيه هو:

تحلف لي أنك في كفي

وعض كفي منك في كفي

٥١ـ ص٤٠١، القطعة ٦٣:

البيتان لأبي أحمد بن أبي بكر الكاتب في يتيمة الدهر ٦٩/٤، والتمثيل والمحاضرة ٤٠٦، وتحسين القبيح ٤٣ـ٤٤، وبلا نسبة في بستان الواعظين ١٥٤/١.

٥٢ـ ص٤٠١، القطعة ٦٤:

البيت للعباس بن الأحنف من ستة أبيات في ديوانه ١٩٢، والحماسة المغربية ٩٧٨/٢، والأغاني ٤٢٢/٥، ٣٦٦/٨.

٥٣ـ ص٤٠١، القطعة ٦٥:

البيتان للعباس بن الأحنف في الأغاني ٣٧٠/٨، وأحسن ما سمعت ٦٢، وديوان المعاني ٢٦٣/١ (عالم الكتب)، وهما ضمن أربعة أبيات في ديوان العباس بن الأحنف ١٩٧ وفيه التخريج الآتي: (الكامل ٩٧/٢، ومن غاب عنه المطرب ٧٦، وحماسة ابن الشجري ٢٦٤، ومعاهد التنصيص ٣٥٥، والزهرة ٤٧، وزهر

الآداب ١٥٦/٤، والإعجاز والإيجاز ١٧٢، والموشح ٣٦٣، وثمار القلوب ٤٦٧ والشعر الشعراء ٨٠٥، وعيون التواريخ وفيات سنة ١٩٢، والتشبيهات ٣٨٠).

٥٤ـ ص٤٠٢، القطعة ٦٦:

البيتان لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٩/٧ مع بيت ثالث هو:

قدّرها العري على نفسه

تفصيلها في القدر السابق

ورواية البيت الثاني فيه:

قطعاء شلاء رباعية

دهرية مرقوعة العاتق

٥٥ـ ص٤٠٢، القطعة ٦٨:

البيت لخالد الكاتب في مصارع العشاق ٢٩٩/٢، والجليس الصالح ٢٧١/١.

٥٦ـ ص٤٠٣، القطعة ٦٩:

البيتان لخالد الكاتب في الجليس الصالح ١٧٧/١٧٦/٢، والثاني له في بغية الطلب ٣٢٠٣/٧، ونشوار المحاضرة ٩/٤ وتاريخ دمشق ١٧٦/٧.

٥٧ـ ص٤٠١، القطعة ٧١:

الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٩/٧، وفيه قافية البيت الأول: (حبك) مكان (لبك)، ومطلع البيت الثالث: (إن كان) مكان (لئن كان)، وبذلك يستقيم الوزن العروضي للبيت، وفيه بيت رابع جاء ترتيبه بعد البيت الأول وهو:

وكم أقاسي فيك جهد البلا

لا كل ذا يا سيدي حسبك

٥٨ـ ص٤٠٤، القطعة ٧٣:

الأبيات لخالد الكاتب في تزيين الأسواق ٢٢٤ (الهلال) ٢٩٩/١، (عالم الكتب)، وسلك الدرر ٢٦٣/٢، والبيت الثالث لابن المعتز في ملحق ديوانه ٣٨٨/٣ (السامرائي)، والمنصف ٣٦٤، ومعاهد التنصيص ٣٨/٣، وأنوار الربيع ٣١٦/١.

٥٩ـ ص٤٠٤، القطعة ٧٤:

البيت مع بيت آخر للمأمون في التذكرة الحمدونية ٥٩/٦، ولابن الزيات في المحب والمحبوب ١٦٩/٢، وهما بلا نسبة في التشبيهات ٣٣٣، ورواية البيت الآخر في التشبيهات:

والذي أخفيه من حرق

فلسان الدمع يهتكه

وروايته في الحب والمحبوب:

لهوى لي بت أكتمه

وعواصي الدمع تهتكه

٦٠ـ ص٤٠٦، القطعة ٧٧:

الأبيات بلا نسبة في العقد الفريد ١٦٤/٧ مع بيت آخر ترتيبه الثاني وهو:

ورد الكتاب ولم يقره

لئلا أرد إليه الرسولا

٦١ـ ص٤٠٧، القطعة ٨٠:

الأبيات لخالد الكاتب في الديارات ١٨، وبغية الطلب ٣٢٠١/٧.

٦٢ـ ص٤٠٨، القطعة ٨٢:

الأبيات لخالد الكاتب في الخزل والدلال ٨٣/٢، وفيه ورد صدر البيت الثاني مع عجز

البيت الثالث، وصدر البيت الثالث مع عجز البيت الثاني.

٦٣ـ ص٤٠٨، القطعة ٨٣:

البيت الثالث لابن المعتز في محاضرات الأدباء ١٧٤/٣ (صادر).

٦٤ـ ص٤٠٩، القطعة ٨٤:

البيتان لخالد الكاتب في تاج العروس (أهل)

٦٥ـ ص٤١٠، القطعة ٨٧:

ـ الأبيات لخالد الكاتب في اعتلال القلوب ٢٤٤.

ـ ولأبي دلف العجلي في ديوانه (شعراء عباسيون ١٠٠/٢)، وبهجة المجالس ٢٢٠/٢.

ـ ولابن المعتز في ملحق ديوانه ٣٥٣/٣، والمستطرف ٣٠/٢، والمحاسن والمساوئ ٤٤/٢.

ـ ولمحمد بن حازم الباهلي في ديوانه ٨٢.

٦٦ـ ص٤١١، القطعة ٨٩:

رواية الدر الفريد ١٩٢/١ العجز البيت الثالث: (مسكة قائل) مكان (مسكت قائل)، وفي صدر السابع: (ياعاذلي) مكان (ياعاذبي).

٦٧ـ ص٤١٢، القطعة ٩١:

الأبيات لخالد الكاتب في ربيع الأبرار ٣٧٨/٣.

والأول والثالث قالهما علوية في مخارق، وهما في تاريخ دمشق ٣٧/٤٣، ومختصر تاريخ دمشق ١٦٦/١٨، ولبعض الأدباء في التطفيل ٧٤.

٦٨ـ ص٤١٣، القطعة ٩٣:

البيتان مع بيت ثالث لأم الضحاك المحاربية في مصارع العشاق ٢٦٤/٢.

٦٩ـ ص٤١٣، القطعة ٩٤:

الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣١٢٠/٧، ورواية صدر البيت الأول: (وشاعر مُعْدَم) مكان (وشاعر مُقْدَم).

٧٠ـ ص٤١٣، القطعة ٩٥:

الأبيات لخالد الكاتب في المزهر ١٥٥/١، والثالث والرابع له في شرح المقامات ١٤٩/١.

٧١ـ ص٤١٤، القطعة ٩٦:

الأبيات لأحمد بن يوسف في أخبار الشعراء المحدثين ٢٢٧، والثالث بلا نسبة في العقد الفريد ٢٨/١، ١٥٩/٦.

٧٢ـ ص٤١٥، القطعة ٩٨:

ـ الأبيات لخالد الكاتب في المنتخل ٣٥٣.

ـ الأبيات ٥ـ ٦ـ ٤ مع بيت آخر لابن بسام في ديوانه ضمن شعراء عباسيون ٤٨٣/٢، ونشوار المحاضرة ٦١/٤ ومعجم الأدباء ١٨٦٣ـ ١٨٦٤، والثالث له في المنصف ٣٦٠، والرابع له في المنصف ٤٠٩.

ـ والأبيات ٢ـ٣ـ٤ـ٥ـ للبحتري في المنتخل ٩٠، وليس في ديوانه طبعة دار المعارف.

والأبيات ٥ـ٢ـ٣ بلا نسبة في غرر الخصائص ٣٥٣.

٧٣ـ ص٤١٥، القطعة ٩٩:

البيتان لعلية بنت المهدي في ديوانها ٨٠، والأغاني ١٠/١٦٧، والوافي بالوفيات ٩/٢٢٨.

٧٤ـ ص٤١٧، القطعة ١٠٣:

البيتان لابن أبي عيينة في ديوانه ٤٠، ولباب الآداب ٢/٧٣، ولطائف اللطف ١٣٦، وزاد سفر الملوك ٣١ (بيروت)، ١٥٠ (الأردن)، والحنين إلى الأوطان ٨٦، والمنتحل للثعالبي ٢١٩، وبلا نسبة في المنتخل للميكالي ٧٩١، والمنتظم ١٢/٣٨٤.

٧٥ـ ص٤١٩، القطعة ١٠٦:

الأبيات لأبي تمام في التذكرة السعدية ٥٧١.

٧٦ـ ص٤٢٠، القطعة ١١٠:

البيتان في بدائع البدائه ٦٨، وسرور النفس ٣٩٢، والمطرب ١٢٥، مع خبر يفيد أن البيت الأول لأبي بكر اليكي والثاني لأبي جعفر البتي.

ثانيًا: مقطعات يجب حذفها لعدم ثبوت نسبتها إلى خالد الكاتب

١ـ ص٣٨٠، القطعة ١٠:

ـ ورد بيتان خرجتهما المحققة من زهر الآداب ٢/٧٤٥.

فراجعت مكان الإحالة في زهر الآداب فقرأت: (قال خالد الكاتب: دخلت يومًا بعض الديارات فإذا أنا بشاب موثق في صفاد، حسن الوجه، فسلمت عليه، فرد علي، وقال: من أنت؟ قلت: خالد بن يزيد، فقال: أجز لي هذين البيتين:

رب ليل أمد من نفس العا

شق طولًا قطعته بانتحاب

وحديث ألذ من نظر الوا

مق بدلته بسوء العتاب

فوالله لقد أعملت فكري فما قدرت أن أجيزهما)

ـ قلت: البيتان للوأواء الدمشقي في ديوانه ٢٦٢ نقلاً عن تاريخ دمشق لابن عساكر ورقة ٤٦٣.

ـ البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات في ديوانه ٥٢، والبيت الأول له في العمدة ١/٢٩٦ (عبد الحميد)، ١/٥٠٣ (قرقزان).

ـ البيتان لخالد (؟) في المحب والمحبوب ٢/٢٤١.

ـ البيتان لماني الموسوس في ديوانه ٤٦ (مما يروى له وينسب لغيره).

ـ والبيتان بلا نسبة في زهر الأكم ١/٢٩٩، ٢/١٧٧، وبغية الطلب ٧/٣١٩٩، وهما مع بيتين آخرين بلا نسبة أيضًا في الديارات للأصفهاني ٦٧، ١٧٨، ومسالك الأبصار ١/٣١٦، والخزل والدأل ٢/١١، ومعجم البلدان ٢/٥٠٥ (دير حزقيال)، والروض المعطار ٢٥٢، ومعجم ما استعجم ١/٥٧٥.

ـ البيت الأول بلا نسبة في الوساطة ٤٧١، وسمط اللآلي ٩٣٨، وروضة المحبين ٣٩٦، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ١/١٨٩.

٢ـ ص٣٨٣، القطعة ١٨.

ورد بيت خرجته المحققة من (الدر الفريد، الورقة ٩٦) دون تعيين للجزء.

قلت: وجدت البيت مع بيت قبله وآخر بعده في الدر الفريد ١/١٩٣، ولكن دون عزو لأحد.

ولذلك يجب حذف البيت من صلة الديوان.

٣ـ ص٣٨٨، القطعة ٣٠:

وردت ثلاثة أبيات، وهي:

١ـ اِسلَمْ فلسنا نُبالي ما سَلِمْتَ لنا

ما أَحْـدَثَ الدهرُ في مـالٍ وفي ولدِ

٢ـ ولا نَـحِـنّ إلـى إلْـفٍ ولا وطنٍ

إذا سَـلِـمْـتَ ولا نأسى على أحد

٣ـ فأنت حظّي من الدنيا بأجمعها

وأنـت حظّـي ونـعـم الـحـظُّ والـزَّاد

وقالت المحققة في الحاشية (التخريج: ابن أيدمر، الدر الفريد ١٣٣/١ في البيت الثالث إقواء في كلمة: والزاد).

قلت: الأبيات في الدر الفريد ١٣٣/٢، والأول والثاني تقدما برقم (٢٥) صفحة ٣٨٦، أما البيت الثالث الذي قالت فيه المحققة إن فيه إقواء فهو لشاعر آخر مع بيت قبله وردا معًا في هامش الدر الفريد، وذلك البيت هو:

اسلـم ودُم للمعالي سـرمـدًا أبـدًا

وإن أتـى ذاك أعـداءٌ وحـسـادُ

ولذلك يجب حذف هذه القطعة من صلة الديوان.

٤ـ ص٣٨٩، القطعة ٣٢.

تقدم البيتان في متن ديوانه برقم ١١٢، صفحة ١٣١؛ ولذلك يجب حذفهما من صلة الديوان.

٥ـ ص٣٨٩، القطعة ٣٣:

سبق للمحققة أن أضافت هذه الأبيات إلى القطعة رقم (١٩٩) صفحة ١٣٤.

لذلك يجب حذفها من صلة الديوان.

٦ ــ ص٣٩٩، القطعة ٥٧:

الأبيات ليست لخالد الكاتب، بل لجعيفران الموسوس في أخبار الأذكياء ٢١٤، وتاريخ بغداد ١٦٣/٧، والمنتظم ١٤/١٢، وبلا نسبة في معجم الأدباء ٢٤٩/١.

٧ ــ ص٤٠٣، القطعة ٧٠:

ورد بيتان نقلتهما المحققة من كتاب الأنس والعرس ٤٤٣، وعدت إلى الكتاب المذكور فوجدت فيه أن البيتين في أصل المخطوط لشاعر اسمه (خـالـد)، ولكن محققة الأنـس والعرس رجحت أن يكون اسمه خالد الكاتب دون أن تؤيد ترجيحها بمصدر ما.

وقد وجدت البيتين مع بيت ثالث منسوبين إلى محمد بن عبد الله بن طاهر في العقد الفريد ٢٥٦/٢، ولـم أعثر على مصدر آخـر يؤيد نسبتهما إلى خالد الكاتب.

ولذلك يجب حذف البيتين من صلة الديوان.

٨ ــ ص٤١٦، القطعة ١٠١

ورد بيتان نقلًا عن المحب والمحبوب ١٨٠/٢، ولكن في المحب والمحبوب نسب البيتان إلى خالد (؟) دون تحديد تتمه اسمه.

والبيتان في مصادر التخريج نسبا إلى إبراهيم ابن المهدي، وهما بلا نسبة في الأغاني ١٧٣/١٠ ولكن غناهما إبراهيم بن المهدي، ولذلك يجب حذف البيتين من صلة الديوان.

٩ ــ ص٤١٦، القطعة ١٠٢:

وردت أربعة أبيات منقولة عن المحب

والمحبوب ٣٦/١، ولكن في المحب والمحبوب نسبت الأبيات إلى خالد (؟) دون تحديد تتمة اسمه.

والأبيات في سائر مصادر التخريج التي اعتمدتها المحققة منسوبة إلى ابن المعتز.

وكذلك في أشعار أولاد الخلفاء ٢٠٤ـ ٢٠٥.

ولذلك يجب حذف الأبيات من صلة الديوان.

ثالثًا: المستدرك من الأشعار:

[١]

قال خالد الكاتب يهجو أبا تمام [البسيط]

١ـ يا معشر المُردِ إني ناصحٌ لكم
والمرءُ في القول بين الصدق والكَذِبِ

٢ـ لا ينكحنَّ حبيبًا منكم أحدٌ
فَداءُ وجعانه أعدى من الجَرَبِ

٣ـ لا تأمنوا أَنْ تَحُولُوا بعد ثالثة
فتركبوا عُمُدًا ليست من الخَشَبِ

التخريج:

الأبيات لخالد الكاتب في الأغاني ٢٨٠/٢٠، وفوات الوفيات: ٤٠٢/١، والوافي بالوفيات: ٢٧٩/١٣، ومعاهد التنصيص ٤١/١، ومعجم الأدباء ١٢٤٤.

[٢]

وقال خالد الكاتب: [الوافر]

١ـ وليلٍ لم يُقَصِّرْه رُقادُ
وقَصَّرَهُ لنا وصلُ الحبيبِ

٢ـ نعيمُ الحبِّ أَوْرَق فيه حتى
تناولنا جَناه من قَريبِ

٣ـ بمجلسِ لذَّةٍ لم نَقوَ فيه
على شُكْرٍ ولا عَدِّ الذُّنوبِ

ـ الأبيات لخالد الكاتب في الدر الفريد ٣٠٩/٥ (الحاشية).

ـ الأبيات مع بيت آخر لأعرابي في زهر الآداب ٣٥٠ (مبارك)، ٢٩٨ (البجاوي)، وديوان المعاني ٣٥٢/١ (القدسي)، ٧٠٧ (شعلان)، والمصون في سر الهوى ١٤٢، ونثار الأزهار ٥٣، وسرور النفس ٣٥، والزهرة ١١٤/١.

ـ الأول بلا نسبة في زهر الأكم ١٧٧/٢.

ـ الثاني والثالث لمجنون ليلى في ديوانه ٨١.

ـ الثالث والرابع لابن أبي طاهر في محاضرات الأدباء ٢٢٣/٣ (صادر)، ومع بيت آخر في أربعة شعراء عباسيين ٢٩٤.

[٣]

وقال خالد الكاتب: [الطويل]

١ ـ ولي كبِدٌ مقروحةٌ مَن يبيعُني
بها كبدًا ليست بذات قُروح

٢ـ أباها عليَّ الناس لا يشترونها
ومن يشتري ذا عُرّةٍ بصحيحِ

٣ ـ أَنِنَّ من الشوق الذي بجوانحي
أنينَ غصيصٍ بالسلاح جريحِ

التخريج:

الأبيات لخالد الكاتب في سمط اللآلئ ٦٦٠ وفيه: (اختلف في قائل هذا الشعر، فذكر أنه لخالد الكاتب، هو ثابت في ديوان شعره، والرواية في البيت الثاني هناك:

أبى الناس ويب الناس لا يشترونها

ومن يشتري ذا عرة بصحيح

وكذلك أنشده ابن الأعرابي ولم ينسبه).

- والأبيات لأبي دهبل في المحب والمحبوب ٦٠/٢.

- ولمجنون ليلى في ديوانه ٩٥.

- والبيتان (١-٢) لابن الدمينة في ديوانه ٢٧ من قصيدة في (١٢) بيتًا مرفوعة الروي عدا هذين البيتين فقد طرأ عليهما الإقواء، وأمالي القالي ٢٥/٢-٢٦، وخزانة الأدب ٤٢٢/٨، ومعجم البلدان (وادي المياه).

- (١-٢) للحسين بن مطير في ديوانه ١٩١ (عطوان)، ٤٣ (غياض)، وأمالي المرتضى ٤٣٦/١-٤٣٧، ومعجم الأدباء ١١٦٢/٣، وأنوار الربيع ٢٧٦/٦.

- والأبيات بلا نسبة في تزيين الأسواق ٥١٧ (الهلال)، ٢٧٢/٢ (عالم الكتب)، والأشباه والنظائر ١٥٨/٢، والأغاني ٢٣٣/٥، وعدا الثالث في الزهرة ٤١٩/١، ومحاضرات الأدباء ٨٠/٣ (مكتبة الحياة)، ١٥٣/٣ (صادر).

[٤]

قال خالد الكاتب: [المنسرح]

١- صافحته فاشتكتْ أناملُهُ

وكاد يبقى بنانهُ بيدي

٢- وكنت إذا صافحتْ يداه يدي

كأنني قابضٌ على البَرَدِ

٣- لو لَحَظَتْه العيونُ مدمنةً

لذاب من رقةٍ فلم يُجَدِ

التخريج:

البيت الثالث في صلة ديوان خالد الكاتب ٣٨٨ عن نفحة الريحانة.

والأبيات الثلاثة له في بغية الطلب ٣٢٠٨/٧، والوافي بالوفيات ٢٨١/١٣.

[٥]

وقال خالد الكاتب : [الطويل]

١- فلو أنَّ كُتَّاب العراق أكفُّهم

حَوَتْ قَصَبَ الآجامِ أمدادها البحرُ

٢- يَخُطُّون ما جاءت به الصينُ كاغدًا

وما نَشَرَتْ من طيِّ قرطاسها مِصْرُ

٣- لما كتبوا مِعْشارَ عُشْر عشيرِ ما

تضمَّنَهُ من حُبِّكَ القلبُ والصَّدرُ

التخريج:

- الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب: ٣٢٠٨/٧، وهي تتمة للأبيات التي في الديوان صفحة ٣٩١، رقم ٣٨.

[٦]

وقال خالد الكاتب: [المتقارب]

١- ومستوحشٍ آنسٍ بالبكاء

على قلبه وعلى إنْسِهِ

٢- يرقُّ هواه لأحشائه

ويرثي له الشوقُ من نفسِه

تعقيب واستدراك على ديوان خالد الكاتب

٣- نـأيتُ فلم يَـنْـأَ عنه الضَّنى
وعـــدتُ فـعـادَ إلـــى نُـكْـسِـهِ
٤- وفـارقَـهُ الـصَّـبـرُ فـي يـومِـهِ
لـمـا فـاتَـهُ مـنـك فـي أَمْـسِـه

التخريج

الأبيات لخالد الكاتب في مجمع الذاكرة ١٧٧ نقلًا عن الديارات ١٥. والأبيات عدا الثاني لجحظة البرمكي في ديوانه.

[٧]

وقال خالد الكاتب يهجو مروان بن أبي حفصة: [الهزج]

١- زاد الـبـردُ يـومَـيـن
فـقـال الـنـاسُ مـا الـقِـصَّـة
٢- فـقـلـتُ: أنـشـدونـا شِـعْ
رَ مـروان بـن أبـي حَـفْـصَـةْ
٣- فـتـى مـن شـهـوة الـنَّـيـك
بـحـلـقـوم اسـتـه غَـصَّـه
٤- ولـو يُـرمـى بـبـطـيخٍ
لـوافـى دُبْـرَه رَصَّـه

التخريج:

الأبيات لخالد الكاتب في الأغاني ٢٣/٢٠٩-٢١٠.

[٨]

وقال خالد الكاتب: [م. الكامل]

١- هـل أنـت مـنـتـفـع بـعـلْ
مِـك مـرة والـعـلـم نـافـع
٢- ومَـن الـمـشـيرُ عـلـيك بـالـرْ
رَأي الـسَّـديـد وأنـت سـامـع
٣- فـالـمـوت حـوضٌ أنـت فـي
ـه لا مـحـالـة مـنـه كـارع
٤- فـمِـنَ الـتُّـقـى فـازرع فـإنْ
نَـك حـاصـدٌ مـا أنـت زارع

التخريج:

- الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب ٧/٣٢٠٤.

- ولخالد بن يزيد بن معاوية في العقد الفريد ٢/٨٤.

[٩]

وقال خالد الكاتب: [البسيط]

١- السنُّ تضحكُ والأحشاءُ تحترقُ
وإنـمـا فـتـحـهـا زورٌ ومـخـتـلَـقُ
٢- ليت الذين رَأَوْني ضاحكًا زعموا
رَأَوْا بكائي إذا مـا أظـلـم الأفـقُ
٣- لـولا مراقبةُ الأعـداء لاسْتَبَقَت
مني الدُّموع كما في السرِّ تستبقُ
٤- يـا رُبَّ بـاكٍ بعينٍ قلبُه فـرِحٌ
ورُبَّ ضـاحـكِ سـنٍّ مـا بـه رمـقُ

التخريج:

الأبيات لخالد الكاتب في بغية الطلب: ٧/٣٢٠٦.

والأول والرابع بلا نسبة في تفسير القرطبي ١٧/١١٧.

[١٠]

وقال خالد الكاتب يهجو الحلبي الشاعر: [السريع]

١- قدَّمَها العريُ على نفسه

تفصيلها في القدر السابقِ

التخريج:

البيت لخالد الكاتب في بغية الطلب ٣٢٠٩/٧، وهو تتمة للبيتين اللذين في ديوانه صفحة ٤٠٢، رقم ٦٦.

[١١]

وقال خالد الكاتب: [المنسرح]

١- يا مانعَ العَينِ طِيبَ رَقدَتِها

ومانِحَ النَّفسِ كثرةَ العِلَلِ

٢- علَّمني حُبُّك الوقوفَ على

الضَّيمِ وقطع الأيامِ بالأملِ

التخريج:

البيتان لخالد الكاتب في الدر الفريد ٤٧١/٥، ولابن المعتز في محاضرات الأدباء ٢٣٨/٣، وللبسامي في المحب والمحبوب ١٦٢/٢.

[١٢]

وقال خالد الكاتب: [البسيط]

١- دبَّ الفراقُ بهجرٍ بينَ حِبَّينِ

فجذَّ حبلَهما بالزور والمَيْنِ

٢- رماهما الدَّهرُ رميًا شطَّ بينهما

عن قوس هَجْرٍ فشقَّ الودَّ نصفين

٣- كانا محبَّين شذا عقْد ودّهما

فأرّبا عَقْدَه شدًا بعقدين

٤- فأقبل الهجرُ يُفنِي الودَّ بينهما

أليس هجراهما هذا من العينِ

٥- لا أحسدُ الدهرَ إلا الصاحبَين معًا

والحبُّ يُعجبني بين المحبَّيْنِ

التخريج:

- ديوان أبي نواس ٧٨/١(فاغنر).

[١٣]

وقال خالد الكاتب: [الوافر]

١- وخِلٌّ كان أنسي حين يبدو

ويوحشني إذا ما غاب عَني

٢- وكنت أعده ذخرًا إلى أن

وثقت به فلم يكُ عن ظنّي

التخريج:

البيتان لخالد الكاتب في الأنس والعرس ١٣١.

[١٤]

وقال خالد الكاتب: [السريع]

١- عاد من البَيْنِ إلى البَيْن

جسمٌ نحيلٌ ساهرُ العينِ

٢- صبٌّ قضى الشوقُ على جسمه

والقلب حتى صار نِصفَينِ

٣- خِلْوٌ من اللذَّاتِ دامي الحشا

قَرَّبَه البينُ من الحَيْنِ

٤- مضت ثمانٍ بعد عَشْرٍ له
وكان يخشى هَجْرَ يومينِ
٥- ماذا أراد البينُ يا وَيحَه
لا كان لا كان بإلْفَيْنِ

التخريج:

- ديوان أبي نواس ٧٧/١-٧٨ (فاغنر).

[١٥]

وقال أيضًا: [السريع]

١- كُنّا كروح بين جِسْمَينِ
فصدَّعتنا لوعةُ البَيْنِ
٢- ما أقتلَ البَيْنِ لأهل الهوى
البَيْنُ مشتقٌّ من الحَينِ
٣- أقول لما نَفِدَتْ دمعتي
وصار في خَدِّي كخَدَّينِ
٤- قولَ امرئ أَخْنى عليه الهوى
بجَمْرِ شوقٍ بينِ جَنْبَينِ
٥- آهٍ وويلاهُ من البينِ
ما أسخنَ الفرقةَ للعينِ

التخريج:

- ديوان أبي نواس ٧٨/١ (فاغنر).

نتائج البحث :

أما بعد فإنني أوجز أهم ما تم استدراكه بما يأتي:

١) استدركت تخريج سبع وسبعين مقطعة شعرية توزعت بين الديوان وذيله وصلته.

٢) صححت نسبة بعض المقطعات، ولا سيما التي تنازعها غير شاعر.(م١٠)

٣) صححت كثيرًا من التدليس الذي وقعت به محققة الديوان، إذ نسبت بعض المقطعات إلى الشاعر خالد الكاتب استنادًا إلى بعض المصادر، وبالعودة إلى هذه المصادر وجدت أن بعضها ورد بلا نسبة، وبعضها نسب إلى الشاعر خالد فحسب، من دون تتمة نسبه.

٤) بينت أن هناك عددًا من المقطعات يجب حذفها من الديوان، لعدم ثبوت نسبتها إلى خالد الكاتب.

٥) صححت الخطأ الذي وقعت به المحققة حينما ضمت إلى بعض المقطعات أبياتًا لا علاقة لها بالمقطعة، ومن دون أن تتحقق من الوزن والقافية، ثم قامت وحكمت على هذه المقطعات بالإقواء.(م٣٨٨)

٦) استدركت خمس عشرة قطعة شعرية تضم ثمانية وأربعين بيتًا.

وفي الختام:

لا بد من الإشارة إلى أن ما قامت به المحققة لا يغض من قدر عملها، فهي اجتهدت، وأصابت في مواضع، وتعثرت في مواضع أخرى.

ومن المهم ذكره أن تحقيق كتب التراث يتطلب من المحقق – حتى يكون ناجحافي عمله- أن يمتلك دقة الملاحظة، والصبر، والأناة، والدراية، بيد أن أهم سمة لا بد من توافرها الأمانة العلمية.

المصـادر والمراجع

- أحسن ما سمعت: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. وضع حواشيه خليل عمران المنصور. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٠م.
- أخبار الأذكياء: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. بعناية بسام عبد الوهاب الجابي. الجفان والجابي للطباعة والنشر ـ دار ابن حزم، بيروت، ط:١، ٢٠٠٣م.
- أخبار الشعراء المحدثين: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. عني بنشره ج. هيورث. د ن. دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢.
- الآداب الشرعية: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح شمس الدين المقدسي الراميني الحنبلي. عالم الكتب، بيروت.
- أربعة شعراء عباسيون: تحقيق د. نوري القيسي وهلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٩٩٤م.
- أسواق الأشواق من مصارع العشاق: أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، مخطوط في الخزانة الملكية بالرباط برقم ٣٣٢٤.
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين: الخالديان، أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم. تحقيق د. السيد محمد يوسف. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.
- اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين. أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي. تحقيق غريد الشيخ. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م.
- الإعجاز والإيجاز: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. تحقيق د. عائشة حسين فريد، طبع على نفقتها ٢٠٠٢.
- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- الأمالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي. المكتب التجاري، بيروت.
- أمالي المرتضى ـ غرر الفرائد ودرر القلائد: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ودار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٩٥٤م.
- الأنس والعرس: أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي. تحقيق إفيلين فريد يارد. دار النمير، دمشق، ط: ١، ١٩٩٩م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع: السيد علي بن صدر الدين بن معصوم المدني. تحقيق شاكر هادي شكر. مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٣م.
- إيقاظ الهمم في شرح الحكم: أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني. تقديم ومراجعة محمد أحمد حسب الله. دار المعارف، القاهرة، لاط، لات، تاريخ المقدمة ١٩٨٣م.
- بدائع البدائه: جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر بين حسين الأزدي الخزرجي. ضبطه وصححه مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٧م.
- بستان الواعظين ورياض السامعين: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقيق أيمن البحيري. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٨م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب: ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة. تحقيق د. سهيل زكار. دار الفكر، بيروت، ط: ١.
- بهجة المجالس وأنس المجالس: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي. تحقيق محمد مرسي خولي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي. مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥، وطبعة أخرى في مكتبة ومطبعة الحياة، بيروت.
- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي. دار الفكر، بيروت، لاط، لات.
- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر. تحقيق: محب الدين

أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي. دار الفكر، بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.

- التبيان في شرح ديوان المتنبي: أبو البقاء العكبري. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شبلي. دار المعرفة، ١٩٧١م.
- تحسين القبيح وتقبيح الحسن: أبو منصور عبد الملك ابن محمد الثعالبي.
- التذكرة الحمدونية: ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق د. إحسان عباس وبكر عباس. دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.
- التذكرة السعدية في الأشعار العربية: محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي. تحقيق عبد الله الجبوري. مطابع النعمان، النجف الأشرف، ط: ١، ١٩٧٢م.
- التذكرة الفخرية: الصاحب بهاء الدين المنشئ الإربلي. تحقيق د. حاتم الضامن. دار البشائر، دمشق، ط: ١، ٢٠٠٤م.
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق. العلامة داود الأنطاكي الضرير. تحقيق وشرح الدكتور محمد ألتونجي. عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٩٩٣م.
- تزيين الأسواق في أخبار العشاق: العلامة الطبيب الضرير داود الأنطاكي. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: ٢، ١٨٩٦م.
- التشبيهات: ابن أبي عون. تحقيق عبد المعين خان، جامعة كمبردج، ط: ١، ١٩٥٥م.
- التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم: الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. بعناية بسام عبد الوهاب الجابي. الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم، بيروت، لاط، لات، تاريخ المقدمة ١٩٩٧م.
- التعازي والمراثي: أبو العباس بن يزيد المعروف بالمبرد. وضع حواشيه خليل المنصور دار الكتب العلمية. بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٥م.
- التمثيل والمحاضرة: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو. دار إحياء التراث الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م.
- ثمار القلوب: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. تحقيق إبراهيم صالح. دار البشائر، دمشق، ط: ١، ١٩٩٤.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الجريري. تحقيق د. محمد مرسي الخولي. عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٩٩٣م.
- حلبة الكميت في الأدب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات: النواجي. الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم ٢٧، ١٩٩٨.
- الحماسة المغربية: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي. تحقيق د. محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط: ١، ١٩٩٩م.
- الحنين إلى الأوطان: محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي. تحقيق د. جليل العطية. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- خاص الخاص: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. شرحه وعلق عليه مأمون بن محيي الدين الجنان. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٤م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي. شرح عصام شعيتو. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة: ياقوت الحموي الرومي. تحقيق يحيى زكريا عبارة، ومحمد أديب جمران. وزارة الثقافة، إحياء التراث العربي، دمشق، ط: ١، ١٩٩٨م.

- الدر الفريد وبيت القصيد: محمد بن أيدمر. أصدره فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا، مازن عماوي، إيكهارد نوبيار. معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ١٩٨٨م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. قرأه وعلق عليه محمد محمود شاكر. القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م.
- الديارات: أبو الفرج الأصفهاني. تحقيق جليل العطية. رياض الريس للكتب والنشر، لندن ـ قبرص، ط: ١، ١٩٩١م.
- ديوان ابن بسام = شعراء عباسيون.
- ديوان ابن الدمينة: صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب. تحقيق أحمد راتب النفاخ. مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٧٩هـ.
- ديوان ابن المعتز:

(ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي) تحقيق: د. محمد بديع شريف، دار المعارف بمصر، لاط، لات.

تحقيق د. يونس السامرائي. عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م.

- ديوان ابن وهيب = شعراء عباسيون.
- ديوان أبي بكر الشبلي جعفر بن يونس المشهور بدلف ابن جحدر. تحقيق د. كامل مصطفى الشيبي. المجمع العلمي العراقي، ط: ١، ١٩٦٧م.
- ديوان أبي دلف العجلي = شعراء عباسيون.
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي. تحقيق إيفالد فاغنر. دار الكتاب العربي، برلين، بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م، وطبعة أخرى بتحقيق عبد المجيد طه الغزالي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.
- ديوان البحتري: تحقيق حسن كامل الصيرفي. دار المعارف، القاهرة، ط: ٣.
- ديوان الحماني علي بن محمد العلوي الكوفي. تحقيق د محمد حسين الأعرجي. دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.
- ديوان ديك الجن الحمصي. تحقيق مظهر الحجي. وزارة الثقافة، دمشق ط: ١، ١٩٨٧م.
- ديوان الصبابة: ابن أبي حجلة التلمساني، تحقيق د محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، تاريخ المقدمة ١٩٨٧م، لاط، لات.
- ديوان العباس بن الأحنف: تحقيق عاتكة الخزرجي. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ديوان عبد الصمد بن المعذل. تحقيق زهير زاهد. مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط: ١، ١٩٧٠م.
- ديوان علية بنت المهدي. صنعة محمد باسل عيون السود. عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م.
- ديوان ماني الموسوس (محمد بن القاسم المصري). جمع وتحقيق عادل العامل. وزارة الثقافة، دمشق، ط: ١، ١٩٨٨م.
- ديوان المعاني: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. تحقيق د. النبوي عبد الواحد شعلان. مؤسسة العلياء، ط: ١، ٢٠٠٨م.

طبعة أخرى، عالم الكتب، بيروت.

- ديوان الوأواء الدمشقي. تحقيق د. سامي الدهان. مجمع اللغة العربية، دمشق، ط: ١، ١٩٥٠م، (طبعة مصورة بدار صادر، بيروت).
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام الشنتريني. تحقيق د. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٦م.
- ذم الهوى: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق مصطفى عبد الأحد. دار الكتب الإسلامية، ط: ١، ١٩٦٢م.
- ذيل نفحة الريحانة: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبي. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط: ١، ١٩٧١م.
- ربيع الأبرار وفصوص الأخبار: محمد بن عمر الزمخشري. تحقيق د. سليم النعيمي. دار الذخائر للمطبوعات، قم، إيران، ١٤١٠هـ.ق.

- الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن عبد المنعم الحميري. تحقيق د. إحسان عباس. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب: أبو الفرج عبد الرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق دافيد صيمح ـ جورج قنازع. دار فيسبادن ـ فرانكفورت، ٢٠٠٣م.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: محمد بن أبي بكر ابن أيوب ابن قيم الجوزية. تحقيق محمد غريد شمس، دار عالم الفوائد، مجمع الفقه الإسلامي، جدة.
- زاد سفر الملوك: أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبي. تحقيق رمزي البعلبكي وبلال الأرفه لي. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ٢٠١١م.

طبعة أخرى بتحقيق هلال ناجي. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١١م.

- زهر الآداب وثمر الألباب: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني. مفصل ومضبوط ومشروح بقلم د. زكي مبارك. حققه وزاد في تفصيله وضبطه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط: ٤، ١٩٧٢م.

وطبعة أخرى بتحقيق علي البجاوي. مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م.

- زهر الأكم في الأمثال والحكم: الحسن اليوسي، تحقيق: د. محمد الحجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط: ١، ١٩٨١م.
- الزهرة: أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني. تحقيق: د. إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط: ٢، ١٩٨٥م.
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي. تحقيق د. إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: ١، ١٩٨٠م.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: محمد خليل المرادي. المطبعة الميرية، بولاق.
- سمط اللآلي في شرح أمالي أبي علي القالي: أبو عبيد البكري. تحقيق عبد العزيز الميمني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م.
- شرح مقامات الحريري: الشريشي أبو العباس أحمد ابن عبد المؤمن القيسي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٢م.
- شعر الحسين بن مطير. جمع وتحقيق د. محسن غياض. بغداد، ١٩٨٩م.
- شعر الحسين بن مطير. تحقيق د. حسين عطوان.
- شعراء عباسيون: جمع وتحقيق د. يونس أحمد السامرائي. عالم الكتب. بيروت، ط:١، ١٩٨٧م.
- الصناعتين (كتاب الصناعتين): أبو هلال العسكري. تحقيق علي البجاوي وأبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.
- الظرف والظرفاء: أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء، تحقيق الدكتور فهمي سعد. عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٩٨٥م.
- العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي. تحقيق محمد سعيد العريان. مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط: ٢، ١٩٥٣م.
- عقلاء المجانين. أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب. تحقيق د. عمر الأسعد، دار النفائس، بيروت، ط: ١، ١٩٨١م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط: ٤، ١٩٧٢م.

تحقيق د. محمد قرقزان، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، ط: ٢، ١٩٩٤م.

- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة: محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط. ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٨م.
- الفصوص: أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي. تحقيق: د. عبد الوهاب التازي سعود. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية : ١، ١٩٩٥م.

- فوائد ابن جماعة: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط١، ٢٠٠٤ م
- فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتبي. تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٩٧٣م.
- الكشكول: بهاء الدين العاملي. تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. دار الكتب العلمية، بيروت/ ط: ١، ١٩٩٨م.
- لباب الآداب: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. تحقيق قحطان رشيد صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط: ١، ١٩٨٨م.
- لطائف اللطف: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. تحقيق عمر الأسعد، دار المسيرة، بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.

مجمع الذاكرة أو شعراء عباسيون منسيون: إبراهيم النجار. تونس، مطبوعات الجامعة التونسية، ط١، ١٩٨٧.

- المحاسن في النظم والنثر: أبو الحسن نصر بن الحسن المرغيناني. تحقيق: إبراهيم صالح. دار البشائر، دمشق، ط: ١، ٢٠١٠م.
- المحاسن والأضداد: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري. مكتبة الخانجي، القاهرة، لاط، لات.
- المحاسن والمساوئ: إبراهيم بن محمد البيهقي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، لاط، لات، تاريخ المقدمة ١٩٦١م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق د. رياض عبد الحميد مراد. دار صادر، بيروت ط: ١، ٢٠٠٤م، وطبعة أخرى بلا تحقيق، دار الحياة، بيروت.
- المحاضرات في الأدب واللغة: الحسن اليوسي. تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال. دار الغرب، الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ٢٠٠٦م.
- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: السري بن أحمد الرفاء. تحقيق مصباح غلاونجي. مجمع اللغة العربية بدمشق، ط: ١، ١٩٨٦م.
- المختار من شعر بشار اختيار الخالديين: أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد زيادة الله التجيبي البرقي. تحقيق محمد بدر الدين العلوي. مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٥م. نسخة مصورة بدار صادر بيروت.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، تحقيق مجموعة من المحققين. دار الفكر، دمشق، ط: ١، ١٩٨٤م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان: العياضي. مطبعة حيدر آباد، الدكن.
- المرقصات والمطربات: نور الدين علي بن بن الوزير أبو عمران. دار حمد ومحيو بيروت.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، تحقيق شارل بلا. طبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي. منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ط: ١، ١٩٦٦-١٩٧٩م.
- المزهر في علوم اللغة: جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري. تحقيق كامل سلمان الجبوري. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ٢٠١٠م.
- المستطرف في كل فن مستظرف: بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي. تحقيق إبراهيم صالح. دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.
- مصارع العشاق: جعفر بن محمد بن أحمد بن الحسين السراج القارئ. دار صادر، بيروت، لاط، لات.
- المصون في سر الهوى المكنون: أبو إسحاق إبراهيم ابن علي بن تميم الحصري القيرواني. تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان. دار الغرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٩م.

- مطالع البدور في منازل السرور: علي بن عبد الله الغزولي البهائي الدمشقي.
- المطرب من أشعار أهل المغرب: ابن دحية ذو النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن. تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي. دار العلم للجميع، بيروت، لاط، لات.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم ابن أحمد العباسي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. عالم الكتب، بيروت، نسخة مصورة عن طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي الرومي. تحقيق د. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٩٩٣م.
- معجم أشعار العشق في كتب التراث العربي. غريد الشيخ. قناديل للتأليف والترجمة والنشر، ط: ١، ٢٠٠٧م.
- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٩م.
- معجم ما استعجم: البكري الأندلسي. تحقيق مصطفى السقا. عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٩٨٤م.
- منازل الأحباب ومنازه الألباب: محمود بن سليمان الحلبي. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحيم. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٩م.
- المنازل والديار: أسامة بن منقذ. تحقيق مصطفى حجازي. دار سعاد الصباح، القاهرة/ ط: ٢، ١٩٩٢م.
- المنتحل: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. نظر فيه وصحح روايته أحمد أبو علي. المطبعة التجارية، الإسكندرية ١٩٠١م.
- المنتخل: أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي المكيالي. تحقيق يحيى الجبوري. دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- المنصف في نقد الشعر. وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره: أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي. تحقيق د. محمد رضوان الداية. دار قتيبة، دمشق، ط: ١، ١٩٨٢م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٢م.
- نثار الأزهار في الليل والنهار: ابن منظور الإفريقي محمد بن جلال الدين الخزرجي. مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٨هـ.
- نزهة الأبصار في محاسن الأشعار: شهاب الدين أبو العباس العنابي. تحقيق مصطفى السنوسي وعبد اللطيف لطف الله. دار القلم، الكويت، ط: ١، ١٩٨٦م.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: أبو علي المحسن ابن علي التنوخي. تحقيق عبود الشالجي. دار صادر، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٥م.
- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: محمد أمين بن فضل الله المحبي. تحقيق عبد الفتاح الحلو. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٨م.
- نهاية الأرب: أحمد عبد الوهاب النويري. دار الكتب المصرية، ١٩٢٩م.
- نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء: أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني. اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري. تحقيق رودلف زلهايم، دار فرانتس شتاينر بفيسبادن، ١٩٦٤م.
- الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين: الحافظ مغلطاي. مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٩٧٧م.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. طبعة فرانزشتاينر ـ المعهد الألماني.

الوساطة بين المتنبي وخصومه: علي بن عبد العزيز الجرجاني. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. دار القلم، بيروت، تاريخ المقدمة ١٩٦٦م، لاط، لات.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٧٩م.

مقدمات كتب التاريخ: قراءة في قضايا العلم ومنهجه

د. مزيان علي بناصر•
المغرب

مقدمة:

إن البحث في مقدمات "علم التاريخ"، والوقوف عند سياقها بشكل يحدد تطور التأليف في هذه المقدمات، يقتضي استقصاء مجمل ما تم تأليفه منذ فجر الإسلام، وبداية التصنيف، إلا أن أمرين اثنين قد يحولان دون رسم معالم متكاملة لنشأة هذه المقدمات في التاريخ؛ فأما الأمر الأول فهو عدم إدراج المؤلفين لمقدمات في العديد من التآليف الأولى التي أفردها أصحابها لهذا العلم خاصة، إما بسبب ضياعها، أو بسبب استخفاف المؤلف أو الناسخ بمضامين المقدمات بالنظر إلى خلوها مما هو داخل في مسمى التاريخ، رجالاً أو زمنًا أو خبرًا؛ لذلك وصلتنا الكتب عارية عن أضراب تلك المقدمات. أما الأمر الثاني الذي يطرح صعوبة منهجية تنضاف إلى ما سبق، فهو شمول التاريخ في بداية نشأته للكثير من الفنون، فقد كانت كتب الرجال والطبقات في مختلف العلوم ضمن مسمى التاريخ، فضلاً عن كتب السيرة النبوية التي نشأت نشأة تاريخية باعتبارها امتدادًا لأسلوب أيام العرب، ومواقعهم على مستوى المنهج والتناول؛ لذلك كان العزم في هذا البحث على تناول مبحث مقدمات الكتب ذات الصلة باصطلاح "علم التاريخ"، من غير نظر في الكتب التي كان يقاسمها هذا العلم اهتماماته في بداية نشأته؛ من قبيل الطبقات والرجال والسيرة النبوية.

وحتى لا يكون هذا البحث مجرد سرد لما تضمنته مقدمات كتب التاريخ، سيكون من المفيد، إبراز تلك الطفرات النوعية التي سجلها المؤرخون، وهم يتعاملون مع التاريخ تعريفا ومنهجا ومقصدا. إلى جانب مقاربة بعض المقدمات التي قد يرى فيها القارئ نوعا من الغرابة، حين يجد المصنفَ قد أورد مقدمة "منطقية" تناول فيها أصول الحجاج، والنظر العقلي والمناظرة، في كتاب وضع لعلم التاريخ أساسا، خلال مراحل مبكرة من تاريخ التصنيف

والتأليف. بل قبل أن تتسلل تلك المقدمات المنطقية إلى بعض علوم الشريعة بأزيد من قرن ونصف. فضلا عن بيان إرهاصات لـ"تحقيب" تاريخي يؤسس للانتقال الحضاري للأمم في سيرورتها، بعيدا عن تعقب السلالات الحاكمة، والأسر المسيطرة التي استأثرت بالحكم في فترات من التاريخ الإسلامي. بالإضافة إلى التركيز -قدر الإمكان- على الكتابات التي لم تنل حظها من الدراسة والبحث، والتي ظلت مستترة بهالات مشاهير المؤرخين. إلى جانب ما يطرحه هذا البحث من نتائج قد تعيد النظر في بعض مقولات السبق التي تحولت إلى حقائق مطلقة، وإلى قضايا حسم فيها "بالإجماع" بين الباحثين من غير تدقيق أو تحقيق. كثنائية "القشر واللب" بوصفها وجهي التاريخ عند ابن الأثير، قبل ثنائية "الظاهر والباطن" عند ابن خلدون بقرنين من الزمن، وغيرها من القضايا التي يسعى هذا البحث إلى إعادة تأطيرها، وصولا إلى مرحلة التصنيف المستقل في المقدمات خلال القرن التاسع الهجري من خلال مختصر الكافيجي، وإعلان السخاوي وشماريخ السيوطي.

١. التاريخ: مفهومه وفوائده:

١,١. مفهوم التاريخ:

إن أول ما يستوقف الباحث في مقدمات علم التاريخ التي بدأت تتشكل تدريجيا منذ مراحل مبكرة من تاريخ المسلمين خلال القرن الهجري الثالث؛ هو ما أثاره خليفة بن خياط(ت٢٤٠) حين أشار إلى بعض الأحداث التي كانت الأمم الغابرة تؤرخ بها، وتعتبرها بداية "تأريخ" أحداثها القابلة. إشارات خلقت وعيا تاريخيا لدى المسلمين منذ مرحلة الخلافة الراشدة بضرورة اتخاذ حدث "مركزي" لتدوين الأحداث عند المسلمين. فكان اعتماد "الهجرة" نحو المدينة بوصفها مبدأ للتأريخ الإسلامي، واستبعاد المولد والمبعث، بوصفهما حدثين لا تتعلق بهما مسيرة "الفاعلية الإنسانية" في البناء الحضاري عند المسلمين، كما أنهما لا يمثلان ثمرة جناها الإنسان بفعل تعامله مع الكون والحياة. في حين كان حدث الهجرة الذي أثمر فيه الوحي دافعا نحو التحضر، وإعلانا عن ميلاد هُوية تاريخ الأمة الجديد، تاريخا لفاعلية الإنسان المسددة بالوحي. هذا التوجه في النظر إلى التاريخ الإسلامي أكده الفاروق، وهو يقرر التأريخ بالهجرة قائلا "فإن مُهَاجَرَهُ فرق بين الحق والباطل"[١]، بحيث أصبح من اللازم إحداث قطيعة معرفية وحضارية بين زمنين، وكان لابد من المفاصلة بين عهدين؛ ليتم التأسيس لنشأة التاريخ الإسلامي. نشأة تحيل -إلى جانب الوقت والزمن كمفهوم للتاريخ- على البعد الحضاري الذي يحقق تمايزا عن سائر الأمم، من خلال الإصرار على عدم الركون إلى ما كان معلوما ومتداولا من التواريخ المعروفة، وتشوفا إلى إرساء أسس أصيلة لنشأة أمة جديدة تقطع كل أشكال التبعية لغيرها.

لذلك صار مفهوم التاريخ عند ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) من باب جوامع العلوم والفنون، فسمى مؤلفه "المعارف" معلنا تعدد ما يقع تحت هذا المسمى "وكتابي هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف"[٢]، وكذلك فعل المسعودي

(ت ٣٤٦هـ) في مروج الذهب، وهو يعزز هذا الطابع الموسوعي في النظر إلى التاريخ؛ فحين يستعرض جملة من التصانيف في مختلف الفنون يعمد إلى نقدها، ويبين مكامن القصور فيها رغم أن هذه التصانيف بعيدة عن التاريخ، وهذا النمط الجمعي لمختلف العلوم والفنون في مسمى التصنيف التاريخي أفصح عنه المسعودي في مروجه، وهو يشير إلى طبيعة العلوم والفنون التي حشدها في كتابه: "ولم نترك نوعا من العلوم، ولا فنا من الأخبار، ولا طريقة من الآثار، إلا أوردناه في هذا الكتاب مفصلا"[٣]، غير أن مناقشات المسعودي لمن سبقه من المؤرخين، تدل على أن التاريخ قد تشكلت معالمه الخاصة من حيث الصناعة والقواعد؛ لذلك انتقد ثابت ابن قرة[٤]، وفق ضوابط المؤرخين وقواعدهم، وما تواطؤوا على العمل به؛ لذلك صارت أخبار ثابت على ضوء تلك القواعد "مضادة لرسم الأخبار، وخروجا عن جملة أهل التأليف"[٥]، فالمسعودي لم ينكر أخبار ثابت لغلطها أو زيفها أو مصادمتها للحقيقة، بل حسَّن نقوله، وعدَّها مما يعنى به التاريخ، غير أنه عاب عليه عدم تخصصه حين "خرج عن مركز صناعته، وتكلف ما ليس من مهنته"[٦]، فعدم التخصص يدفع بـ"المتطفل" على علم التاريخ إلى التغافل عن دقيق الصناعة، وقواعد التأليف التي لا يتقنها إلا أهل الفن والصناعة من المؤرخين. وكأن المسعودي قد اعترف بموسوعية علم التاريخ، وأقر بأنه علم ينفتح على سائر العلوم، لكن من غير أن يسمح لغير المؤرخين بالتأليف فيه.

إن هذه الموسوعية في النظر إلى التاريخ نجد لها عوْدا، عند ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) مرة أخرى، حتى أصبح حشد الفنون والآداب عند المؤرخين، من التقاليد السائدة في التأليف التاريخي في عصره "ورأيت المؤرخين يختلف مقادهم فِي هذه الأنباء"[٧] إلا أنها صارت "موسوعية متخصصة" بحيث يقتصر كل مؤرخ على إيراد أخبار فئة من أهل صناعة أو فن أو علم؛ فمنهم من يذكر الأمراء والخلفاء والملوك، ومنهم من يؤثر أهل الأثر فيتتبع العلماء، بينما يتجه آخرون ممن يحبون الزهد إلى ذكر الصلحاء، فضلا عمن يميلون إلى الإخبار عن أهل الشعر والأدب. حتى أضحى هذا "التنوع المتخصص" دافعا عند ابن الجوزي إلى لمِّ هذا الشتات، وتجميع هذا المتفرق "فآتيتك بِهَذَا الكتاب الجامع لغرض كُل سامع، يحوي عيون المراد من جميع ذَلِكَ"[٨]، فجعل التاريخ بذلك وعاء يضم الأخبار جميعها.

إذا كان ابن الجوزي قد ساق جملة من أخبار بعض الفئات الاجتماعية ليضرب بها أمثلة عما كان ضمن اهتمامات المؤرخين في عصره، فإن مطلع القرن السابع الهجري عرف ضربا من التمييز بين أشكال "التاريخ" المعروفة؛ حيث عمد أبو القاسم القزويني (ت ٦٢٣هـ) إلى بيان حقيقة مسمى التاريخ، وسعى للمفاصلة بين أنواعه المختلفة، فقسم ما بين يديه من مصنفات التاريخ إلى ضربين: اهتم الضرب الأول بـ"الحروب والغزوات ونبأ البلدان وفتوحها والحوادث العامة"[٩]، ولعل هذا المسمى أقرب المعاني إلى

حقيقة التاريخ بمفهومه الاصطلاحي، بينما اهتم الثاني بتتبع أحوال العلماء في مختلف التخصصات العلمية، مما أضحى يعرف بـ"الطبقات" التي تعنى بـ"ولادتهم ووفاتهم، وطرف من مقالاتهم ورواياتهم ومشائخهم ورواتـهـم"[١٠]؛ ليدخل هذا الصنف من التاريخ دائرة عناية المحدثين "وبهذا الضرب اهتمام علماء الحديث"[١١]. فـازدادت معالم التاريخ وضوحا، وصارت له هُوية تميزه عن سائر العلوم التي نشأ في ظلها، وأصبح الحديث عن "علم التاريخ" مستقلا عن الخبر وتاريخ الرجال. وصار هذا التميز جليا، ليس فقط من حيث تدقيق التعاريف، وضبط الاصطلاحات، وإنما أيضا بتصنيف ما كتب في علم "الطبقات" إذ أضحى الفصل فيها واضحا بين العام منها[١٢]، وبين الخاص الذي يعنى بأخبار بلدة أو جهة بعينها. وهو فصل جدير بأن يخرج الكثير من مصنفات الرجال وأهل الصنائع والفنون من دائرة علم التاريخ.

٢,١. فوائد التاريخ:

لقد كان المؤرخ متناغما مع سياق نشأة التاريخ، منسجما مع المقصد التعبدي الذي على أساسه نشأت الكثير من العلوم والفنون، حتى ارتبطت فوائد التاريخ، بالمقصد التعبدي لهذا العلم، بحيث يصير التاريخ خادما لإقامة الشعائر الدينية، بل يكاد خليفة بن خياط يحصر وظيفة التاريخ في هذا المقصد، وهو يشير "وبالتاريخ عرف النَّاس أَمر حجهم وصومهم"[١٣]، ونظموا مسائل الزواج والطلاق "وانقضاء عِدَد نِسَائِهِم"[١٤]. إلى جانب ضبط المعاملات بين الناس وصيانة حقوقهم المالية من الضياع "حين حلِّ ديونهم وحقوقهم"[١٥].

كما أن من فوائد التاريخ التي تعكس شعورا بالانتماء الحضاري للأمة، نزوع المؤرخين إلى تضمين مؤلفاتهم مقدمات عن الأنساب[١٦] تُفصح عن هُوية الأمـة التي يؤرخون لها، المتسمة بالتنوع، والجامعة للأعراق والأجناس المتباينة.

إن هذه النظرة نحو علم التاريخ سرعان ما ستعرف تحولا ملحوظا حين توجه اهتمام المؤرخ نحو تتبع العلل؛ حيث "ترتبط المعلولات بعللها"[١٧]، وتفسير الأحـداث "وكيف تدخل الآفات على الملك، وتزول الدول، وتبيد الشرائع والملل؟"[١٨]، تفسير يروم تحديد العوامل التي بسببها يقع أفول الحضارات وزوالها، والتمييز بين ما يأتي من داخل منظومة الدولة نفسها، وبين ما يلحق الدين أيضا من "الآفـات التي تحدث في نفس الملك والدين"[١٩]، إلى جانب ما يطرأ على تلك الدول من "الآفات الخارجة المعترضة لذلك"[٢٠] من غير أن يقف التاريخ عند حدود التشخيص؛ ليحدد طبيعة تلك العوامل فقط، بل يتجاوز هذه الوظيفة ليقترح حلولا وقائية لـ"تحصين الدين والملك"[٢١]، تحصين يستمد مقومات نجاعته من تفاعل المُلك مع الدين الذي يشكل دعامة الدولة ويضمن صمودها. وهكذا تحول التاريخ من مجرد أحداث ماضية إلى قواعد تساس بها الأمم، وقوانين لـ"سياسة البلدان والأديان والجيوش على طبقاتهم"[٢٢]، فتحول التاريخ إلى معين لاستنباط ما يُحتاط به للمُلك، وما تتقى به أسباب التداعي والسقوط.

لقد أشار الطبري(ت٣١٠هـ) إلى أن التاريخ، في المقام الأول هو تاريخ الإنسان المسترشد بهدي الوحي المتفاعل مع تعاليمه، فكان "ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه؛ من رسول مرسل، أو ملك مسلط أو خليفة مستخلف"[٢٣] تاريخ يتتبع أثر هذا التوجيه في حياة الناس ومعاشهم، في مقابل النظر في أحوال الفريق الآخر ممن "كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه وعجل له نقمه"[٢٤] نظر يقوم مقام "الاعتبار" الذي يؤدي معنى العبور من زمن حاضر نحو زمن ماض؛ عبور "استردادي" يؤسس لقراءة واعية في أحداث غابرة لاستجماع عوامل النهوض والسقوط، ويروم الاستفادة من تاريخ الأمس لتوجيه سياسة اليوم.

إلا أن مفهوم الاعتبار قد انتقل من مجال النظر في تعامل الأفراد والجماعات مع نعم الله شكرا أو جحودا، كما أشار الطبري، إلى النظر في عواقب أفعال الناس والأمم وحصائد اختياراتهم، انتقال من "الاعتبار الإيماني" إلى "الاعتبار التجريبي"، وهو اعتبار عده ابن مسكويه (ت٤٢١هـ) عاملا وجيها علل به إعراضه عن ذكر معجزات الأنبياء وسياساتهم في تاريخه، إلا ما كان "منها تدبيرا بشريّا"[٢٥] خالصا لا أثر للإعجاز فيه، لانتفاء أبعاد الاعتبار التجريبي التي تجعل أهل كل زمان "لا يستفيدون منها تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم"[٢٦] في وقت استمرأ الناس "الأخبار التي تجرى مجرى الأسمار والخرافات"[٢٧] حتى أضحت أحداث التاريخ بغية الساهدين إذ "لا فائدة فيها غير استجلاب النوم بها"[٢٨] وملاذا لدفع الملل بـ"الاستمتاع بأنس المستطرف منها"[٢٩]. إن ابن مسكويه بتصوره إنما رام تحويل التاريخ إلى "تجارب الأمم" التي "يتكرّر مثلها، وينتظر حدوث شبهها وشكلها"[٣٠] لتصير سننا وقوانين يسري أثرها على سائر الأمم، سواء بتتبع "مبادئ الدول، ونشء [هكذا] الممالك"[٣١] حال قيامها وتأسيس أركانها، أم برصد أفول دورتها الحضارية من خلال "ذكر دخول الخلل فيها بعد ذلك"[٣٢]. ولعل هذا الإقرار الصريح من ابن مسكويه، بخصوص حقيقة التاريخ، يضع منهج التعليل والتفسير والبحث عن الأسباب في هذا العلم، مما نسبت براءة اختراعه خلال القرن التاسع الهجري إلى العلامة ابن خلدون موضع تساؤل. فهذا منهج بدت معالمه جلية مع بداية القرن الخامس الهجري، حين اتجه ابن مسكويه إلى "الخبر التجربة" الذي عليه مدار القوانين وعوامل النهوض والسقوط، حتى إن إيراده لبعض الأخبار التي تخالف تصوره "مما يجرى على الاتّفاق والبخت وإن لم يكن فيها تجربة"[٣٣] بحيث لا يُرى للإنسان فيها تدبير ولا حسبان "ولا تُقْصَد بإرادة" إنما هو إيراد واع يخضع بدوره لمقصود يرومه المؤلف وهو حفظ الأحداث من الضياع والاندراس "لئلّا تسقط من ديوان الحوادث عنده"[٣٤]، وهذا تعليل سينقل به المؤلف التاريخ إلى علم تتجاوز وظيفته الزمنين؛ الحاضر والماضي؛ ليصبح علما يعين ولي أمر المسلمين ممن "كان في علوّ الهمّة، وتوقّد القريحة، وحفظ الآداب، وسياسة الملك والرعيّة في الخير"[٣٥] على استشراف

المستقبل، واستباق الأحداث، والعمل على تحييد تأثيرها السلبي، والتخفيف من وقعها، من خلال التنبؤ بوقوعها قياسا على ما شابهها من الوقائع التي عاشتها الأمم من قبل. فكلما انتبه إلى تعاقب الأحداث، واستحضرها نصب عينه، إلا وتمكن من توقع سبل التعامل معها "فأعدّ لها أقرانها وقابلها بأشكالها"[٣٦]، وبذلك يظهر أثر التاريخ في سياسة الناس وتدبير شؤونهم، ويلحظ الفرق بين من يتدبر التاريخ وأحداثه، وبين من يلقي به خلف ظهره غير مبال بعواقبه "وشتّان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غرّا غمرا لا يتبيّن الأمر إلّا بعد وقوعه"[٣٧]، فلا يلحظ النوازل إلّا بعين الغريب الذي قلت تجربته، وخفتت خبرته بالأمور ممن يحيره كل "خطب يستقبله، ويدهشه كلّ أمر يتجدّد له"[٣٨].

تحليل سينتهي بابن مسكويه إلى تقرير فائدة عظيمة لدراسة التاريخ، حين يتحول بكامل وقائعه وأحداثه، إلى حياة ثانية يحياها المتدبر في أخبار التاريخ، بوصفها "تجارب له، وقد دفع إليها، واحتنك بها، وكأنّه قد عاش ذلك الزمان كله، وباشر تلك الأحوال بنفسه"[٣٩].

وغير بعيد عن هذا التصور الرصين لماهية التاريخ، يقف ابن الأثير ليفاصل بين بُعْدَين في هذا العلم؛ مفاصلة القشر عن اللب[٤٠]؛ فتحصل بذلك بُعْدٌ أول قصر التاريخ على القصص والأخبار، وجعل "نهاية معرفتها الأحاديث والأسمار"[٤١] فمال عن مقصد العلم، واحتقر التاريخ وازدراه. فصار هذا التوجه كـ"حال من اقتصر على القشر دون اللب نـظـرُه"[٤٢]، وأعـرض عن ماهيته، وغيّر حقيقته، وأظهر التاريخ للناس بغير ما هو عليه، شأنه في ذلك شأن من أحلّ البهرج محل الأصيل من الـدّر، يخدع الناس ببريقه، ويبهرهم بلمعانه، حتى "أصبح مَخْشَلَبَا جوهرُه"[٤٣]. وبُعد ثانٍ تجاوز قشور أحاديث الأسمار، واعتنى بـ"النظر والاعتبار"، نظر في "التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها"[٤٤] لاستجلاء السِّير، ومعرفة السنن، واستنباط القوانين، مما لا يتحقق إلا إذا ربط المؤرخ بين "خراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال"[٤٥] وبين تدبير أهل الجور والعدوان. في مقابل عمارة البلاد، وصلاح العباد، ووفرة الأموال، بوصفها ثمرة من رام العدل وتحرى القسط في سياسة الرعية. وهذا النظر في الحالتين، والمقابلة بين المآلين، سيحمل على "الاعتبار"، بحيث يُستقبح ما يبعث على الخراب والإفساد، ويُستحسن ما يؤدي إلى العمارة والصلاح؛ لذلك فالربط بين الصلاح والعدل، وبين الفساد والطغيان، إنما كان نتيجة استقراء الأسباب والنظر في العلل، واعتبار مآلات الوقائع، وتحقيق الأحداث، مما يُعد من أولى اهتمامات المؤرخ الحق، ويعكس وظيفة التاريخ، بوصفها "اللب" الذي من أجله نشأ هذا العلم. حتى صار التاريخ علما تتجدد حياته في الحاضر والمستقبل.

٢. منهج المؤرخين في التصنيف:

إن تحديد طبيعة المناهج المعتمدة من قبل المؤرخين في تصنيف مؤلفاتهم قد لا يتحقق إلا بعد تتبع فصول تلك التصانيف وتدقيق النظر في

معايير ترتيب الأحداث والوقائع، إلا أن مقدمات تلك التصانيف قد تعين -في جوانب منها- على مقاربة خصائص المنهج المعتمد، لاسيما وقد نجد المؤرخ يفصح عن منهجه في مقدمة كتابه.

١,٢ الطبري من التجميع إلى التحقيق:

لقد حددت المقدمات ملامح المنهج المتبع في التصنيف التاريخي، فالطبري من أوائل من صرح بالمنهج الذي سار عليه لبناء تاريخه، حسب ما وصل إلينا من المقدمات، ولم يترك القارئ تائها وسط مصنفه الضخم، وهو يروم استنباط معالم المنهج الذي اتبعه؛ وميز الطبري بين طريقتين: اعتمد في الأولى على الإسناد وبين أن أسلوبه فيها "إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه"[٤٦] وهي طريقة تلائم الأخبار المسندة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. في مقابل القليل من الكتاب الذي يضمر فيه الإسناد مما يدركه الطبري "بحجج العقول"[٤٧]، ويستنبطه "بفكر النفوس"[٤٨]. ولعل هذا النوع من الأخبار التي ضمنها في كتابه هي التي أخلى مسؤوليته منها رغم أنه أوردها؛ لأنها تتعلق ببعض أخبار الماضين، بعد أن تعذر التوصل إليها عن طريق الرواية. فكأن الطبري رام تجميع المادة التاريخية بمجرد روايتها "إنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أَدّيْنا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا"[٤٩] لهذا راح يعتذر عما في الكتاب مما قد "يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة"[٥٠] فالطبري أبقى على جميع الروايات، وحشد بها مؤلفه على الرغم من أنه أقر صراحة بدرايته بالرجال ممن "حمدت منهم روايته، وتقبلت أخباره، ومن رفضت منهم روايته ونبذت أخباره، ومن وهن منهم نقله، وضعف خبره"[٥١]، فاكتفى بتجميع الأخبار من غير تمييز بين صحيحها وسقيمها، ودون أن يعمل النظر في متونها، فجاء المصنف ركاما من الأخبار والنقول.

يبدو أن منهج الطبري ليس بالمنهج الجمعي المطلق وليس منهجا إسناديا بالكلية، فهو إسنادي فيما تعلق بالأخبار التي اعتمد فيها على الرواية والإسناد، بينما اعتمد منهج النظر في الأخبار وتحقيقها، كما صرح بنفسه من غير أن يبين ذلك بشكل جلي.

٢,٢ المقدسي والنظر العقلي:

بعد ذلك نجد نقلة فريدة في بابها في مقدمات التاريخ؛ بحيث لا سابق يماثلها، ولا مشابه لها في قابل المقدمات؛ مقدمة ظهرت عند المقدسي (ت٣٥٥هـ) وتوقفت عنده، وقد استغرقت من كتاب البدء والتاريخ صفحات عدة خصها المصنف للحديث عن مبادئ فلسفية، أسهب فيها متحدثا عن الجدل والنظر والتأمل وقوانين المناظرة وغيرها. ولعله بذلك قد أسس منهجا للنظر في الأحداث والوقائع وإخضاعها للنقد العقلي والمنطقي، منهج يستمد أسسه من مبادئ الجدل في نقد النقول التاريخية من حيث المتن. ونجد لذلك إشارات في مقدمة الكتاب نفسه؛ حيث يشير إلى ما دخل التاريخ من أباطيل وأسمار موضوعها التاريخ.

فما أورد المقدسي مباحث النظر العقلي والجدل والمناظرة، في مقدمة لكتاب في "علم التاريخ" من باب الترف الفكري والتعالم على الناس، ولا من باب إعجابه بعلوم اليونان وفلسفاتهم وجدلهم، ولا من باب تبعيته لغيره من المصنفين الذين ضمنوا مقدمات منطقية في كتبهم، كما كان الشأن في تصانيف ما بعد القرن الخامس الهجري، بل شكل المقدسي من خلال مقدمته نموذجا للمؤرخ الذي يتأثر ببيئته، ويعكس ظروف زمانه؛ ففي ثنايا مقدمته يشخص الحالة العامة للمجتمع الذي يعيش فيه؛ مجتمع انتشرت فيه الخرافة، وتسيدت فيه الأسطورة، واستسلم الناس لكل غريب، وانقادوا لكل عجيب "والحديث لهم عن جمل طار أشهى إليهم من الحديث عن جمل سار"[٥٢]، عقول تأبى إلا أن تصدق كل مخرص بطال، ومشعوذ أفاك، ومدع كذاب "فهم الى كلّ ناعق سرّاع وعن كلّ ذي حقّ بطّاء"[٥٣] فضعف اليقين في قلوبهم، وخفت نور العلم في عقولهم، فصارت كل "رؤيا مريّة آثر عندهم من رواية مرويّة"[٥٤] فآل الحال عندهم إلى "ردّ العيان وجحد البرهان"[٥٥]. هذه الأسباب مجتمعة انعكست على حال العلماء، ففترت همة من تجرد لطلب العلم، ووهنت إرادة من استفرغ وسعه لتحصيله، فأصبح العلم يأبى "أن يضع كنفه أو يخفض جناحه أو يسفر عن وجه إلّا لمتجرّد له بكلّيته"[٥٦] وهؤلاء قلة معدودون.

لقد قل الاهتمام بالعلم، وضعفت الهمم في طلبه، ودخل الفساد على بعض العلوم؛ فكان أول ما فسد من علم العامة، عقائدهم، بسبب تعلّقهم بالمنحرفين "عن نهج الحقّ في إفساد عقيدة الأغبياء من طريق مبادي الخلق ومبانيه"[٥٧]؛ لأن المصنف حين نظر في مجموع من يتصدرون نقل الأخبار من القصاص، وجدهم ممن يستحلبون "أفئدة العامّة بإطراء مذاهبهم، مفسدين عليهم أذهانهم بما يقصّون من غرائب العجائب الّتي رووهـا"[٥٨]، فقصارى جهد هؤلاء، الانتصار لمعتقداتهم بالتعمية على قلوب البسطاء بما يخترعون من الأخبار والغرائب عن المبتدأ "حتى شحنوا صدورهم بترّهات الأباطيل وضيّعوا نفوسهم بالأسمار والأساطير"[٥٩]، أساطير لا سبيل إلى ردها وبيان تهافتها، إلا بما هو قائم من أصول الجدل وقواعد العقل، مادام هؤلاء قد أعرضوا عن الإسناد وقوانينه، واتخذوا العقيدة أساطير مازالت "عن أحدوثة في العقل مردودة، وأعجوبة عن الفهم محجوبة"[٦٠]. وأمام هذا الركام الذي يحتاج إلى تنقية من "خرافات العجائز وتزاوير القصّاص وموضوعات المتّهمين من المحدّثين"[٦١]، وأمام ما وقع من التشغيب على عقائد الناس بسبب الحديث عن المبتدأ، الذي خالط السقيمُ صحيحَه، وصارت الاخبار والأسمار وسيلة إثبات هذا المبتدأ، الذي يشكل المعتقد جزءا منه. لذلك فإن تنقية الأخبار وتحقيق الأحداث، إنما هو تنقية لهذا المعتقد وتجلية لأصوله. الأمر الذي يلزم معه التطرق إلى الحجاج في "إثبات مبديه" السابق لخلقه، إثبات يتحصل بـ"ذرو من حدود النظر والجدل"[٦٢] التي بها يستدل على "القديم المبدئ المعيد ثمّ ابتداء الخلق"[٦٣]. فتكامل في منهج المقدسي أمران اثنان: الأول ينطلق من الذود

عن العقائد الإسلامية والتصدي للدخيل الباطل منها، والثاني بيان زيف الأخبار التي يتناقلها الناس بحيث لا يقبلها عقل سليم ولا منطق سوي، مما له صلة بالمبتدأ. فلا سبيل إلى ردع أولئك الملحدين الذين "ركبهم الجهل واسترقهم الباطل وهجرتهم الفكر وعميت عليهم مواقع النظر"[٦٤] ولا وسيلة لإفحام الممخرقين الذين "احتالوا في إسقاط التكليف عنهم ليمرحوا في ميادين الشهوات وليركبوا ما يهوونه من اللذات بإنكار علوم الأصول من البديهة"[٦٥] إلا عبر الاستمساك بأصول الجدل والمناظرة.

فكان البيان السابق تعليلا لهذه المقدمات الفلسفية التي أثبتها المؤلف في مستهل مصنفه، حين استيقن أن لا مفر للمحقق حين يعترضه "التخايل والأوهام الفاسدة والخطرات الردئة ما يلتبس معها الحقّ ويتغلّب عندها الظنّ والشكّ"[٦٦] إلا أن يلوذ بالنظر، ويعتصم بقوانين العقل، وأصول المناظرة؛ لأنها باختصار "أعوان الأسباب على درك الحقّ والتمييز بينه وبين ما يضادّه"[٦٧].

فبادر إلى التعريف بذرو من المفاهيم التي سيوظفها في قابل كتابه؛ لذلك بسط القول في المصطلحات التي ستكون أدوات اشتغاله في فصول الكتاب وأبوابه؛ ليتعامل بها على ما وجده متاحا بين يديه من مادة تاريخية متنوعة، وبخاصة تلك المتعلقة بـ"البدء" تمييزا له عن التاريخ؛ فالمصنف سيُعْمِل في البدء مبادئ النظر العقلي والمناظرة، في الوقت الذي سيظل فيه التاريخ محط عناية الإسناد الذي ترد به الروايات أو تقبل[٦٨].

لقد أسقط ابن مسكويه جزءا كبيرا من تاريخ المبتدأ الذي أَلِف المؤرخون تصدير مصنفاتهم به، فأعرض بشكل كلي عما كان قبل الطوفان من الأخبار، وقرر هذا الأمر، بنفسه، حين قال في مقدمة كتابه: "وأنا مبتدئ بذكر الله ومنّته، بما نقل إلينا من الأخبار بعد الطوفان"[٦٩] انسجاما مع منهجه في تحري الصدق في الأخبار، وبناء سياقات تاريخية تتمتع بقدر وافر من الضبط. منهج لا يستقيم و "قلّة الثقة بما كان منها قبله"[٧٠] من الأخبار التي لا يجدي معها نظر المتون ولا تحقيق الأسانيد، إلى جانب عدم انسجام ما كان قبل الطوفان مع مقصوده من التاريخ "؛ لأنّ ما نقل [إلينا]• أيضا لا يفيد شيئا مما عزمنا على ذكره وضمنّاه في صدر الكتاب"[٧١]؛ حيث إن المؤلف، لا يُعنى إلا بما هو داخل في مسمى "الخبر التجربة" كما سبق ذكره في مبحث فوائد التاريخ.

لقد أضاف ابن الجوزي في مقدمة تصنيفه توضيحا بين فيه معالم منهجه؛ فكان أول ما استهل به بدء الخلق. ثم ذكر آدم عليه السلام ومن جاء خلفه من ذريته إلى مبعث النبي ﷺ مكتفيا بعرض "عظائم الحوادث"[٧٢]، التي حملته -إلى جانب ذكر أخبار العظماء من الملوك والعلماء والحكماء- على الالتفات إلى أولئك "العوام" من الناس، الذين يعرض عنهم المؤرخ في العادة، ليتتبع أخبارهم وينقل أفعالهم، وإن كان قد خص بالذكر منهم "من لَهُ خبر يصلح

إيراده من العوام، وَمَا يحسن ذكره من الأمور والحوادث فِي كُل زمن"[٧٣]، وكأن ما يعني ابن الجوزي أحداث التاريخ ذاتَها، وليس صانعوها، والعبرة عنده بنفاسة الخبر وأهميته، وهذه مزية تحسب لهذا المؤرخ. كما أنه عزز منهجه ببيان نمط عرض الأحداث، ابتداء من هجرة النبي[٧٤] صلى الله عليه وسلم عرضا يقوم على الترتيب وفق السنين "ذَكَرْنَا مَا كَانَ فِي [كُل]• سَنَة من الحوادث"[٧٥]. غير أن ابن الجوزي -وإن نحا في اتجاه جمع الأخبار وعرضها وفق ترتيب زمني دقيق- إلا أنه أخضع مادته التاريخية لمعايير دفعته لقبول أخبار ورد أخرى. فضم إلى مؤلفه "الحوادث المستحسنة والمهمة وَمَا لا بأس بذكره"[٧٦] فقط، ونأى عن الإسهاب في ذكر ما يرى فيه تطويلا غير مُجد. وهذا أمر أكده حين قال: "نضرب عَن مَا لا طائل فِي الإطالة بِهِ تحته مِمَّا يضيع الزمان بكتابته"[٧٧]، فأسقط المؤلف كل خبر مطول وَرَدَ لغير مقصد يرتجى أو نفع يبتغى، كما أبعد ما كان مُختَلقا مُلَفَّقا. لذلك يلاحظ اهتمام ابن الجوزي بتحقيق متون تلك الأخبار، وإعمال العقل لتحييد "المستهجن ذكرها عِنْدَ ذوي العقول"[٧٨] مما ورد في مضامينها مع إخضاعها للمنطق السديد. فتأسس منهجه على نقد الخبر في ذاته؛ لتخليصه من الزيادات والمبالغات. حتى صار التمييز بين المقبول وبين المردود من الأخبار إنما يتم بناء على معيارين اثنين: صدق الخبر وفائدته؛ وهذا ما طبقه المؤرخ حين وقف على وقائع فِي مبتدأ وهب بن منبه[٧٩]، فعمد بداية إلى إبطال ما أدرجه "غيره من الأخبار الَّتِي تجري مجرى الخرافات"[٨٠]، ثم نظر ثانيا، في باقي الأخبار، وحين رأى فيها من الإطالة والحشو الزائد أعرض عن "ذكر حوادث لا معنى لها ولا فائدة"[٨١].

إذا كان ابن الجوزي قد جعل نقد المتون من أولوياته، فإنه في المقابل أضاف لمسة دقيقة إلى منهجه ذلك، حين أدخل "المعيار القيمي" ضمن محددات النظر في نصوص التاريخ، إذ يُعمله معيارا "حاكما" على سابقيه ليُسقط به الأخبار المتعلقة بمن عرف عنه معاقرة الخمور وارتكاب الفواحش من الملوك والسلاطين؛ لأن نقلها، مع افتراض بطلانها، يدخل ناقلها "فِي مرتبة القذف"، ومع افتراض صحتها عُدّ "ذلك من إشاعة الفواحش" وهذا كله في نظر ابن الجوزي تطبيع مع الفاحشة، وتجريء للناس على إتيانها، واستهانة بخطورتها بحيث "يهون عَلَى أبناء الجنس مَا هُمْ فِيهِ من الزلل"[٨٢]، فيتخذون مثل هذه الأخبار تَعِلَّة للاستمرار في غيهم. دعواهم في ذلك؛ أن التاريخ يخلد كل عظيم بصرف النظر عن عربدته ومجونه وتفحشه، وهذا زعم ينقض مقصد الاعتبار الذي من أجله تصنف كتب التاريخ حين "يتأدب المسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذَلِكَ شحذ صوارم العقول"[٨٣] كما أن هذا التطبيع، قد يفصم عرى التلاحم القائم بين فاعلية الإنسان الحضارية وبين أساسها الأخلاقي والقيمي، كما يدفع بالأمة نحو الإخلاد إلى الأرض، ويخمد فيها كل جذوة تنزع نحو الترقي الارتفاقي.

رغم ثقافة ابن الجوزي الموسوعية المتنوعة، التي جعلته أكثر علماء المسلمين تأليفا، فإنه قد

تعامل، في منتظمه، مع الأحداث تعامل المؤرخ الناقد؛ فوقف عند حدود تخصصه يرد الأخبار وينتقدها. ولم يخضع لتأثير تَمَكُّنِه من بقية العلوم ليشحن كتابه بالحشو الزائد والاستدراكات المطولة، ولم يحد عن منهج المؤرخ المحقق المدقق، بل استهدى في كل ذلك بقاعدة أصلها بنفسه تقوم على أنه "ليس كل خبر تاريخ" لذلك جاء منتظمه منتظما فقط بـ "الأخبار اللائقة بالتواريخ"[٨٤].

٢,٢. ابن الأثير وثنائية القشر واللب:

يبدو أن منهج التصنيف التاريخي سيتخذ مسارا آخر مع ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، الذي عمد بداية إلى عملية مسح واعية لما بين يديه من التآليف التاريخية، فأخضعها للنظر والمراجعة، وهي مرحلة لا غنى عنها لأي مؤلف، بوصفها عملية تقييم لجهود من سبقه، حتى يحدد منطلقا لما يقصد إلى جمعه وتصنيفه، من غير أن يعيد إنتاج ما ألفه غيره. هذا المسح مكَّن ابن الأثير من تحرير خصائص التأليف التاريخي في عصره، فرغم أنه كان متباينا في طبيعة مادته التاريخية، إلا أن جمع الأحداث وحشدها كان سمة بارزة في نظره؛ حتى "يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض"[٨٥]، بين مسهب مطنب، حَشَد كل غث وسمين، وبين مخل أعرض عن كثير من الوقائع والأحداث، وبين هذين المنهجين ضاعت حقيقة التاريخ بعد أن "ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات، وسود كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى"[٨٦]. إلى جانب المحلية التي طبعت عمل المؤرخين؛ بحيث لا تكاد تقف على مؤلف إلا، ويهتم بتاريخ منطقته لا يجاوزها إلى غيرها. هذا التشخيص حفز ابن الأثير على تصنيف تاريخ يراعي فيه أمرين اثنين:

أ. **التكامل التاريخي بين الأحداث:** حيث وجد أن الشرقي لا يهتم بأخبار أهل الغرب، كما أن الغربي لا يلقي بالا لأحوال الشرق، لذلك عزم على جمع المتفرق في عشرات المجلدات بـ "تأليف تاريخ جامع"[٨٧] يسعى إلى إعادة صياغة الأحداث التاريخية "متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا"[٨٨] بحيث تشكل في مجموعها سياقا منسجما، "فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا"[٨٩] يجلي سيرورة التاريخ المتجدد الذي يعكس أثر تفاعل الإنسان مع مجمل محيطه.

ب. **سد الثغرات**: لقد نظر ابن الأثير إلى سابقيه من المؤرخين، فرأى منهم من يكرر الأحداث ويعيد إيرادها؛ لذلك عمد إليها فاختار أتمها "فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها"[٩٠]، بعد أن وجد تجزيئا للحادثة التاريخية نتيجة المنهج المتداول القائم على الترتيب حسب السنين، فكان المصنف يقسم الوقائع في الحادثة الواحدة حسب سنوات وقوعها، فتراه ينتقل من جزئية إلى غيرها ليتناغم مع منهج المصنف المعتمد على السنين، فضاع بذلك الغرض من عرضها. لهذا توجّه ابن الأثير لجمع ما تفرق من تلك الأحداث في سياق واحد "فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها"[٩١]. فأخرج ابن الأثير "الكامل"

بمعنييه؛ "كامل" من حيث جمعه لشتات ما تفرق في غيره، و"كامل" بتمام توثيق المجموع فيه، مشفوعا بما تصوره المؤرخ من صحة المنقول وصدق الناقل "ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونـوه"[٩٢]، وإلا صار كغيره ممن نقدهم، حين بيّن مواضع سقطهم بأن أصبحوا "كالخابط في ظلماء الليالي"، فزايلهم بقدرته على المفاصلة بين حقيق الأحداث وبين بهرجها، قدرة الخبير على تمييز اللآلئ من الحصباء[٩٣]. وهو ذات المعنى الذي أكده صاحب "ذيل مرآة الزمان" وهو يقيِّم مجمل تصانيف التاريخ، بعد قرن كامل من زمن ابن الأثير قائلا: "وساروا بأفكارهم فجلبوا من أخبار الأمم حطباً وذهبا"[٩٤].

١. أدوات التحليل التاريخي:

إذا كان التنوع قد مس مناهج عرض المادة التاريخية وتنسيقها، ومعايير تعليل إيراد أحداث تاريخية بعينها، والإعـراض عن أخرى، فإن المقدمات التاريخية تضمنت كذلك تفاصيل تعامل المؤرخ مع تلك الأحـداث من حيث استدعاء أسبابها، والبحث عن مآلاتها، والنظر في مقاصدها؛ تفسيرا وتعليلا وبيانا.

١,٢ المعيـار الحضـاري فـي التحقيـب التاريخي عند ابن العبري[٩٥]:

لقد شهد القرن السابع الهجري تأليفا تفرد به صاحبه على مستويات عدة، فابن العبري صاحب "تاريخ مختصر الـدول"، وهو يجمع شتات كتابه، اعتمد على مصادر لم يذكرها غيره من المؤرخين؛ حيث أسعفته ثقافته الواسعة، وتمكنه من لغات أخرى، في إثراء موارد تصنيفه، فتتبع الأخبار السابقة، والأحداث المتفرقة المبثوثة في المصادر غير العربية "على سبيل الالتقاط من الكتب الموضوعة في هذا الفن بلغات مختلفة سريانية وعربية وغيـرهـا"[٩٦]. فكان لتنوع الموارد أثر بالغ في إبداع المنهج الذي اعتمده المؤلف في عرض مادته التاريخية. عرض يعكس نظرة ثاقبة لمفهوم التطور التاريخي، يتجاوز به تعاقب الملوك والدول؛ ليجعل من التاريخ علما يتتبع "التداول الحضاري" الذي يعنى برصد انتقال "مركزية التحضر" من أمة إلى أخرى "داولها الله تعالى بين الأمم فتداولتها تداولا بعد تـداول"[٩٧]؛ لذلك عمد المؤلف إلى تبويب مؤلفه، بعناوين تترجم هذا التحول الحضاري الذي شهده العالم كله، من قبيل " الدولة المنتقلة من" في تنبيه، لا يخفي، إلى ضـرورة عناية دارس التاريخ، بما يطرأ على الأمم والشعوب من تحولات تمس دورتها الحضارية. قصد تتبع علل هذا التحول وعوامله، ورصد نتائجه.

لقد عزز ابن العبري منهجَ تَتَبُّعه للتحولات الحضارية، إلى جانب تبويبه السابق، باستهلالات نفيسة يفصل بها، بين عناوين الأبـواب وبين تفصيل الكلام عن تلك الحضارات المتعاقبة، استهلالات تعكس بُعد نظر المـؤرخ، ودقة تحليله لطبيعة التداول الحضاري؛ حيث عمد إلى استعراض الخصائص المشتركة الجامعة التي تميز كل حضارة عن الأخرى، وأعرض في ذلك عن عوامل العرق والجنس والجغرافيا بوصفها معايير لتصنيف الحضارات، بعد أن استعاض عنها بـ"الدافع الحضاري المشترك"

ولو تعلق الأمر بجمع أجناس بشرية متباينة تحت مسمى واحد، بالنظر إلى العامل الفكري والثقافي والعقدي الجامع لشتات هذا المتفرق؛ لذلك فإن ابن العبري وإن أقرّ منذ البداية بتعدد أصول الأمم السابقة، حين أرجعها إلى سبعة[٩٨]، إلا أن إعمال معيار "الفكرة الحضارية" دفعه إلى ضم تلك الأصول السبعة في طبقتين اثنتين، حسب ما صرح به، حتى صارت بلاد المعمور تحت تأثير حضاريتين؛ "حضارة العلم" و"حضارة اللاعلم".

إن التحليل التاريخي عند ابن العبري، تجاوز حدود "التاريخ السلالي" وتعاقب "الأسر" والملوك، وغاص بعيدا في عمق التحولات الحضارية الكبرى، ليرسم خارطة العالم القديم، بناء على تحديد الفكرة التي تحرك الجماعات البشرية بعيدا عن التصنيف الكلاسيكي، وقد استعان في تحليله بعاملين؛ عامل البيئة، وعامل "الدافع الحضاري" المتمثل في الاهتمام بالعلم ورعايته، وعلى أساسهما صنف الأمم والأجناس "على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم"[٩٩]، حتى أمكن له الوقوف على معالم العالم القديم بمنظور حضاري، لا يقيم وزنا إلا لتلك الأحداث التي تعكس "فاعلية الإنسان" في ارتفاقه بالكون من حوله، وسعيه لتحقيق الترقي الحضاري، فأمكن لأول مرة، ومن خلال الخصائص الحضارية للشعوب، ابتكار "تحقيب تاريخي" يصنف الأمم حسب "نضجها" الحضاري كما يأتي[١٠٠]:

أ. حضارة الفكرة: تضم شعوبا تنتمي إلى نطاق مناخي يتسم بالاعتدال بين انغلاق بيئي تام، يعيق الفعل الإبداعي والمبادرة إلى العمل، وبين تكشف كامل يُغَيِّب دواعي التحدي، ويدفع نحو الدعة والخمول، فتهيأ لتلك الشعوب ما بوأها ريادة علمية. وقد مثلت هذه الحضارة، أمم مختلفة كالفرس والكلدانيين واليونان، ممن شكلوا "طبقة عنيت بالعلوم[١٠١]"•.

ب. حضارة الصنعة: تضم الشعوب ذات الأعداد الغفيرة، من الصين التي برعت في "إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن التصويرية[١٠٢]"، ورغم أن حظها من المعرفة اقتصر على حرص ظاهر على المهارات الحرفية، إلا أن أثر ذلك الحرص بدا واضحا في سائر أحوالها، وأنماط عيشها، حتى صارت من أرغد الأمم عيشا "وأفخمهم مملكة وأوسعهم ديارا"[١٠٣].

ج. حضارة القوة: تقع كسابقتها، خارج طبقة من اهتموا بالعلم، حسب ابن العبري. تمثل هذه الحضارة أمة من ذوات العدد الهائل أيضا ممثلة بالترك. ورغم أنها تشترك مع سابقتها في عنايتها بالصنعة، إلا أن المؤلف جعل لها فضيلة التوجه إلى آلة الحرب ومعالجتها، حتى صارت من "أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب والرماية"[١٠٤] الأمر الذي مكنها من رخاء في العيش، وصيَّرها "فخمة المملكة".

د. البداوة: حالة كانت عليها الشعوب الموغلة في أقصى شمال المعمور أمثال الصقالبة، ممن أثَّرت البيئة الباردة على أجسامهم؛ فابيضت جلودهم، وعظمت أبدانهم، وطالت شعورهم، وانعكس ذلك على أمزجتهم وأخلاقهم حتى "غلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم الغيّ

والغباوة"[١٠٥]، كما شملت هذه الحالة كذلك، أهل مناطق الحر الشديد؛ من الأحباش وسكان السودان الذين غلبت عليهم جلافة الطباع، وغلظة الأخلاق، وفساد الأمزجة "فعدموا بهذا الأناةَ وثبوتَ البصائر"[١٠٦]. حالة حملت ابن العبري على إخراج هؤلاء من دائرة الحضارة، فضلا عن نزع صفة الآدمية عنهم، لأنهم في نظره "أشبه بالبهائم منهم بالناس[١٠٧]".

بناء على ما سبق يتبين أن التاريخ عند ابن العبري، هو تداول حضارات، وتدافع بين الأمم بحيث تسعى كل حضارة للتمكين لنفسها، وبسط أخلاقها وعوائدها، ونمط عيشها، أكثر من مجرد أفول سلالة وقيام أخرى، ضمن الحضارة الواحدة.

٢,٢ مراعاة خصائص العمران أساس التحليل التاريخي عند ابن خلدون:

إذا كان الدافع للتحضر عنوان التحليل التاريخي عند ابن العبري، فإن المُبتكَر عند ابن خلدون ليس دعوته إلى تحقيق الأخبار والتثبت من صدقها فقط؛ لأنها دعوة تكررت عند سابقيه بقرون عدة، وإنما جِدَّة منهجه في التحليل التاريخي تكمن -إلى جانب ما تداوله من سبقه من المؤرخين من ضرورة النظر في الروايات خاصة ليصير "الناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم"[١٠٨]- في اعتماد ابن خلدون على مرجع وسمه بـ"العمران" بوصفه معيارا أساسا في التعامل مع الأخبار. فلا ينبغي للمؤرخ أن يلغي خصائص التجمعات البشرية، وطبائعها الاجتماعية والثقافية، في تأطير الحدث ضمن سياقه العام؛ لأن عدم مراعاة هذا السياق بإيراد الوقائع ضمن "صور قد تجردت عن موادها، وصفاحا أُنْتُضيت من أغمادها"[١٠٩] يدفع في اتجاه تعميم أحكام لا تستقيم وطبيعة المرحلة التاريخية؛ لأن "للعمران طبائعَ في أحواله ترجع إليها الأخبار، وتحمل عليها الروايات والآثار"[١١٠]، فتحقيق الأسانيد لا يرقى بمفرده لتحقيق الدقة المرجوة في الحدث التاريخي، مالم يؤازر بالنظر في متون الخبر، وعرض مضمونه على طبيعة الحياة الاجتماعية، والسمات الحضارية المميزة للمرحلة التي ينتمي إليها الخبر. لذلك فإن حديث ابن خلدون عن هذا المعيار كان في مستهل مبحث سماه "قصور المؤرخين" في تنبيه واضح منه لعموم المؤرخين، بأن انتفاء هذا المعيار لدى المؤرخ وهو "يذهل عما أحالته الأيام من الأحوال، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال"[١١١]، يعد من مظاهر القصور المنهجي، الذي سيؤثر لامحالة، على مجمل النتائج التي يتوصل إليها كل مهتم بالتاريخ. بل ذهب ابن خلدون بعيدا، وهو يرفع من شأن هذا "العامل"؛ لأنه "سابق على التمحيص بتعديل الرواة"[١١٢]. فإذا كان المعتمد لصحة الأخبار الشرعية حصول الظن بصحتها من خلال "صحة الظن الثقة بالرواة للعدالة والضبط"[١١٣]، فإن خلاف ذلك معمول به في التاريخ إذ لا يعمد إلى "تعديل الرواة حتى نعلم هل ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع"[١١٤]، وهذا قانون سماه ابن خلدون "المطابقة" بالنظر إلى أن استحالة وقوع الخبر، يجعل النظر في التعديل والتجريح أمرا عاريا عن كل فائدة.

يبدو أن الوعي بضرورة مراعاة مقتضيات "العمران"، بوصفه من مقومات المنهج التاريخي يظل قاصرا عند ابن خلدون للوقوف على حقائق التاريخ، في غياب شرط "الموضوعية" التي تعكس حياد المؤرخ، وهو يتعاطى مع وقائع التاريخ، فالولاء للطائفة يخرم شهادة المؤرخ بشكل عام، وينأى به عن العلمية والتحقيق؛ لأن النفس كلما خامرها تشيع لرأي أو نحلة، دفعها لقبول ما يوافق ميلها، ورد ما يخالف هواها، فيصير "ذلك الميل والتشيع غطاء عن بصيرتها من الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله"(١١٥).

ومن اللافت للنظر أن ابن خلدون لم يقف عند حدود التنظير المجرد بوضع القواعد، وتحديد المعايير لمنهجه المقترح، بل اتجه نحو تنزيل القواعد والآليات التي أرساها على أحداث التاريخ، فصار منهجه يجمع بين الجانب النظري والتنزيل التطبيقي؛ لذلك عمد في "المقدمة" نفسها على الرغم من أن المقدمات تقتصر على بناء التصورات والرؤى فقط- إلى تطبيق منهجه على جملة من قضايا التاريخ؛ فأورد نماذج طبق عليها ما سبق أن حدده. نماذج استغرقت التاريخ البشري، وانسحبت على مجمل مراحله؛ حيث أورد أمثلة من مراحل ما قبل البعثة مما له تعلق بحضارات عاد وإرم وبني إسرائيل، بالإضافة إلى مرحلة بني أمية وبني العباس والأدارسة والموحدين، كما أن الأمثلة شملت مناطق الغرب الإسلامي وشرقه، فضلا عن تنوع القضايا التي أخضعها ابن خلدون للنظر والتحقيق؛ فدقق في الأعداد وبين غلطها اعتمادا على قواعد العقل والمنطق، ورد أخبار اليمن وغزوها استنادا إلى طبيعة الموقع وقوانين الجغرافيا، وبيَّن تهافت ما ألصق بالرشيد من مطاعن القُصّاص والسُمَّار. وحقق نسب العبيديين والأدارسة والموحدين. فكان بذلك نموذجا عمليا شاملا متكاملا من حيث الجغرافيا والتاريخ والموضوع.

٤. مقدمات علم التاريخ واستقلال التصنيف:

يبدو أن المقدمات المتعلقة بـ"علم التاريخ" كان يلزمها القرون الطويلة، لتستقل بنفسها عن كتب التاريخ العامة والخاصة، وصار "المختصر في علم التاريخ" أول مصنف أفرده صاحبه لمقدمات علم التاريخ خاصة، وصار إعلان السخاوي الجامع لما تفرق في مقدمات التاريخ، يبين جدوى العلم، وينبه على قيمته، ويوبخ من سعى لينتقص من فوائده.

١,٤ الكافيجي و"المقدمة"، نحو تأسيس علم التاريخ:

صار الكافيجي (ت٨٧٩) أول من ألف في مصطلح "علم التاريخ" قياسا على علم "مصطلح الحديث" وغيرها من علوم الشرع الأخرى. وتمكن من التوفيق بين الجانبين: النظري والتطبيقي للتاريخ.

لقد ربط الكافيجي التاريخ ربطا وثيقا بالزمن، وهو بذلك يقصر هذا المفهوم في بعده الزماني المتعلق بالوقت "علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوثيقه"(١١٦)، وهو ربط تعزز إلى جانب

التعريف السابق، باستطراد ملحوظ تعرض فيه المؤلف بإسهاب إلى تدقيق "المعجم" ذات الصلة بتحديد الوقت، وتعيين مقادير الأيام والأشهر والسنوات، بشكل بيَّن فيه الفروق الدقيقة بين تلك المصطلحات.

غير أن المؤلف لم يسر طويلا على هذا النهج، بل أورد تعليلين لافتين؛ إذ علل رد المسلمين التأريخ بما عرف عند الأمم السابقة، وأعرضوا عن تاريخ اليهود "لما فيه من الطول"، وزايلوا تاريخ الفرس، لكونه "غير مستند إلى مبدإ معين" إلى جانب عدم ثبات مسيرة التأريخ عند الفرس، فـ"كلما قام فيهم ملك ابتدؤا[هكذا] من لدن قيامه وطرحوا ما قبله"[١١٧]، كما علل اتخاذ الهجرة بداية التاريخ عند المسلمين، عمدته تضارب الآراء حول مولده ومبعثه، ونأيهم عن اتخاذ وفاته مبدأ تاريخهم؛ لأن الهجرة حدث تعلقت به "تحولات" ارتبطت بالحياة الحضارية للمسلمين، بوصفها مناسبة توّجت مسيرة الرسالة الخاتمة، و"توالي الفتوح وترادف الوفود"، حتى أضحت الهجرة حدثا "يعظم وقعه في النفوس"، وصار التأريخ بالهجرة ذكرى تتجدد كل عام، تبعث على استنهاض الهمة والدفع في اتجاه مواصلة المسير، بتشوف نحو الريادة.

إن هذا الرتق بالجمع بين "الزمن" و"الحدث"، هو ما ميز انطلاق التاريخ الإسلامي، حين وسم المسلمون سنواتهم الأولى بأحداثها، فنعتوا السنة الأولى بسنة "الإذن بالرحيل"، وجعلوا الثانية سنة "الأمر بالقتال"، وعدوا الثالثة "للتمحيص". فكأن طبيعة الحدث المؤَرَّخ بتلك السنة، هو الذي يحدد أهميتها؛ لذلك أصبح التاريخ يعنى بـ"الحوادث الصائلة العظام، والأمور الهائلة الجسام"، وكأن العناية بعظيم الحدث، إنما يعكس عظم هذا العلم وشرف طلبه.

إن الحدث التاريخي عند الكافيجي، بالنظر إلى دقة الخبر المتعلق به وضبطه، إنما يتحدد بناقل الخبر، نفسه من حيث الوثوق به من عدمه، لذلك يتطلب التعامل مع الناقل قواعد خمسة[١١٨]، تحدد قيمة الوقائع التاريخية، اعتمادا على قربها من "عصر الناقل"، فالوجه الأول من تلك القواعد، يخرج عن مسمى الخبر، ويفاصل دائرته؛ حيث يتبوأ صدارة "الدقة التاريخية" إذ "ليس الخبر كالعيان"[١١٩]؛ لأن "المؤرخ الناقل للحدث" يصبح جزءا من الواقعة؛ يعاينها، ويعيش تفاصيلها حضورا ومعاصرة، وهذا وجه من أرفع الوجوه وأعلاها؛ لذلك كانت العناية به آكدة أكثر من غيره. ويقف على الطرف المقابل لهذا الوجه، تهافتا وضعفا، وجه خامس يجدر بالمؤرخ ألا يـورده، وإن فعل، فإنما يكون بقصد فائدة مرجوة مستقبلا حين يظهر في قابل الأيام ما يعين على تحقيق هذا الخبر، وتتبيّن سبل تمييزه بأن يتحصل ما يسعف على كشف مجاهيل الأحداث وفتح مغاليقها "إذ ربما يحصل الاطلاع عليه فيما بعد، وإن لم يحصل الاطلاع عليه في الحالة الراهنة"[١٢٠]. ولعل هذا الوجه الأخير يقاسم وجها رابعا بحيث يحصل تعارض بلا ترجيح، فلا يرتجى من وراء إيراده غير "التقميش" الذي به يُحفظ عموم التراث من الضياع، وتُهيء القرائح "للتفتيش" الذي

بواسطته تُنقى الأخبار المجموعة، ويميز سقيمها من صحيحها. بينما ألحق الوجه الثاني حيث العلم واليقين، والثالث الذي يغلب عليها الظن، بالأول في ضرورة الاهتمام بهما، والسعي في طلبهما.

إن الكافيجي، وقبل أن يختم مؤلفه، أفرد بابا لبيان فوائد علم التاريخ، فذكّر بما عُرف عند سابقيه من عبر التاريخ وفِكَره؛ عبر لأولي الأمـر، ملوكا ووزراء، وللعامة أيضا، حتى صيَّر التاريخ موسوعة تتداخل فيها جملة من الفنون والآداب والعجائب والغرائب والأمثال وغيرها[١٢١].

إذا كان الكافيجي على المستوى النظري التأصيلي، قد تمكن من لم شتات أسدية العلم المتفرقة ونجح في ربط أوصالها، وتمكن كذلك من تلمس عضوية العلاقة بين الخبر وناقله وزمن وقوعه، وهي الأضلاع الثلاثة التي إذا أطلق علم التاريخ انصرف إلى إحداها. إلا أنه سجل ضعفا كبيرا في الجانب التطبيقي، ولم يحالفه التوفيق في اختيار النماذج العملية المناسبة، فانساق يورد الغرائب والعجائب، إيرادا لا يتناسب وما أشار إليه في الشق النظري، حين اشترط ضرورة الاهتمام بما كان في ذرى التحقيق والصدق، إذ ما جدوى سوق "عوج بن عنق" و"العنقاء" مع نبي الله سليمان، وغيرها كثير، مما لا ينسجم مع أدنى أوجه التحقيق التاريخي التي ذكرها في الوجه الخامس؟ وهل ظن الكافيجي أن يحقق المؤرخون من بعده خرافات كهذه إذا توافرت لهم المعطيات التي لم تكن بين يديه؟ لقد أخفق الكافيجي في تعزيز أصوله النظرية بالنماذج اللائقة لتنزيل تلك الأصول عليها، وإخضاعها لجملة القواعد التي فصلها، على خلاف ابن خلدون الذي انسجم في اختياراته مع تعريفه للتاريخ في بعده الباطن الذي يعنى بالبحث في الأسباب والعلل.

٢,٤ "إعلان" السـخاوي: جامع في الذود عن التاريخ:

غير بعيد عن زمن الكافيجي، وعلى بعد عقدين من الزمن، أسس السخاوي (توفي ٩٠٢ هـ) معالم مقدمة متكاملة في علم التاريخ، أوسع مجالا، وأكثر استيعابا، حتى أمكن تسميتها بـ "جامع المقدمات"؛ حيث تتبع كتب التاريخ، والطبقات والفهارس والسيرة والأدب وما اختص بالترويح والتفكه، فجمع منها ما تضمنته من نصوص ذات صلة بعلم التاريخ، من حيث تعريفه وموضوعه وفوائده، مما سبق ذكر معظمه في مباحث سابقة من هذا البحث.

غير أن السخاوي وهو يفرد حوالي الثمانين صفحة (٨٠) للحديث عن فوائد التاريخ، ويستقصي أقوال المؤرخين وغيرهم، ويفتش عن ذلك في كتب الفنون والآداب وسائر العلوم، إنما كان منسجما مع مقصده من التأليف؛ حيث حاول أن يبين بداية أهمية هذا العلم الذي انبرى البعض من الناس إلى التنقيص من قيمته، والاستهانة بجدواه "بحيث تتطرق للتنقيص له ولأهله بعض أولي البليات"[١٢٢]، فكان لابد من تعزيز رد المطاعن عن هذا العلم، بحشد نصوص تتباين من حيث الطول، استقاها من تآليف تتبعها منذ

عصور متقدمة من تاريخ الحضارة الإسلامية، تتبع لا يروم من خلاله بيان فائدة هذا العلم بتكرار النصوص المؤكدة لقصده فقط، بل هو تتبع يقصد به إجلاء فضل التاريخ على سائر العلوم؛ فعلم التاريخ لا يكاد يستغني عنه المحدث، والفقيه والنوازلي والطبيب والأديب والمهتم بالسياسة من الأمـراء والـوزراء والـولاة، كما لا يكاد يُعرض عنه أهل السلوك في التربية والتزكية وعلو الهمة، فضلا عن عوام الناس ممن يطلبون فيه الاعتبار. إلى جانب أثره العظيم في صيانة تـراث الأمـة وذاكرتها الحضارية، صيانة لا تتحقق إلا بتأريخ جهد العلماء والمجتهدين وأهل الفضل ممن لهم يد بيضاء على الناس والأمة جمعاء، لذلك اشتهى الكثير تخليد اسمه وتأريخ ذكراه عند المؤرخين، ولو في زمرة المذمومين؛ لذلك قال ابن البناء القرشي الحنبلي (توفي أواخر القرن الخامس الهجري) "ليت الخطيب البغدادي ذكرني في تاريخه ولو في الكذابين"[١٢٣].

إن هـذه الـحـاجـة إلـى الـتـاريـخ يقتضيها موضوع هذا العلم نفسه، الذي يستوعب الإنسان والزمان[١٢٤]، وما يتعلق بهما من مسائل تعرض لهما في سائر أحوالهما. بل وتقتضيها أيضا طبيعة العلم الذي يتعلق به التاريخ، وهو اقتضاء جعل هـذا العلم مـدار أقسام الحكم الشرعي الخمسة، أمرا ونهيا وتخييرا؛ أمرا لازما بتحقيق الرواة وأخبارهم وردع الكذابين، واستحبابا بـ "إعمال الفكر في تدبر العواقب"[١٢٥]، ونهيا عن الزيادة في مقدار الجرح، وكراهة بالعناية "بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى، وترك تسطيرها أحرى وأعلى"[١٢٦] وتخييرا بإباحة الاشتغال به للسمر والتفكه.

يبدو أن السخاوي قد أدرك كنه التاريخ الحقيقي، بذات المعنى الذي عناه ابن الأثير في تتبع الأسباب والبحث عن العلل، غير أن انشغاله بالانتصار لعلم التاريخ، دفعه إلى حشد النصوص المفندة لمزاعم المنتقصين، بشكل شغله عن صقل عديد الدرر التي أوردها في ثنايا كتابه؛ حيث ساقها عرضا، مجملة دون أن يفصلها. فمن سعة أفق السخاوي ووعيه بماهية التاريخ أن يقول: "إن من أنصف يعلم أنه ليس من العلم [أي من التاريخ] فتح البلد الفلاني في سنة كذا، ولا عدد الجيش كان كذا"[١٢٧]، إلا أنه سكت؛ حيث كان يلزمه الحديث، فلم يعقب بما هو جدير ببيان تصوره لحقيقة هذا العلم، رغم أن حديثه السابق عن علاقة العلم بالإنسان والزمن قد يشفع له في توقفه هذا، لاسيما وأنه قد أحال على ثنائية "القشر واللب" عند ابن الأثير في مواضع من مؤلفه. كما أن قصد السخاوي إلى "تبرئة" التاريخ، دفعه إلى حديث مطول عن شروط المؤرخ، وما ينبغي له من تحري الضبط والإتقان، ومعرفة بطرق النقل، وما يلزمه من توخي الموضوعية التي تقتضي مزايلة "المحاباة المفضية للعصبية، المعبر بعضهم عنه[هكذا] بتجنب الغرض والـهـوى"[١٢٨]، كما تقتضي مراعاة الدقة في استعمال الألفاظ المناسبة لسياق المقام، بشكل يكسب المؤرخ لغة "تاريخية" دقيقة تقطع مع عبارات المدح، أو الانتقاص، بحيث

يتحول المؤرخ إلى ناقل أمين يتجرد من ذاتيته، بل يتغاضى عما نشأ بينه وبين من يؤرخ له من اختلاف وخصومة.

خاتمة

إن السمة المشتركة في كل مقدمات التاريخ، هي الوعي بأهمية تجديد كتابة هذا التاريخ، وضرورة النظر في منهج بناء أحداثه، وفق ما يظهر للمؤلف من مقتضيات الوقت. يستعين على ذلك بثقافة عصره، حسب ما يحققه هذا العلم من مقاصد يراها المؤرخ ملحة لخدمة قضايا هذا العلم وأولوياته الوقتية.

كما أن الاهتمام اللافت بفوائد التاريخ والتوسع في تفاصيلها، لا يروم -كما يغلب الظن- تحقيق مقصد وعظي أخلاقي بقدر، ما يعكس تعبيرا مضمرا عن طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية التي يحياها الناس في كل عصر. فكان حديث المؤرخ عن أهمية التاريخ في حمل الملوك على الاعتبار من عواقب الظلم التي لحقت بمن كان قبلهم، هو تعبير عن حالة قائمة من خفوت العدل؛ لأن المؤرخ غالبا ما يكون "واقعيا" في حديثه، فلا يورد الفوائد إلا بعد رصد خصائص مجتمعه وعصره، وهذا ما يفسر انتقال المؤرخ من عرض الفوائد الدنيوية نحو الإسهاب في عرض الفوائد الأخروية، حين يلحظ الإعراض عن الاعتبار بما وقع في سالف الدهور، فينتقل من حديث العقل، إلى حديث العاطفة يستحث النفوس، ويروم رقة القلوب؛ يستجدي ما تبقى فيها من بقايا الإيمان عله يفتح الأبصار على ما لحق الناس من صنوف الظلم، وما أصابهم من أشكال الضيم، وما اعترى أسباب عيشها من ضيق وحرج. وما كان للمؤرخ، أيضا، أن يعرض لأثر التاريخ في ترشيد سلوك العامة وسائر شرائح الناس من العمال والحرفيين وأهل الصنائع، وحثهم على مزايلة ما يأتونه من شائن السلوك، إلا بعد أن تفحص فعالهم ونظر في مجموع تصرفاتهم، وقد بدا منهم من معيب الفعال، وكريه الخصال ما أفسد الذوق العام، مما تبدلت به أحوال الأمة، وتغيرت أصالة معدنها.

كما أن تتبع ما توفر من مقدمات كتب التاريخ، أتاح إعادة النظر في التسليم بأسبقية بعض المؤرخين إلى "ابتكار" مفاهيم لم يسبق إليها غيرهم، إذ يلاحظ أن عديد المؤرخين قد تفردوا بابتكار أدوات التحليل والتحقيب في أزمنة مبكرة، فثنائية "القشر واللب" عند ابن الأثير، تسبق ثنائية "الظاهر والباطن" عند ابن خلدون، وابن العبري بحديثه عن "الانتقال الحضاري" وخصائصه، وأثر الدافع والفكرة نحو التحضر، بوصفه معيارا للتحقيب التاريخي، وأداة للنظر في السنن والقواعد التي عليها قيام الدول وأفولها، إلى جانب مسألة "الاعتبار" في النظر التاريخي؛ بشقيه الاعتبار الوعظي عند الطبري، والاعتبار التجريبي عند ابن مسكويه.

إذا كانت مقدمات علم التاريخ ماتزال تحتفظ بأثر علم الرجال، ومعالم منهج المحدثين، حتى وجدنا عناية السخاوي بضبط الحدث التاريخي على شروط ناقل الخبر من حيث ضبطه وعدالته وسلامته من الكذب، أكثر من عنايته بالخبر في ذاته، وإن كان قد ألم ببعض ما له علاقة بحقيقة

الخبر المعتد به عند المؤرخين. فإن الباب مفتوح أمام الباحث عن مقدمات علوم أخرى، ليستزيد من درر العديد من قضايا التاريخ؛ تعريفا، ومنهجا، وفوائد، في غير كتب التاريخ، تتسم بالإبداع والتميز بشكل يبعدها تماما عما ألفه السابقون وأعادوه، حين نظروا في أحوال الدول وخصائصها، ومن أظهر ذلك، ما ساقه ابن حزم، في مؤلفه عن السيرة النبوية، وهو يحدد خصائص الدول "السلالية" التي تعاقبت بعد نهاية الخلافة الراشدة؛ حيث يتحدث عن بني أمية بكونها "دولة عربية، لم يتخذوا قاعدة"[١٢٩]، بينما كانت دولة بني العباس "أعجمية سقطت فيها دواوين العرب"[١٣٠]. فبهذه الكلمات القليلة الدالة، تمكن ابن حزم، برؤية المؤرخ، أن يحدد معالم الروح العامة في حياة دولتين كبيرتين، وبتحليل وقف فيه عند دقائق الحقائق التاريخية.

كما أن التأليف التاريخي من خلال المقدمات، يمكن أن يوجه الباحث نحو تلمس الحياة السياسية، والمعالم الحضارية للأمة الإسلامية في مراحل من تاريخها، فتوجه التأليف التاريخي نحو البلدان والأقطار، إنما يعلل في بعض جوانبه بانفصام عرى الخلافة الجامعة، والإحساس بالضياع الحضاري، وفقدان الهوية العامة الجامعة، الأمر الذي دفع المؤرخين نحو الانكفاء على الذات والتعلق بالانتماء القطري الضيق، فظهرت كتب التاريخ التي اهتمت ببلدان وبقوميات وبأعراق وبمناطق بعينها. وكأن المؤرخ حينما شعر بانحسار الفكرة الجامعة، تشبث بالجغرافيا فأراد أن يحافظ على رقعته الضيقة ويعزز انتماءه إليها. بعد أن كان الانتماء في تصور المؤرخين القدامى واسعا يضم المشترك الإنساني. فبعد أن أرخوا للإنسان منذ بدء الخليقة، انحسرت رؤيتهم وضاق أفقهم، وأصبح التعبير عن الانتماء ضيق جدا، ومنحصرا في بقعة جغرافية، أو عرق فقط، بعد أن كانت "الفكرة الحضارية" عنوان الانتماء.

الحواشي

- أستاذ باحث بمختبر **"المجتمع والخطاب وتكامل المعارف"** الكلية المتعددة التخصصات، الناظور، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.

١. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم ومؤسسة الرسالة، دمشق، ط٢، ١٣٩٧، ص: ٥١

٢. المعارف، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢، ٣/١

٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ١٥/١.

٤. طبيب وفيلسوف، كان مستشارا المعتضد، اشتغل بالتنجيم. توفي سنة ٢٨٨هـ. انظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: جماعي بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ١٣/ ٤٨٦

٥. مروج الذهب، ١٥/١.

٦. نفسه، ١٤/١.

٧. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ١١٥/١.

٨. نفسه.

٩. التدوين في أخبار قزوين، أبو القاسم القزويني، ١/ ٢.

١٠. نفسه

١١. نفسه

١٢. لقد أورد القزويني عشرات المصنفات التي تنتمي إلى "ما يهتم بها علماء الحديث" وجعل منها عاما وخاصا، بشكل يبعث على الاعتقاد بأنه قد أزال بعض الغبش عن التخصصين؛ علم التاريخ، وعلم الطبقات. انظر تفاصيل تلك المصنفات في التدوين للقزويني ٣/١.

١٣. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٧، ص:٤٩

١٤. نفسه.

١٥. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ، ١/ ٥.

١٦. انظر: المنمق في أخبار قريش، أبو جعفر البغدادي (ت٢٤٥هـ)، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، وانظر كذلك ما ورد في مقدمة المعارف، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروة عكاشة، دار المعارف، ط٤.

١٧. التنبيه والإشراف، ٨/١

١٨. نفسه، ١/ ٢.

١٩. التنبيه والإشراف ٢/١.

٢٠. نفسه

٢١. نفسه

٢٢. نفسه

٢٣. الطبري، ج١ ص ٦.

٢٤. نفسه.

٢٥. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ابن مسكويه، ١/ ٥٠.

٢٦. نفسه، ١/ ٥٠.

٢٧. نفسه، ٤٩/١

٢٨. نفسه.

٢٩. نفسه.

٣٠. نفسه، ٤٧/١

٣١. نفسه

٣٢. نفسه

٣٣. نفسه، ١/ ٥٠

٣٤. نفسه.

٣٥. نفسه، ٤٩/١.

٣٦. نفسه

٣٧. نفسه، ١/ ٤٨

٣٨. نفسه.

٣٩. نفسه ٤٨/١.

٤٠. إذا كان ابن الأثير يتحدث عن ثنائية "القشر واللب" فإن ابن خلدون يتحدث عن ذات الثنائية بلفظتي "الظاهر والباطن"، انظر المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي ٥/١.

٤١. الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ٩/١.

٤٢. الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ٩/١.

٤٣. نفسه.

٤٤. نفسه.

٤٥. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/١

٤٦. تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ١/ ٧.

٤٧. نفسه، ٨/١

٤٨. نفسه.

٤٩. نفسه

٥٠. نفسه.

٥١. نفسه، ٧/١.

٥٢. البدء والتاريخ، ابن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، د.ت، د.ط. ٤/١.

٥٣. نفسه.

٥٤. نفسه.

٥٥. نفسه.

٥٦. نفسه.

٥٧. البدء والتاريخ، ١/ ١.

٥٨. نفسه، ١/ ٤.

٥٩. نفسه

٦٠. نفسه

٦١. نفسه، ٦/١.

٦٢. نفسه

٦٣. نفسه

٦٤. البدء والتاريخ، ١/ ٥٤.

٦٥. نفسه.

٦٦. نفسه، ١٨/١

٦٧. نفسه

٦٨. لقد سيق هذا التقسيم بناء على تحليل ما ضمنه المصنف في مقدمته، أما التحقق من مدى انضباطه لهذا الأمر في ثنايا كتابه، فإن ذلك بعيد عن اهتمام هذا البحث الذي يقتصر على المقدمات فقط. ولعل من الباحثين من سيتصدى في قابل الأيام لمقارنة ما هو موجود في المقدمة بحقيقة عمل المؤلف في فصول الكتاب ومادته.

٦٩. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ١/ ٥٠.

٧٠. نفسه.

• زيادة من المحقق، ليستقيم المعنى.

٧١. نفسه.

٧٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ١/ ١١٦.

٧٣. نفسه

٧٤. يشير ابن الجوزي إلى أن الهجرة تعتبر بداية التأريخ عند المسلمين فقال "وهي التي عليها التاريخ إلى اليوم" المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ١/ ١١٦.

• أضاف المحقق لفظة "هكذا" ليستقيم المعنى.

٧٥. نفسه.

٧٦. نفسه.

٧٧. نفسه.

٧٨. نفسه.

٧٩. يكنى بأبي عبد الله الصنعاني، كان صدوقاً عالماً قد قرأ كتب الأولين وعرف قصص الأنبياء عليهم السلام، وكان يُشبَّه بكعب الأحبار فِي زمانه. توفي سنة ١١٤هـ. تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، ٣/ ٣٣٤.

٨٠. نفسه.

٨١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١/ ١١٦

٨٢. نفسه، ١/ ١١٧.

٨٣. نفسه

٨٤. نفسه، ١١٨/١.

٨٥. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٦/١

٨٦. نفسه.

٨٧. نفسه.

٨٨. نفسه.

٨٩. نفسه، ١/٧.

٩٠. الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٧/١.

٩١. نفسه.

٩٢. نفسه.

٩٣. نفسه.

٩٤. موسى اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١/ ٢

٩٥. هو غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبري، قصد دمشق فحظي عند الملك الناصر ورفع مكانته. عاصر دخول المغول تحت قيادة هولاكو إلى بغداد وقتل الخليفة العباسي. كان ابن العبري رجل كد وعمل لم ينقطع طول حياته كلها عن المطالعة والتأليف. ألف ما يزيد على الثلاثين كتابا بالعربية والسريانية، توفي سنة ٦٨٥هـ، مقدمة تاريخ مختصر الدول، ص:٣.

٩٦. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ١/١.

٩٧. نفسه.

٩٨. عدد ابن العبري هذه الأمم كما يلي: الفرس والكلدانيون واليونانيون والقبط والترك والهند والصين. تاريخ مختصر الدول، ١/ ٣.

٩٩. نفسه.

١٠٠. إن هذا التقسيم لم يورده ابن العربي بهذا التصنيف، بل هو تقسيم استنتجه الباحث عقب استقراء ما عبر عنه ابن العربي من خصائص انفردت بها أمم ذكرها في مقدمة تاريخه.

١٠١. نفسه.

• لقد فصل ابن العبري في بيان أصناف هذه العلوم، وطبيعتها، وذكر منها الالهيات والرياضيات والحكمة وعلم الفلك. غير أن طبيعة هذا البحث الذي اختص بالمقدمات فقط، جعل إيراد تلك التفاصيل أمرا متعذرا بالنظر إلى أن ابن العبري لو يورد تلك العلوم في مقدمته.

١٠٢. نفسه.

١٠٣. تاريخ مختصر الدول، ١/ ٣.

١٠٤. نفسه.

١٠٥. نفسه.

١٠٦. نفسه، ٤/١.

١٠٧. نفسه.

١٠٨. ابن خلدون، المقدمة، ٧/١

١٠٩. نفسه، ٨/١.

١١٠. نفسه.

١١١. نفسه، ٨/١.

١١٢. نفسه ٥٥/١

١١٣. نفسه ٥٥/١.

١١٤. نفسه، ٥٥/١.

١١٥. نفسه، ٥٢/١.

١١٦. المختصر في علم التاريخ، الكافيجي، ص: ٥٥.

١١٧. نفسه، ص: ٦٢.

١١٨. لقد أسهب الكافيجي في بيان هذه الأوجه الخمسة بيانا مستفيضا، عززه بالأمثلة واستدل عليه بنصوص القرآن الكريم. يراجع ذلك في المختصر، ص: ٧٦ وما بعدها.

١١٩. نفسه، ص: ٧٧.

١٢٠. نفسه ص: ٨٠.

١٢١. انظر تفاصيل ذلك في الباب الثالث، المختصر في علم التاريخ ص: ١٠٩ وما بعدها.

١٢٢. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، السخاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦. ص: ١٦

١٢٣. نفسه ص: ٣٣.

١٢٤. نفسه، ص: ١٩.

١٢٥. نفسه ص: ٨٥

١٢٦. نفسه.

١٢٧. نفسه ص: ٨٦.

١٢٨. الإعلان، السخاوي، ص: ١١٩.

١٢٩. جوامع السيرة، ابن حزم، ص: ١٠

١٣٠. نفسه.

قائمة المصادر

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، السخاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦.
- البدء والتاريخ، ابن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، د.ت، د.ط.
- تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط:١، ٢٠٠٣ م.
- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم ومؤسسة الرسالة، دمشق، ط٢، ١٣٩٧.
- تاريخ مختصر الدول، أبو الفرج، ابن العبري تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط:٢، ١٩٩٢ م
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ابن مسكويه، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط:٢، ٢٠٠٠م.
- التدوين في أخبار قزوين، أبو القاسم القزويني، تحقيق، عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية
- التنبيه والإشراف، المسعودي، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د.ط، د.ت.

- جوامع السيرة النبوية، ابن حزم، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١،١٤٢٤ - ٢٠٠٣
- ذيل مرآة الزمان، أبو الفتح اليونيني، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط:٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: جماعي بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- الشماريخ في علم التاريخ، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الرحمن حسن حمودة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ط: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م

- الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- المعارف، ابن قتيبة الدينوريي، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢.
- المقدمة، ابن خلدون، تحقيق عبد السلام الشدادي. بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء ٢٠٠٥.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- المنمق في أخبار قريش، أبو جعفر البغدادي، تحقيق، خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ

الجامع الكبير بفاس الجديد (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م): النموذج الأمثل لإحياء النمط القرطبي في تخطيط المساجد بالمغرب الأقصى

د. رامي ربيع عبد الجواد راشد
مدرس عمارة المغرب والأندلس
كلية الآثار – جامعة الفيوم
مصر

لتخطيط جامع قرطبة أثر كبير في تخطيط المساجد بكل من الأندلس والمغرب، وكان من بين أهم تلك المساجد التي تجلى فيها النمط القرطبي في تخطيط المساجد بالمغرب الأقصى، الجامع الكبير المريني بفاس الجديد (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م). تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهم الخصائص التي اتسم بها هذا الجامع وفق ذلك النمط القرطبي، والتي لم تتوفر لأي من المساجد ببلاد المغرب قبل هذا العصر المريني (٦٦٨ – ٨٦٩هـ / ١٢٦٩ – ١٤٦٤م)، وهل كان لتخطيط ذلك المسجد الجامع من تأثير على المساجد اللاحقة عليه خلال ذلك العصر أو العصور التالية؟

أفادت المصادر التاريخية أن الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (٦٥٦ – ٦٨٥هـ/ ١٢٥٨ – ١٢٨٦م)، أسس مدينة ملكية جديدة، عرفت بـ (فاس الجديد)[١]، في مقابلة المدينة القديمة فاسا البالي، من جهتها الغربية، وذلك عام (٦٧٤هـ / ١٢٧٥م)[٢]، غير أن بعض هذه المصادر أرخت بناء جامعها الكبير بعام (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م)[٣].

كان تخطيط جامع قرطبة منذ تأسيسه على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٦٩ – ١٧٠هـ / ٧٨٥ – ٧٨٦م)، نقطة تحول جذرية في

تخطيط مساجد بلاد الأندلس والمغرب، لما اتسم به من خصائص معمارية جديدة، تركت بصماتها على تخطيط المساجد التي جاءت بعده، وتتجلى تلك الخصائص في اتجاه تخطيط بيت الصلاة نحو العمق، وكذلك اتجاه عقود بيت الصلاة عموديا على جدار القبلة، (شكل ١). هذا التوجه الجديد في تخطيط المسجد ببلاد الأندلس على وجه التحديد – خلافا لبلاد المشرق – كان وليد الظروف البيئية الجديدة ذات الطبيعة الباردة، التي أوحت ذلك النمط المستحدث في تخطيط المسجد، باتجاه بيت الصلاة نحو العمق ابتعادا عن الصحن تجنبا لبرودة الجو، الأمر الذي أوحى في الوقت ذاته مد عقود بيت الصلاة في اتجاه عمودي على جدار القبلة، رغبة في توفير أكبر قدر ممكن من الإضاءة الطبيعية من الصحن إلى داخل هذا البيت المتسم بالعمق، خلاف ما إذا كانت هذه العقود ممتدة في اتجاه موازٍ لجدار القبلة. لتلك الأسباب ولد هذا النمط الجديد ببلاد الأندلس، ولا علاقة له في ذلك بتخطيط الجامع الأقصى بالشرق، (شكل ٢)، أو تخطيط البازيليكات بالغرب[٤]، (شكل ٣).

ذلك التوجه الجديد في تخطيط وعمارة جامع قرطبة، كان بمثابة التجربة الأولى التي كتب لها النجاح ببلاد الأندلس، بعدما أحدثت أثرا قويا على المساجد اللاحقة، والتي اتجهت هي الأخرى ببيت الصلاة نحو العمق، مع امتداد عقود بيت الصلاة عموديا على جدار القبلة[٥].

هذا فيما يتعلق بمساجد الأندلس، أما بلاد المغرب، فإن العصر المرابطي (٤٦٢ – ٥٣٩هـ / ١٠٦٩ – ١١٤٤م)، كان هو الآخر نقطة تحول جذرية في مسار العمارة والفن ببلاد المغرب، وذلك بتدفق سيل التأثيرات الأندلسية تحت رعاية حكامه، وبخاصة على عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ – ٥٣٩هـ / ١١٠٦ – ١١٤٤م)، والذي جلب المدارس المعمارية والفنية الأندلسية لتشييد مآثره بالمغرب[٦].

كان من بين مظاهر تلك التأثيرات الأندلسية الوافدة على تخطيط المساجد المغربية، الاتجاه العمودي لعقود بيت الصلاة على جدار القبلة، وقد كانت قبل ذلك تمتد في اتجاه موازٍ لجدار القبلة[٧]، وقد تجلى هذا التوجه الجديد في كافة المساجد المرابطية، ممثلة في جامع ندرومة، جامع جزائر بني مزغنة، والجامع الأعظم بتلمسان، (الأشكال ٦ – ٨)[٨]، وعلى الرغم من هذا التجديد المهم بتلك المساجد المرابطية تحت التأثير الأندلسي، إلا أنه يلاحظ عليها جميعا أنها حافظت على اتجاه بيت الصلاة نحو العرض وليس العمق، خلافا لجامع قرطبة، (شكل ١٠)، وعلى هذا استمر الحال أيضا في تخطيط مساجد العصر الموحدي (٥٣٩ – ٦٦٨هـ / ١١٤٤ – ١٢٦٩م)، حسب ما نجده بكل من جامع تينمل، جامعي الكتبية الأول والثاني بمراكش، جامع القصبة بمراكش، جامع تازا، جامع قصبة الودايا بالرباط، (الأشكال ١١ – ١٥).

مما سبق يتبين أن كلا من مساجد العصرين المرابطي والموحدي ببلاد المغرب، تأثرت بتخطيط جامع قرطبة فيما يتعلق فقط باتجاه عقود بيت الصلاة عموديا على جدار القبلة، ولكن

دون الاتجاه ببيت الصلاة نحو العمق، ليطالعنا الجامع الكبير المريني بفاس الجديد كنموذج غير مسبوق بمساجد المغرب الأقصى[٩]، ليعكس كلا من الاتجاهين، وذلك باتجاه عقود بيت الصلاة عموديا على جدار القبلة، إضافة إلى – وهو الجديد – اتجاه بيت الصلاة نحو العمق، (شكل ١٨)، محاكاة في ذلك للنمط القرطبي[١٠]، الذي شهد مولده – كتجربة أولى - بجامع قرطبة على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، وتجلى بصورة أكثر وضوحا خلال الزيادات اللاحقة عليه، (الأشكال ١٠، ١٩، ٢٠).

ترك الجامع الكبير بفاس الجديد أثره قويا على المساجد اللاحقة عليه خلال ذلك العصر المريني، إذ حافظت جميعا على هذا النمط القرطبي، من حيث الاتجاه بعقود بيت الصلاة عموديا على جدار القبلة، إضافة إلى اتجاه بيت الصلاة نحو العمق، وهو ما يتضح بكل من جامع الحمراء بفاس الجديد، وجامعي العباد والحلوي بتلمسان، (الأشكال ٢١ – ٢٣)[١١].

من بين الخصائص المهمة التي اتسم بها بيت الصلاة بجامع قرطبة، قلة اتساع البلاطان الطرفيان عن باقي البلاطات الجانبية والبلاط المحوري، إذ يبلغ اتساع هذا البلاط المحوري ٧,٨٥م، أما البلاطات الواقعة على جانبيه فيبلغ اتساعها ٦,٦٨م، في حين أن اتساع كل من البلاطين الطرفيين ٥,٣٥م[١٢]، وهذه الخاصية عرفت كذلك فيما بعد جامع قرطبة ببعض المساجد الأندلسية اللاحقة[١٣].

بالنظر إلى مساجد كل من العصرين المرابطي والموحدي، يلاحظ عدم بروز تلك الظاهرة، بل إن اتساع كل من هذين البلاطين الطرفيين بالمساجد الموحدية على وجه التحديد، أصبح يعادل اتساع البلاط المحوري، رغبة في إقامة قبتين طرفيتين - على جانبي الوسطى التي تعلو البلاط المحوري أمام المحراب – ببلاط القبلة، حسب ما نجده في كل من جامع تينمل، الكتبية، تازا، وإشبيلية، (الأشكال ١١، ١٢، ١٤، ١٧)[١٤]، وكذلك كان الحال أيضا بمساجد العصر المرابطي، ولكن مع غياب هاتين القبتين الطرفيتين ببلاط القبلة، (الأشكال ٦ – ٨).

إذا ما انتقلنا إلى الجامع الكبير المريني بفاس الجديد، فإن الذي يلفت الانتباه هو بروز تلك الخاصية وفق النمط القرطبي، إذ يبلغ اتساع البلاط المحوري ٤,٣٥م، أما البلاطات الواقعة على جانبيه، فيتراوح اتساعها فيما بين ٣,٨٧م، ٣,٩٥م، وذلك كله على خلاف البلاطين الطرفيين، والذي يبلغ اتساع كل منهما ٣,٣٥م، (شكل ١٨)، وهذه الخاصية تحديدا يمكن القول بأنه تفرد بها هذا الجامع دون باقي مساجد العصر المريني[١٥]، وبذلك يتأكد التقيد التام بالنمط القرطبي في ذلك الجامع.

أيضا من بين الخصائص المعمارية التي شهدها جامع قرطبة على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢١٨ – ٢٣٤هـ / ٨٣٣ – ٨٤٨م)، إضافة ثلاث مجنبات (أروقة)، حول الصحن من الجهات الثلاث، بواقع واحدة في كل جهة[١٦]، (شكل ١٩)، وقد عرفت هذه الظاهرة

أيضا ببعض المساجد الأندلسية اللاحقة، كالجامع الملكي بمدينة الزهراء، من عهد الأمير عبد الرحمن الناصر (٣٣٤ – ٣٣٥هـ / ٩٤٥ – ٩٤٦م)، (شكل ٢٥).

فيما يتعلق بمساجد كل من العصرين المرابطي والموحدي ببلاد المغرب، يلاحظ أنه لم تكن هناك قاعدة متبعة فيما يخص عدد هذه المجنبات بالجهات الثلاث حول الصحن، كما يلاحظ أيضا ببعض مساجد كل من هذين العصرين إهمال المجنبة الشمالية، والاقتصار على المجنبات بكل من الجهتين الشرقية والغربية، (الأشكال ٦ – ٨، ١١ – ١٦)، وهي في كل من الحالتين على خلاف النمط القرطبي[١٧]، الذي تميز بتوفره على مجنبة واحدة بكل من الجهات الثلاث حول الصحن[١٨]، (الأشكال ١٩، ٢٥).

بالنظر إلى الجامع الكبير المريني بفاس الجديد، نجد أن الصحن يتوفر على ثلاث مجنبات، بواقع واحدة بكل جهة من الجهات الثلاث، (شكل ١٨)، سيرا في ذلك على النمط القرطبي، (الأشكال ١٩، ٢٥)، وقد ترك أثره كذلك فيما يتعلق بتلك الخاصية على المساجد اللاحقة عليه خلال ذلك العصر، كما هو الحال بجامع الحمراء من فاس الجديد، وجامعي العباد والحلوي بتلمسان[١٩]، (الأشكال ٢١ – ٢٣).

الخلاصة:

مما سبق يتضح الارتباط الوثيق بين تخطيط كل من جامع قرطبة، والجامع الكبير بفاس الجديد، كنموذج أمثل - وغير مسبوق في ذات الوقت – لإحياء ذلك النمط القرطبي، واستمراريته في تخطيط مساجد المغرب الأقصى خلال العصر المريني، وذلك من حيث الاتجاه ببيت الصلاة نحو العمق بدلا من الاتساع، ومن حيث توفر الصحن على مجنبة واحدة بكل جهة من جهاته الثلاث، وأخيرا من حيث قلة اتساع البلاطان الطرفيان ببيت الصلاة عن البلاط المحوري وباقي البلاطات على جانبيه، وهذا كله خلافا لمساجد كل من العصرين المرابطي والموحدي، ليس هذا وحسب، بل أصبح هذا الجامع الكبير أيضا نقطة تحول جذرية في تخطيط مساجد العصر السعدي (٩٦١ – ١٠٦٩هـ / ١٥٥٣ – ١٦٥٨م)، التالي على العصر المريني، والتي سارت هي الأخرى على هذا النمط القرطبي، من حيث الاتجاه ببيت الصلاة - وبتخطيط المسجد على وجه العموم - نحو العمق، ومن حيث توفر الصحن على مجنبة واحدة بكل من جهاته الثلاث، حسب ما نجده بكل من جامع باب دكالة، المواسين، سيدي الجزولي، وكلها بمراكش (الأشكال ٢٦ – ٢٨).

في النهاية، ألا يدفع هذا التحول المهم في تخطيط الجامع الكبير المريني بفاس الجديد وفق النمط القرطبي، وخلافا لمساجد كل من العصرين المرابطي والموحدي، إلى الاعتقاد بأن تخطيط وعمارة هذا المسجد إنما كان نتاج مدرسة معمارية أندلسية، وقرطبية على وجه التحديد؟

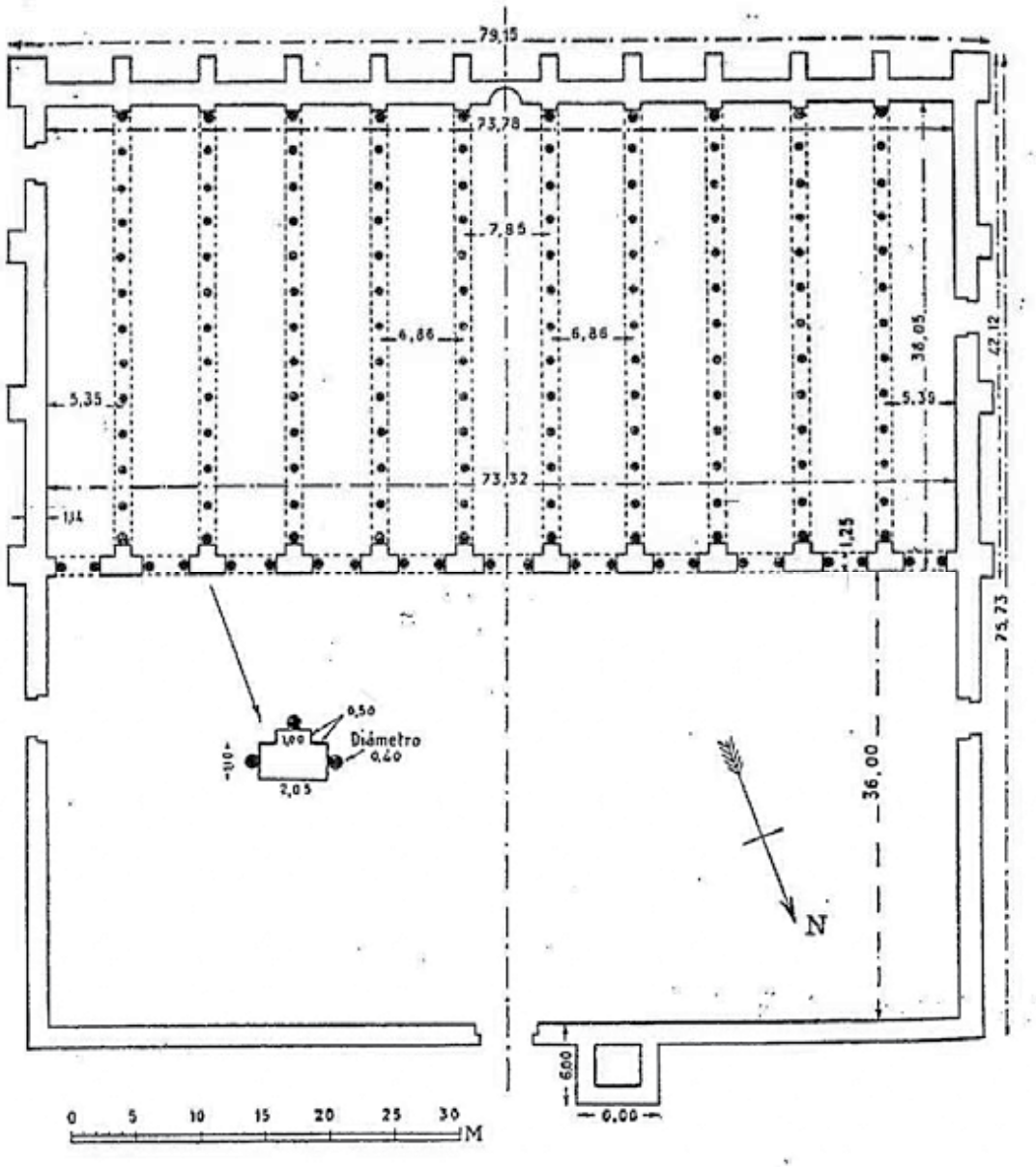

شكل (١):

جامع قرطبة، مسقط أفقي، عهد عبد الرحمن الداخل (١٧٠ – ١٧١هـ / ٧٨٦ – ٧٨٧م)، عن: توريس بلباس: تاريخ إسبانيا الإسلامية. مج٢، جـ٢، صـ ٤٦٩، شكل ١٤٣.

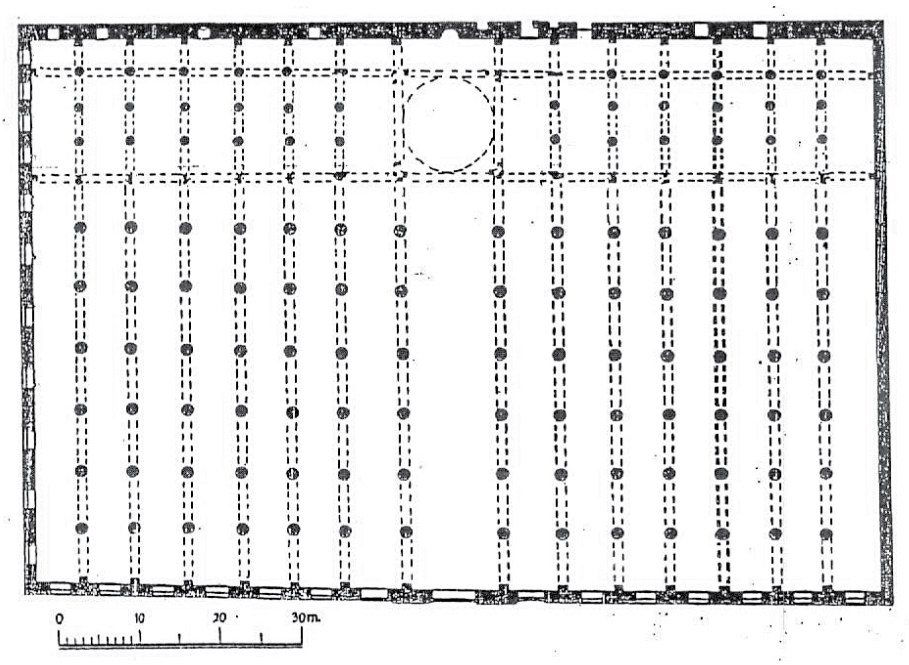

شكل (٢):

الجامع الأقصى، مسقط أفقي مفترض، عهد الخليفة العباسي المهدي (١٦٣هـ / ٧٧٩م)، عن:

K.A.C. Creswell: Ashort Account of Early Muslim Architecture. P 76, Fig 49.

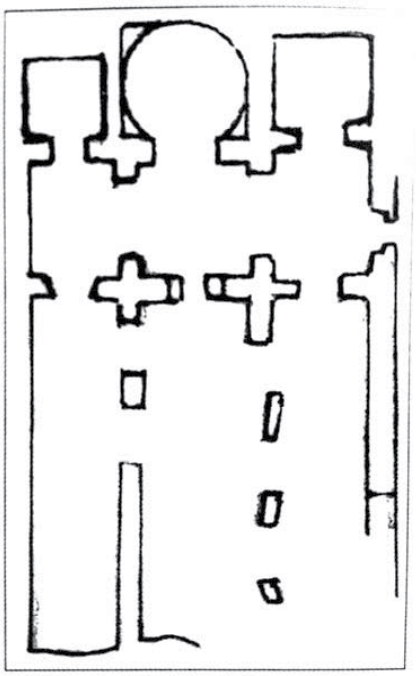

شكل (٣):

كنيسة بوبشتر (ملقة)، مسقط أفقي، عن:

باسيليو مالدونادو: عمارة المساجد في الأندلس. جـ ١، صـ ٢٧، لوحة مجمعة (١).

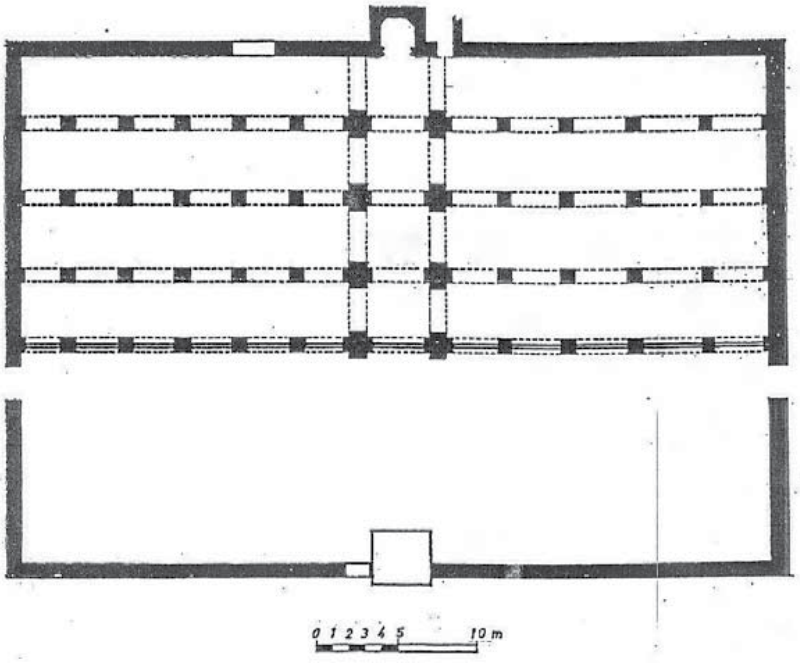

شكل (٤): جامع القرويين، مسقط أفقي مفترض، عهد التأسيس (٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، عن:
Lucien Golvin: Essai Sur L´Architecture Religieuse Musulmane. T.4, P 200, Fig 66.

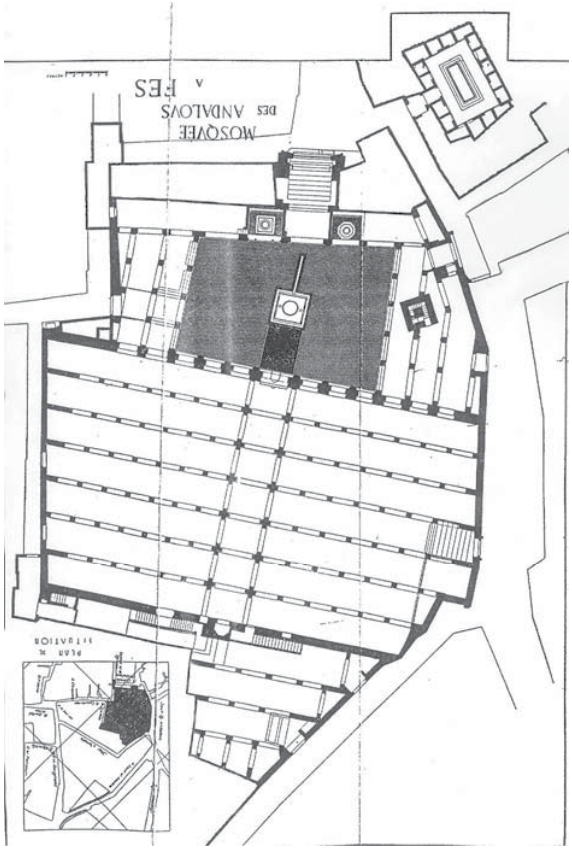

شكل (٥): جامع الأندلسيين، مسقط أفقي، عن:
Henri Terrasse: La Mosquée des Andalous à Fès. Fig 1.

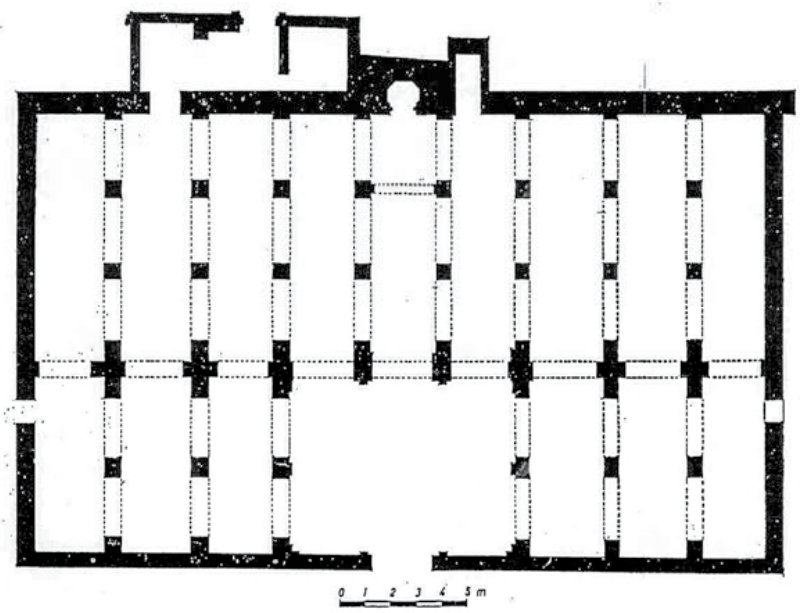

شكل (٦): جامع ندرومة، مسقط أفقي، عن:

Golvin: Essai Sur L´Architecture. T.4, P 173, Fig 61.

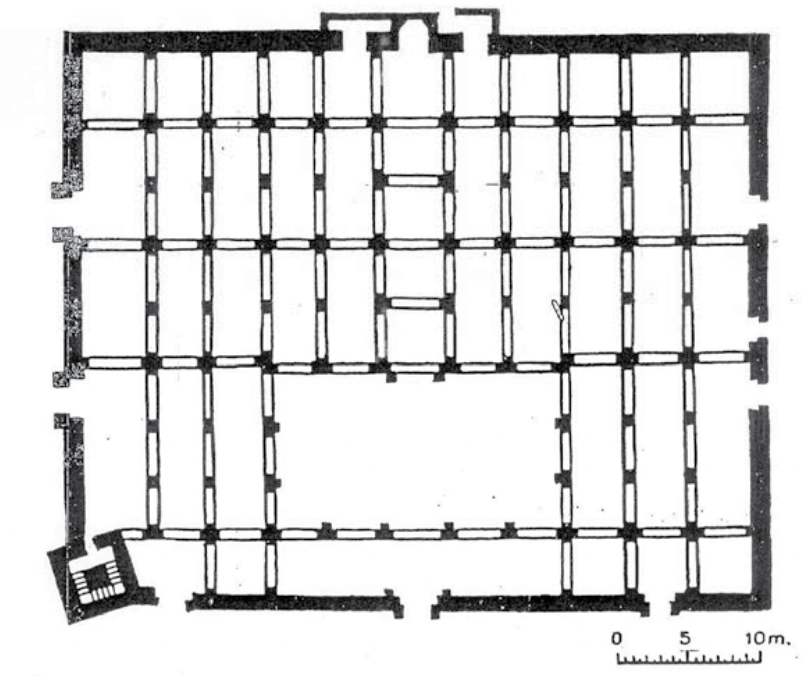

شكل (٧): جامع جزائر بني مزغنة، مسقط أفقي، عن:

Georges Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident. P 191, Fig 122.

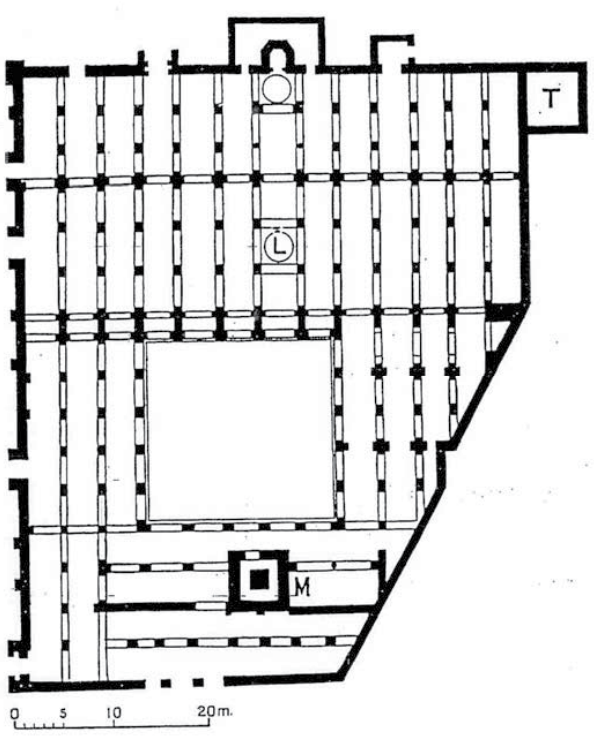

شكل (٨): الجامع الأعظم بتلمسان، مسقط أفقي، عن:
Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident. P 192, Fig 123.

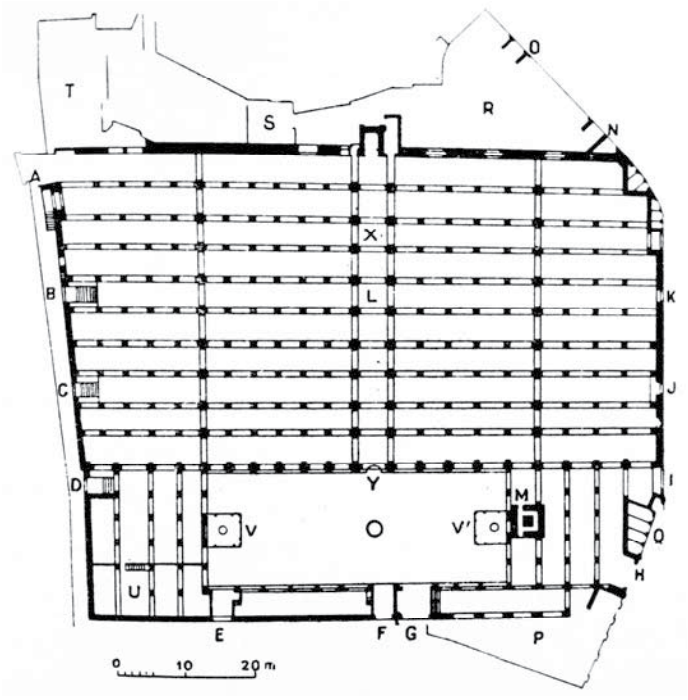

شكل (٩): جامع القرويين، مسقط أفقي، عن:
Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident. P 100 , Fig 128.

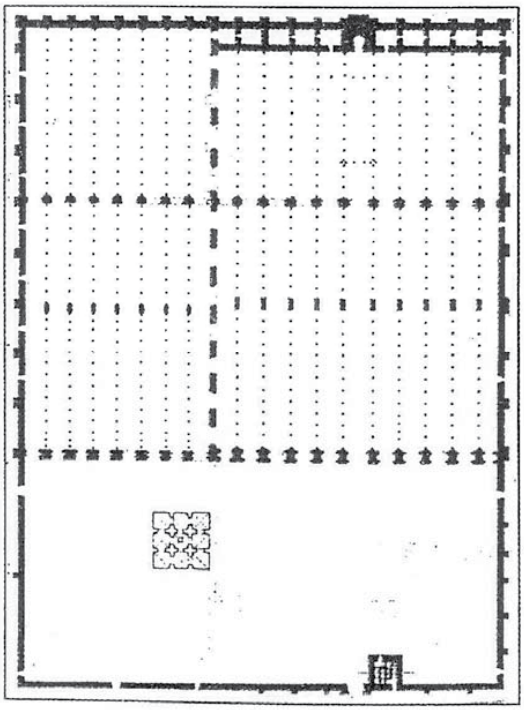

شكل (١٠): جامع قرطبة، مسقط أفقي، عهد المنصور ابن أبي عامر (٣٧٧ – ٣٧٨هـ / ٩٨٧ – ٩٨٨م)، عن:
مالدونادو: عمارة المساجد. جـ ٢، صـ ١٦، لوحة مجمعة (٣ / ٦).

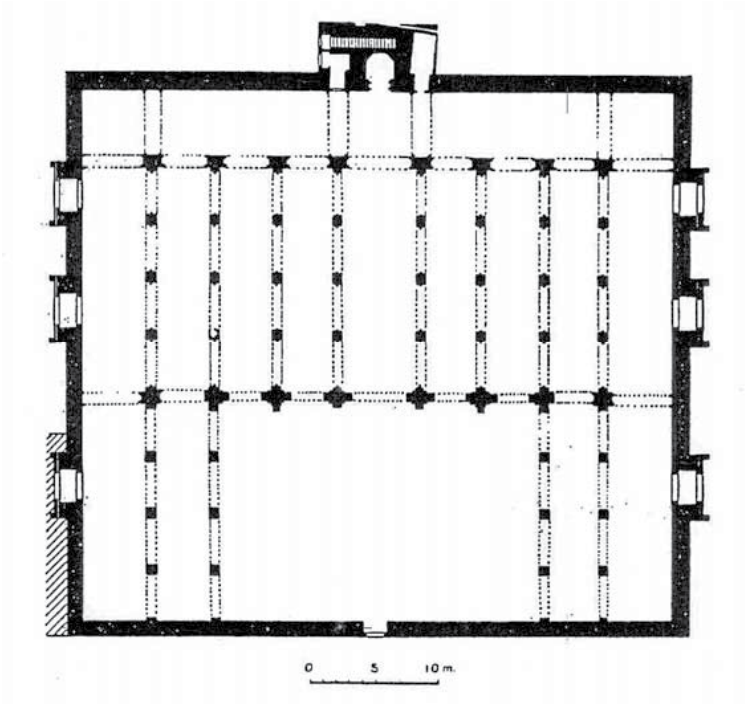

شكل (١١): جامع تينمل، مسقط أفقي، عن:

Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident. P 201, Fig 129.

الجامع الكبير بفاس الجديد (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م): النموذج الأمثل لإحياء النمط القرطبي في تخطيط المساجد بالمغرب الأقصى

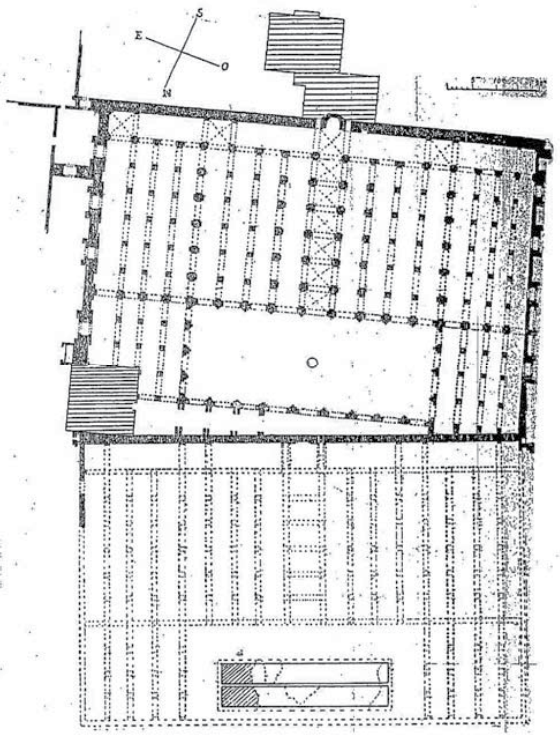

شكل (١٢): جامعي الكتبية الأول والثاني، مسقط أفقي، عن:
Henri Terrasse: L´Art Hispano-Mauresque. P 308, Fig 51.

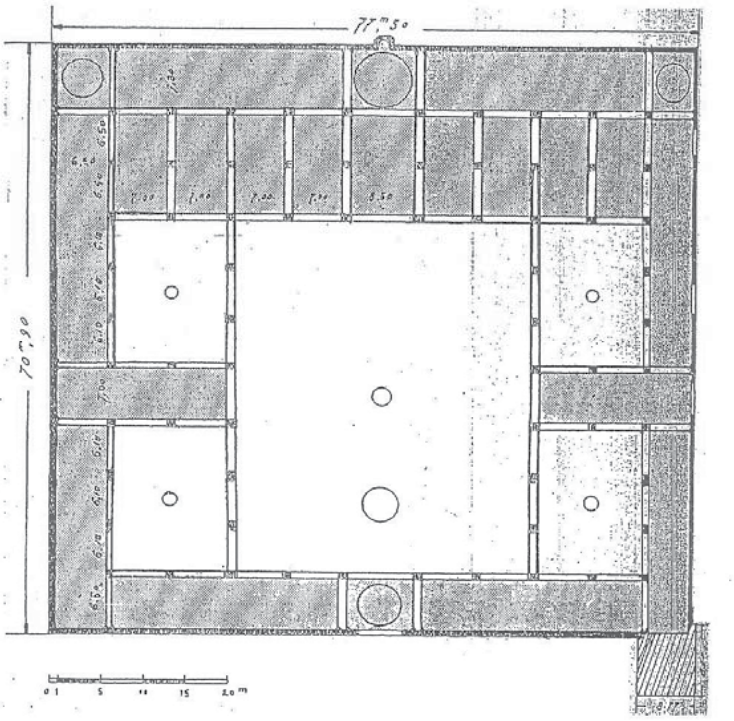

شكل (١٣): جامع قصبة مراكش، مسقط أفقي، عن:
Terrasse: L´Art Hispano-Mauresque. P 314, Fig 53.

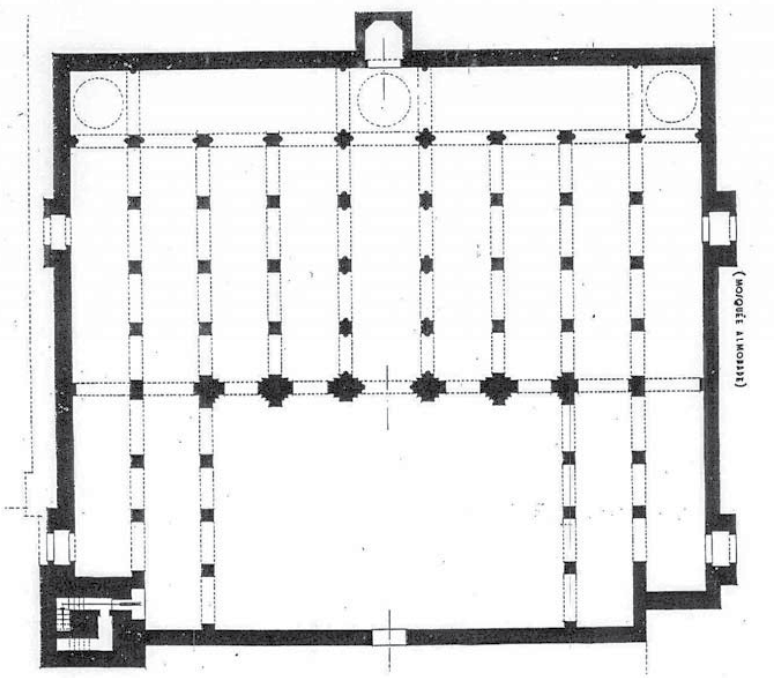

شكل (١٤): جامع تازا، مسقط أفقي مفترض، خلال العصر الموحدي، عن:

Henri Terrasse: La Grande Mosquée de Taza. Fig 6.

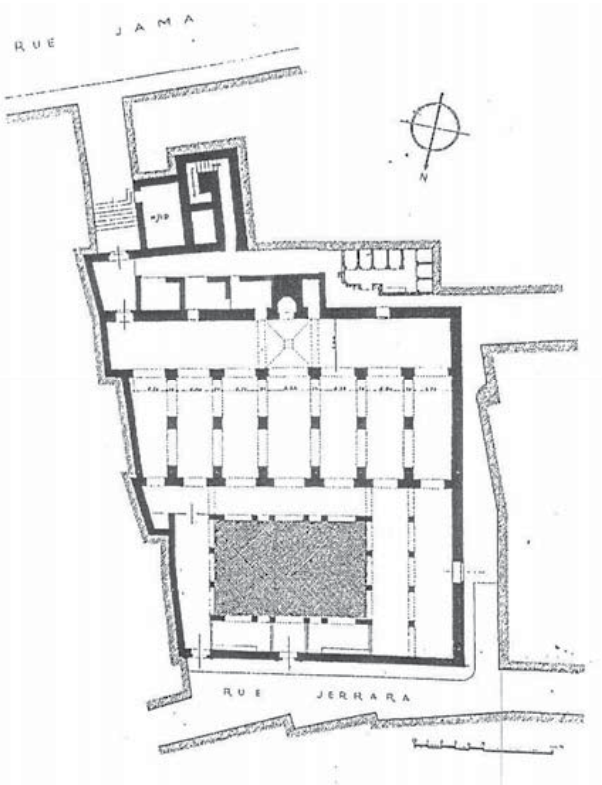

شكل (١٥): جامع قصبة الودايا، مسقط أفقي، عن:

Caille (J): La Ville de Rabat jusqu' au Protectorat Français. Vol II , Fig 28.

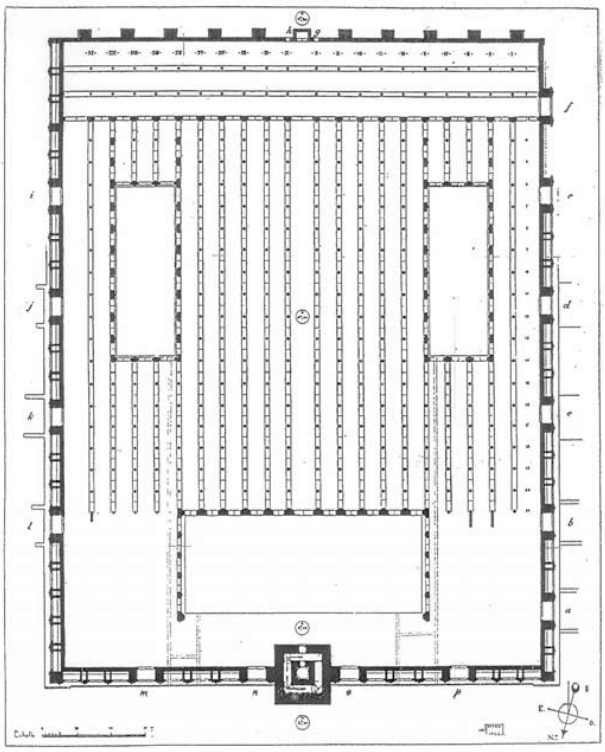

شكل (١٦): جامع حسان بالرباط، مسقط أفقي، عن:
Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident. Fig 132.

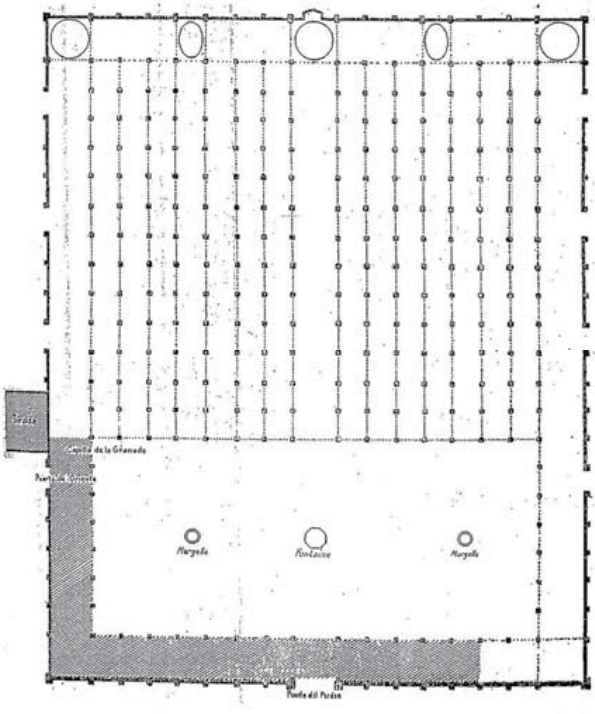

شكل (١٧): جامع القصبة بإشبيلية، مسقط أفقي، عن:
Terrasse: L´Art Hispano-Mauresque. P 311, Fig 52.

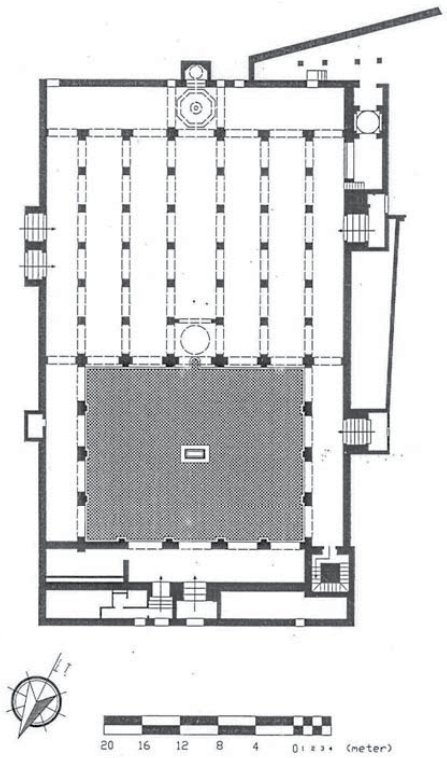

شكل (١٨): الجامع الكبير بفاس الجديد، مسقط أفقي.

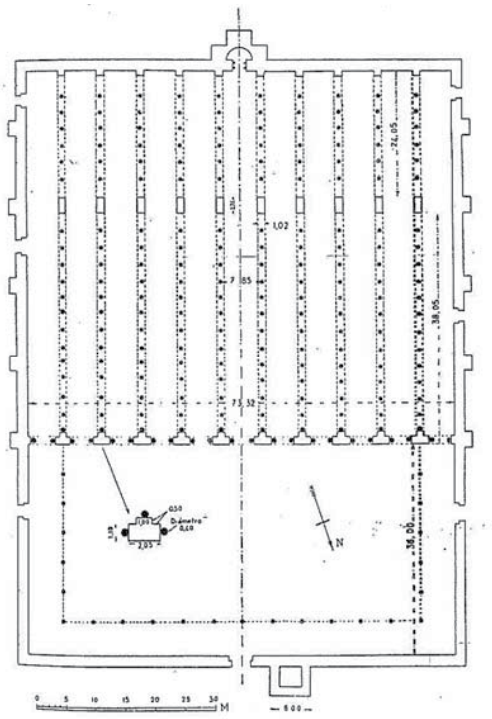

شكل (١٩): جامع قرطبة، مسقط أفقي، عهد عبد الرحمن الأوسط (٢١٨ – ٢٣٤هـ / ٨٣٣ – ٨٤٨م)، عن: بلباس: تاريخ إسبانيا الإسلامية. صـ ٤٩٦، شكل ١٨٧.

شكل (٢٠): جامع قرطبة، مسقط أفقي عهد الحكم المستنصر (٣٥١ – ٣٥٥هـ / ٩٦٢ – ٩٦٦م)، عن:
مالدونادو: عمارة المساجد. جـ ٢، صـ ١٦، لوحة مجمعة (٣ / ٥).

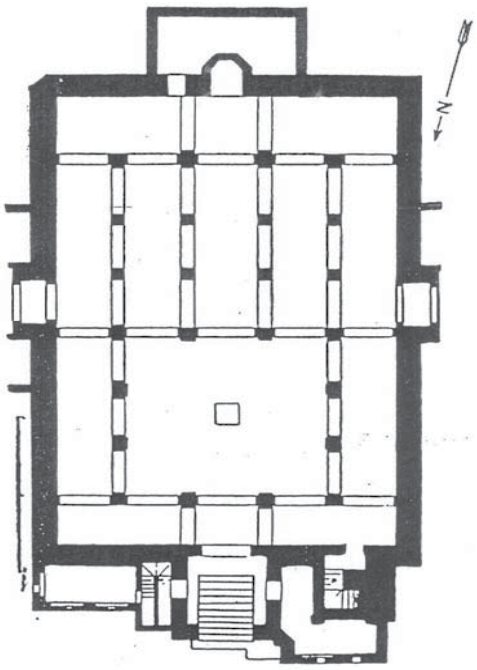

شكل (٢٢):
جامع العباد بتلمسان، مسقط أفقي، عن:
Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident. P 276, Fig 170.

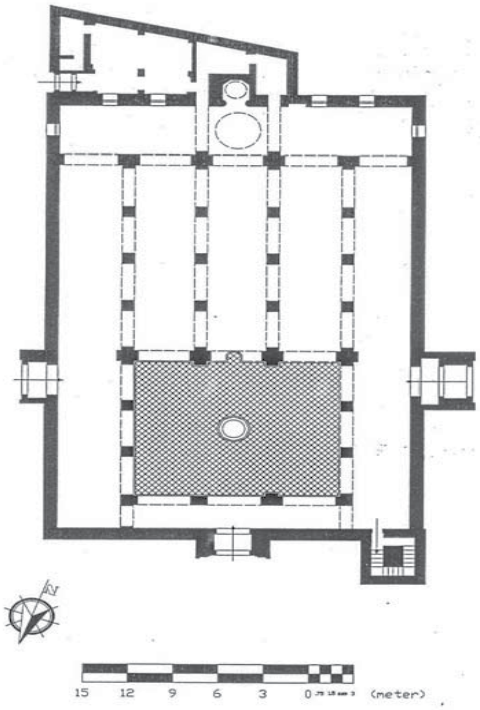

شكل (٢١):
جامع الحمراء بفاس الجديد، مسقط أفقي.

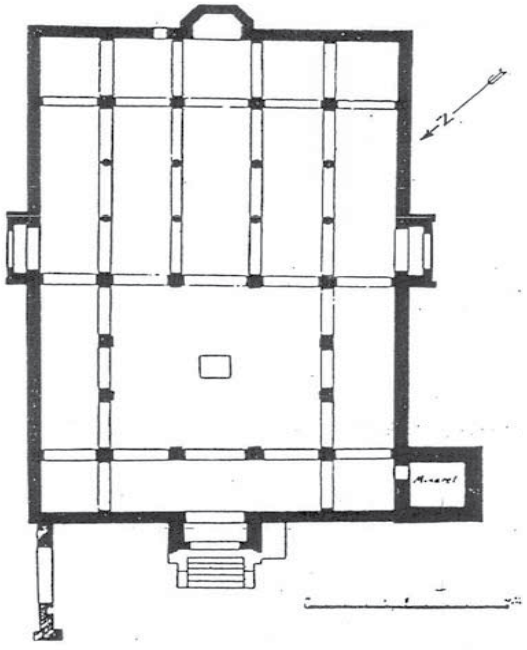

شكل (٢٣):
جامع الحلوي بتلمسان، مسقط أفقي، عن:
Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident. P 278, Fig 172.

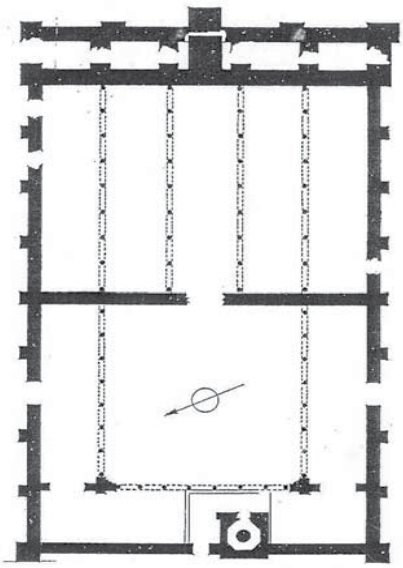

شكل (٢٤):
جامع المنصورة بتلمسان، مسقط أفقي، عن:
Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident.
P 274, Fig 168.

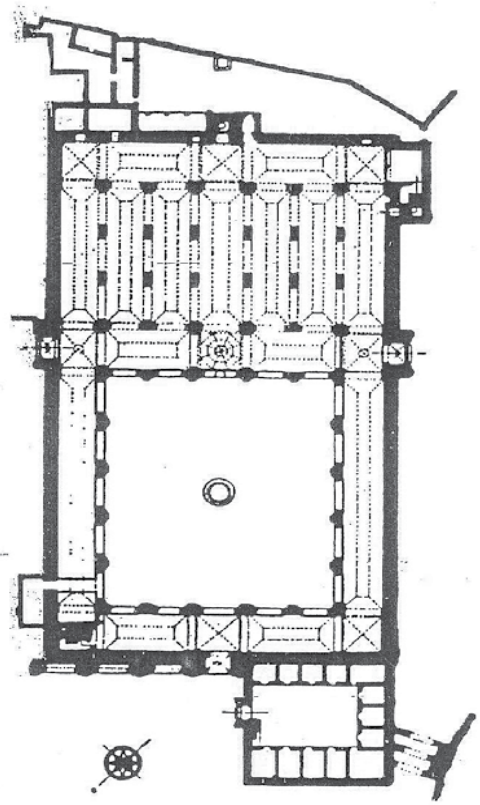

شكل (٢٦):
جامع باب دكالة بمراكش، مسقط أفقي، عن:
Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident.
P 385, Fig 237.

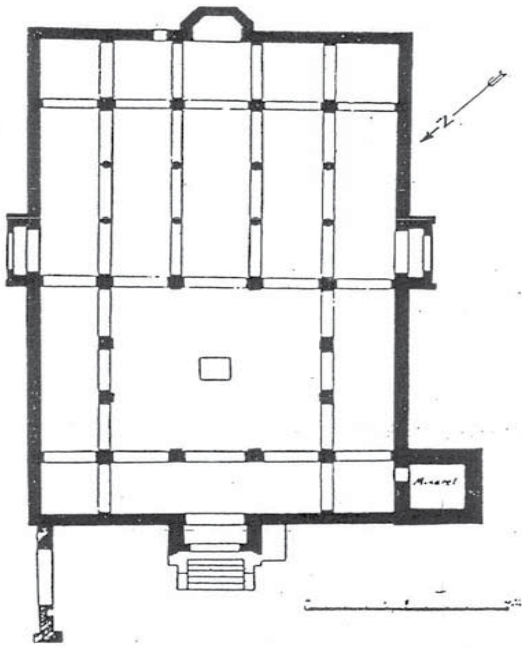

شكل (٢٥): الجامع الملكي بمدينة الزهراء، مسقط أفقي، عن:
Golvin: Essai Sur L´Architecture.
T4, P 97, Fig 23.

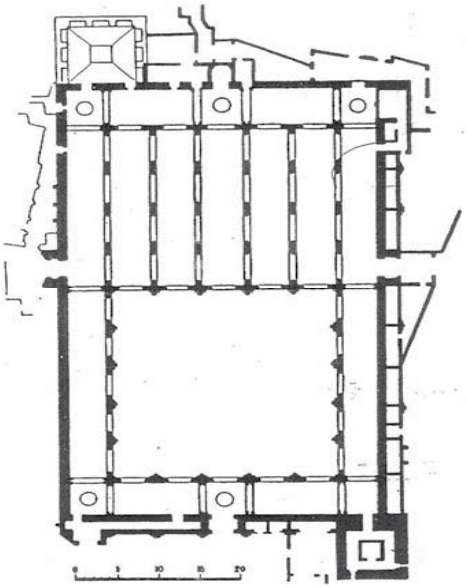

شكل (٢٧):
جامع المواسين بمراكش، مسقط أفقي، عن:
Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident.
P 385, Fig 238.

شكل (٢٨):

جامع الجزولي بمراكش، مسقط أفقي، عن:

Marçais: L´Architecture Musulmane d'Occident. P 386, Fig 239.

الحواشي

١. – عرفت أيضا في المصادر التاريخية المعاصرة ببعض المسميات الأخرى مثل: (البيضاء)، (المدينة البيضاء)، (المدينة السعيدة)، (البلد الجديد)، (دار الإمارة). ابن أبي زرع (علي): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، صـ ٤٢٠. ، نفسه: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية. دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، صـ صـ ٩٠، ١٦٢. ، التلمساني (محمد ابن مرزوق): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الإمام أبي الحسن. دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، صـ صـ ١٠١، ٣٢١. ، ابن بطوطة (محمد): رحلة ابن بطوطة. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، مج٤، صـ ٢٠٢. ، ابن الخطيب (لسان الدين): الإحاطة في أخبار غرناطة. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، مج٤، صـ ٤٥٥. ، نفسه: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، صـ ١٧٦. ، مؤلف مهجول: ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم. دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، صـ صـ ٤٩ – ٦٢. ، ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر وديوان المبتدا والخبر. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، جـ ٧، صـ صـ ٢٣٠ – ٢٣١. ، ابن الأحمر (إسماعيل): النفحة النسرينية واللمحة المرينية. دار سعد الدين، دمشق، صـ صـ ٢٥، ٢٧، ٤٥، ٥٤. ، نفسه: روضة النسرين في دولة بني مرين. المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، صـ ٢٩.

٢. – ابن أبي زرع: الأنيس المطرب. صـ صـ ٤٢٠، ٥٣٥. ، نفسه: الذخيرة السنية. صـ ١٦٢. ، ابن خلدون: العبر. جـ ٧، صـ ٢٣٠. ، ابن الأحمر: روضة النسرين. صـ ٢٩. ، الناصري (أحمد): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠١م، جـ ٤، صـ صـ ٤٩، ٨٧.

٣. – ابن أبي زرع: الأنيس المطرب. صـ ٥٣٥. ، نفسه: الذخيرة السنية. صـ ١٦٢. ، وهذا التاريخ هو الذي رجحت أنه تاريخ تأسيس ذلك المسجد، اعتمادا على أحد الشواهد المادية التي توفر عليها ذلك الجامع. انظر: رامي ربيع عبد الجواد راشد: عمارة المساجد بمدينة فاس بالمغرب الأقصى في عصر بني مرين ٦٦٨ – ٨٦٩هـ / ١٢٦٩ – ١٤٦٤م: دراسة آثارية معمارية فنية. رسالة دكتوراة (مرقونة)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، قسم الآثار الإسلامية، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م، مج ١، صـ صـ ١٩٤ – ١٩٦.

٤. – وهذا على خلاف ما ذهب إليه عامة الباحثين من العرب والمستشرقين الذين عالجوا تلك القضية، والتي عرضت لها بشئ من التفصيل في دراسة سابقة ناقشت فيها كلا الاتجاهين، مع محاولة إقرار ما ذكرته أعلاه من أن ذلك كان وليد الظروف البيئية الجديدة ذات الطبيعة الباردة، التي فرضت ذلك التوجه الجديد في تخطيط وعمارة المسجد ببلاد الأندلس. انظر: السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس. دار النهضة العربية، بيروت، جـ١، ١٩٧١م، صـ ٣٥٩. , نفسه: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها.

ضمن (بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، القسم٢، صـ ٢٩. , محمد عبد المنعم الجمل: التأثيرات الفنية والمعمارية الشامية في العمارة الإسلامية المغربية والأندلسية. المجلة المصرية للآثار الإسلامية (مشكاة)، العدد ٥، ٢٠١٠ - ٢٠١١م، صـ ٢٥٣. ، أ. س. كريزويل: الآثـار الإسلامية الأولـى. ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤م، صـ ٣٠٢. ، توريس بلباس: تاريخ إسبانيا الإسلامية. ترجمة: علي البمبي وآخرون، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، مج ٢، جـ ٢، (الفن والعمارة)، صـ ٣٩. ، باسيليو مالدونادو: عمارة المساجد في الأندلس. ترجمة: د. علي إبراهيم منوفي، منشورات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، جـ١، صـ صـ ١٨، ٢٠. ، رامي راشد: عمارة المساجد بمدينة فاس. مج ١، صـ صـ ٣٦٠ – ٣٦٥. ،

Georges Marçais: L´Architecture Musulmane d' Occident , Tunisie, Algerie, Maroc, Espagne et Sicile. Paris, 1954, PP 10,45. , Elie Lambert: La Mosquée du Type Andalou en Espagne et en Afrique du nord. Al-andalus, Vol, XIV, Madrid, 1949, PP 273 – 289.

٥. – هذا ما يؤكده البعض من كون التخطيط العمودي على جدار القبلة، هو الذي صار عادة متبعة في المساجد الأندلسية، وأنها سارت على نهج هذا النموذج القرطبي مهما كانت درجة تواضعها، وقد تجلى ذلك في مسجد ابن عدبس بإشبيلية (٢١٤هـ / ٢٩ - ٨٣٠م)، وجامع ألمرية (ق ٤هـ / ١٠م)، جامع مدينة الزهراء الملكي (ق ٤هـ / ١٠م)، ومسجد المنستير (ق ٤ه أو ٥هـ / ١٠م أو ١١م)، جامع غرناطة (ق ٦هـ / ١٢م)، جامع إشبيلية الموحدي (ق ٦هـ / ١٢م)، مسجد لبلة الموحدي (ق ٦هـ / ١٢م)، مسجد السلبادور بحي البيازين بغرناطة، الجامع الملكي بغرناطة (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)، ومع أن هذه المساجد كلها اتبعت النظام العمودي للبلاطات على جدار القبلة، فإنها اتسمت جميعا كذلك بالاتجاه ببيت الصلاة نحو العمق تأسيا بجامع قرطبة، الذي أصبح منذ ذلك الحين المثل الذي احتذته مساجد الأندلس. انظر: السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م. صـ صـ ٣٠، ٣٧ – ٣٩. ، نفسه: العمارة الدينية بالأندلس. ضمن (دائرة معارف الشعب)، كتاب الشعب ٦١، مطابع الشعب، ١٩٥٩م، صـ صـ ١١١، ١١٢، ١١٤. ، توريس بلباس: الفن المرابطي والموحدي. ترجمة: سيد غازي، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، صـ ١٧. ، نفسه: تاريخ إسبانيا. صـ صـ ٦٥، ٢٦٤. ، مالدونادو: عمارة المساجد. جـ١، صـ ١١، جـ٣، صـ ٥٣، جـ٤، صـ صـ ٥٩، ٩٥، ١١١، ١٣٧، ١٤٠، ١٨١. ، أولغ غرابار: نظريتان متضاربتان إلى الفن الإسلامي في شبه الجزيرة الإسبانية (نظرة عامة). ضمن (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م، جـ٢، صـ ٨٤٧. ،

Golvin (Lucien): Essai sur L´ Architecture Religieuse Musulmane. Paris,1979, T4, PP97, 173, 176, 182, Fig 23, 61, 62, 63.

٦. – لتأكيد هذا الطرح، انظر: رامي راشد: عمارة المساجد بمدينة فاس. مج ١، صـ صـ ٤٨٠ – ٤٨٢.

٧. – هذا ما يمكن رصده – على سبيل المثال – بكل من جامع القرويين (٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، (شكل ٤)، والنواة الأولى لجامع الأندلسيين (٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، قبل التوسعة الموحدية الكبرى به، (شكل ٥)، وهو ما يمكن اعتقاده كذلك فيما يخص جامعي الشرفاء والأشياخ (١٩٢هـ / ٨٠٧م)، وكلها بفاس البالي، من العهد المبكر لتأسيس المدينة، إذ يفيد البكري (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، ضمن حديثه عن كل عدوة من عدوتي فاس، أن بها مسجدا تمتد بلاطاته من الشرق إلى الغرب، والظاهر من هذا الوصف هو اتسام تلك البلاطات بالاتجاه الموازي لجدار القبلة، الأمر الذي يمكن تأكيده من خلال وصف ابن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) لجامع دمشق بقوله: (وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق إلى الغرب). انظر: البكري (أبي عبيد الله): المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، صـ ١١٦. ، ابن جبير (محمد): رحلة ابن جبير. دار صادر، بيروت، د.ت، صـ ٢٣٦.

٨. – وهذا على خلاف جامع القرويين، إذ احتفظ عند توسعته في ذلك العصر المرابطي بالتخطيط الموازي، تماشيا مع التخطيط الأول له، والذي كان يتبع النمط الموازي على عادة المساجد الأولى بمدينة فاس وغيرها من مدن المغرب، (الأشكال ٤، ٩).

٩. – ليس بالمغرب الأقصى فقط، بل والمغرب الأوسط حسب ما يفيد به البعض. بو طارن مبارك: العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن الهجري. رسالة

ماجستير (منشورة)، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٩٩١م، صـ صـ ١٤٤ – ١٤٥.

١٠. – فيما يتعلق بجامع حسان بالرباط، (شكل ١٦)، فعلى الرغم أن بيت الصلاة يتسم بالاتجاه نحو العمق، إلا أنه يتميز ببعض الخصائص المعمارية الأخرى المخالفة للنمط القرطبي التقليدي، ممثلة في توفره على صحنين جانبيين مع الصحن الرئيسي، وكذلك توفره على ثلاث بلاطات عن طريق بائكتين مما يلي جدار القبلة، ممتدتان في اتجاه مواز لجدار القبلة، بما يمكن اعتبار ذلك نمطا ابتكاريا على خلاف المعهود، وعلى خلاف النمط القرطبي التقليدي بوجه عام، أما جامع القصبة بإشبيلية، (شكل ١٧)، فبيت الصلاة يتسم بالعمق لكونه من مساجد بلاد الأندلس، ولهذا فإن تأثير النمط القرطبي فيه ظاهر، حسب ما سبق الإشارة إليه أعلاه.

١١. – أما فيما يتعلق بجامع المنصورة، فبيت الصلاة يتسم هو الآخر بالاتجاه نحو العمق، غير أنه يتوفر على ثلاث بلاطات عن طريق بائكتين مما يلي جدار القبلة، تمتد فتحات عقودهما في اتجاه مواز لجدار القبلة، وهذا أيضا على خلاف النمط القرطبي التقليدي، والذي ربما كان تقليدا في ذلك لجامع حسان بالرباط، (الأشكال ١٦، ٢٤).

١٢. – سالم: قرطبة حاضرة الخلافة. جـ١، صـ ٣٠١. ، مالدونادو: عمارة المساجد. جـ ٢، صـ ٢١.

١٣. – مالدونادو: عمارة المساجد. جـ ٢، صـ ٢١، جـ ٤، صـ ١١١.

١٤. – لم يشذ عن تلك القاعدة من مساجد العصر الموحدي سوى جامع القصبة بمراكش، إذ أنه على الرغم من كون بلاط القبلة ينتهي عند طرفيه بقبتين، إلا أنه من خلال المعطيات التي أدلى بها السيد: هنري تيراس (Henri Terrasse)، يتضح أن اتساع البلاط المحوري ٨,٥٠م، في حين أن البلاطات الواقعة على جانبيه ٧,٠٠م، أما البلاطان الطرفيان فحوالي ٦,٢٠م، (شكل ١٣).

١٥. – ففيما يتعلق بجامع الحمراء بفاس الجديد فإن اتساع البلاط المحوري يبلغ ٣,٤٣م، أما باقي البلاطات الواقعة على جانبيه بما فيها الطرفيتان فيتراوح اتساعها فيما بين ٣,٤٠م: ٣,٤٥م، وفيما يخص جامع الحلوي بتلمسان، فاعتمادا على بعض الدراسات، فإن اتساع البلاط المحوري يبلغ ٣,٣٥م، أما باقي بلاطات بيت الصلاة بما فيها الطرفيتان يبلغ ٣,٠٠م، وهذا ما يمكن أن نستنتجه كذلك من مخطط كل من مسجدي العباد والمنصورة بتلمسان، (الأشكال ٢٢، ٢٤). انظر: رامي راشد: عمارة المساجد بمدينة فاس. مج ١، صـ ٣٠٢. ، بو طارن: العمائر الدينية في المغرب الأوسط. صـ صـ ١٦١ – ١٦٢.

١٦. – سالم: قرطبة حاضرة الخلافة. جـ ١، صـ ٣٢٤.، جوميث مورينو: الفن الإسلامي في إسبانيا. ترجمة: د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، صـ ٥٨. ، بلباس: تاريخ إسبانيا. مج ٢، جـ ٢، صـ ٧٣. ، مالدونادو: عمارة المساجد. جـ ٢، صـ ٧٠.

١٧. – لم يشذ في ذلك من مساجد الموحدين سوى جامع القصبة بإشبيلية، (شكل ١٧)، إذ اتسم بتوفره على ثلاث مجنبات حول الصحن بواقع واحدة بكل جهة، وذلك أيضا تحت تأثير النمط القرطبي التقليدي، على خلاف مساجدهم ببلاد المغرب.

١٨. – وهذا على خلاف ما ذكره البعض، من كون المساجد المرابطية والموحدية سارت على نفس البوائك الكلاسكية الثلاث، التي كانت سائدة خلال الفترة الأموية بقرطبة. مالدونادو: عمارة المساجد. جـ ١، صـ ٥٨.

١٩. – لم يشذ عن تلك القاعدة سوى جامع المنصورة بتلمسان، والذي كان تخطيطه أقرب ما يكون – كما سبق ذكره – لمسجد حسان بالرباط، (الأشكال ١٦، ٢٤).

المصـادر والمراجع

المصادر :

- ابن الأحمر (إسماعيل): النفحة النسرينية واللمحة المرينية. حققه وقدم له: د. عدنان آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، ١٩٩٢م.
- ـــــ: روضة النسرين في دولة بني مرين. المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- ابن بطوطة (أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. تقديم وتحقيق: د. عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، جـ ٤.
- البكري (أبي عبيد الله): المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- التلمساني (محمد ابن مرزوق): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الإمام أبي الحسن. دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

- ابن جبير (محمد): رحلة ابن جبير. دار صادر، بيروت، د.ت .
- ابن الخطيب (محمد): الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- ـــــ معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر وديوان المبتدا والخبر. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، جـ ٧ .
- ابن أبي زرع (علي): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م .
- ـــــ: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. راجعه: عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- مجهول (مؤلف): ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم. دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م .
- الناصري (أحمد): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق وتعليق: أحمد الناصري مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠١م .

المراجع :

- بالباس (ليوبولدو توريس): الفن المرابطي والموحدي. ترجمة: د. سيد غازي، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م .
- ـــــ: تاريخ إسبانيا الإسلامية. ترجمة: علي عبد الرءوف البمبي وآخرون، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، مج٢، جـ٢ .
- الجمل (محمد عبد المنعم): التأثيرات الفنية والمعمارية الشامية في العمارة الإسلامية المغربية والأندلسية. المجلة المصرية للآثار الإسلامية (مشكاة)، العدد ٥، ٢٠١٠ - ٢٠١١م .
- راشد (رامي ربيع): عمارة المساجد بمدينة فاس بالمغرب الأقصى في عصر بني مرين ٦٦٨ – ٨٦٩هـ / ١٢٦٩ – ١٤٦٤م: دراسة آثارية معمارية فنية. رسالة دكتوراة (مرقونة)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، قسم الآثار الإسلامية، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م .
- سالم (السيد عبد العزيز): العمارة الدينية بالأندلس. ضمن (دائرة معارف الشعب)، كتاب الشعب ٦١، مطابع الشعب، ١٩٥٩م .
- ـــــ: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس: دراسة تاريخية، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، جـ١.
- ـــــ: المساجد والقصور في الأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
- ـــــ: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها. ضمن (بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، قـ ٢.
- بو طارن (مبارك): العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن الهجري. رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٩٩١م .
- غرابار (أولـغ): نظريتان متضاربتان إلى الفن الإسلامي في شبه الجزيرة الإسبانية (نظرة عامة). ضمن (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م، جـ٢.
- كريزويل (أ. س): الآثار الإسلامية الأولى. ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤م.
- مالدونادو (باسيليو بابون): عمارة المساجد في الأندلس. ترجمة: د. علي منوفي، منشورات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، جـ ١ .
- مورينو (جوميث): الفن الإسلامي في إسبانيا. ترجمة: د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت .
- وليم، جورج مارسى: المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان. تقديم وترجمة: مراد بلعيد، وآخرون، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

- Golvin (Lucien): Essaisur L´ Architecture ReligieuseMusulmane. Paris,1979, T4 .
- Lambert (Elie): La Mosquée du Type Andalou en Espagne et en Afrique du nord . Al-andalus, Vol, XIV, Madrid, 1949 .
- Marçais (Georges): L´ArchitectureMusul maned'Occident, Tunisie, Algerie, Maroc, Espagne et Sicile. Paris, 1954 .

رفع الحرج والجناح عمن أرادت من المراضع النكاح لأبي علي الحسن بن عثمان بن عطية بن موسى التوجيتي الونشريسي [ت٧٨٨]

تحقيق وتعليق

الأستاذ الباحث عبد السلام بن مبارك الزاوي

المملكة المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3]

وبعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد: فقد أسهب الفقهاء قديما في تناول جميع المسائل التي تتعلق بأحكام الرضاع في الفقه الإسلامي، ولم يتركوا شاردة ولا واردة إلا أوسعوها بحثا وتأصيلا، واستدلالا وتفريعا.

وقد يسَّر الله عز وجل بمنه وكرمه ونواله الوقوف على هذه الرسالة التي عنون لها صاحبها بـ **"رفع الحرج والجناح عمن أرادت من المراضع النكاح"** للعلامة الفقيه أبي علي الحسن بن عثمان ابن عطية الونشريسي [ت ٧٨٨]

وهذه الرسالة عبارة عن سؤال طرح عليه، أشكل في نفوس الناشئين من طلبة العلم، فأجاب عنه جوابا فقهيا ماتعا، تضمن توجيها علميا نافعا، أزاح عنهم الإشكال والوهم والاحتمال، وحصر الكلام فيه في عشرة مسائل، منها مقاصد، ومنها وسائل.

---

(١) آل عمران {الآية: ١٠٢}

(٢) النساء {الآية: ١}

(٣) الأحزاب{الآيتان: ٧٠-٧١}

فعزمت إلى الاهتمام بهذه الرسالة تحقيقا، والرعاية بها ترتيبا وتعليقا حتى تعم بها الفائدة في الأقطار، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يسكن مؤلفه ومحققه وقارئه جنات النعيم المقيم، وأن يجعله يوم القيامة حجة لهم لا عليهم .

ترجمة موجزة للمؤلف[1]

- **اسمه ونسبه وكنيته:** العالم الجليل الفقيه البارع والقاضي الأديب الفرضي صاحب الإجازات الحاج أبو علي الحسن بن عثمان بن عطيَّة بن موسى بن يوسف بن عبد العالي التَّجاني الونشريسي، المكناسي، يختصر لقبه تحقيقا بالحسن بن عطيَّة نسبة إلى جده أبي عطيَّة بن موسى الذي كان إماما في الفقه.

- **مولده ونشأته وتعلمه:**

ولد الحسن بن عطيَّة الونشريسي بتاوريرت من حوز مكناسة سنة ٧٢٤ هـ، في بيتٍ عرف بالعلم والصلاح، أصله من قبيلة بني تجِّين بالغرب الأوسط، وجده عطيَّة هو الذي ارتحل منهم عن بلاد التَّجانيَّة، واستقر ببلاد مرين ملوك المغرب في دولة السلطان أبي يعقوب يوسف، وكان فارسا شجاعا، فاستخدمه ملوك مرين ثمَّ تخلَّى عن الخدمة السلطانية، وأقبل على طلب الآخرة.

لم يجد عناء كثيرا في تلقي علومه الأولى، فإلى جانب جده عطيَّة بن موسى، كان والده أبو سعيد عثمان بن عطيَّة فقيها ومفتيا. ثم عمه الحسن بن عطية القاضي الفقيه المحصِّل راوي الموطأ عن طريق يحيى بن يحيى الليثي، ثم عمه الآخر أبو الخير يونس بن عطيَّة الذي كان متخصصا في فروع المذهب، وأخوه عمر بن عثمان بن عطية الذي اشتغل بالتدريس والتعليم بفاس ومكناس.

ثم أخذ عن خاتمة محدثي المغرب أبي البركات بن الحاج البلقيني، وأخذ عنه ابن الأحمر الأديب البارع الوزير لسان الدين ابن الخطيب أحد أئمة مكناسة وجلة أعلامها ومن جملة منلقيه وأجازه موطأ مالك برواية يحيى بن يحيى .

- **اشتغاله بالتدريس:**

ولي القضاء نيابة بفاس، ثم ولي قضاء مكناسة، فقضاء سلا، ثم تخلى عن القضاء وتصدر للتدريس بجامع القرويين، ثم ذهب للحج ورجع لفاس.

قال ابن الأحمر في نثير الجمان {و يقرئُ في هذا الوقت بجامع القرويين كتاب ابن الحاجب الفرعي، وهو أحد الشيوخ حضرت حلقته في كتاب ابن الحاجب}

(١) نثير الجمان {ص ٣٦٦-٣٦٩}، وتوشيح الديباج {ص ٦٦}رقم: ٧١، والوفيات للونشريسي {ص ٦٣}، وجذوة الإقتباس {١٧٩/١}، رقم: ١٣٨، ونيل الابتهاج {ص ١٥٨-١٦٠}, رقم: ١٦٥، وكفاية المحتاج {١٨٧/١-١٨٨} رقم: ١٤٤، ونفح الطيب {٣٥٢/٥-٣٥٤} رقم: ١٠، وسلوة الأنفاس {٤١٧/٣-٤١٨}، وتعريف الخلف {ص ١٢٣} وإتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس {٩/٣_١٠}، رقم: ١٢٤، وهدية العارفين {ص ٢٨٧}، وشجرة النور الزكية {٢٣٨/١}.رقم: ٨٥٣. ومعجم أعلام الجزائر {ص ٣٤٤_٣٤٥}.

منزلته العلمية:

نال ابن عطية نصيبا وافرًا من الاحترام والتقدير لدى العلماء وسلاطين مملكة بني مرين. ولعل أحسن ما يمكن الاستشهاد به في هذا المقام، هو ثناء الفقهاء والعلماء وتلامذته ومحبيه، أمثال أبي العباس الونشريسي الذي قال عنه في معياره: {القاضي الأعدل، المدرس العالم المفتي الأكمل، أبو علي الحسن بن الشيخ الصالح الورع المقري المرحوم}، وقال ابن الخطيب في النفاضة: [فقيه عدل من أهل الحساب، قائم على الفرائض معتن بالفقه، ذا سذاجة وفضل، يقرض الشعر، له رجز في الفرائض، حسن العبارة مستوفي المعنى].

و قال تلميذه ابن الأحمر في نثير الجمان: {له باعٌ في الفرائض والفروع جسيم، وسماوة همَّةٍ وذكاء وسيم، وشعره فيه حلاوة، وكلامه فيه عذوبة وعليه طلاوة. كان قاضي الجماعة الفشتالي بفاس قد استنابه، فأظهر في الحق صلابة}.

و قال ابن زيدان السجلماسي في إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: {فقيه عدل متقن نقاد، مفت مدرس نفاع، صالح فرضى حيسوبي، له عناية بفروع الفقه ومعرفة بقرض الشعر، والآداب} و ذكر له صاحب المعيار فتاوى عدة في غاية الإتقان تبرهن على تبحره وتضلعه.

قال التنبكتي في"النيل": {و رأيت في بعض التقاييد عن ابن غازي ما نصه: حج صاحب الترجمة مع خلق كثير ورجع لفاس وهمَّ أن يتفرغ للعبادة حتى يموت، فقالت له امرأته: إما أن ترجع للقضاء وإما أن تطلقني فإني استأنست أن يخدمني النساء فرجع إلى القضاء فبقي خمسة عشر يوما ثم مات }.

و لم يعرف عن ابن عطية أنه سافر لطلب العلم إسوة بمعاصريه، وكانت نشأته في بيوت العلم ونسبه في آل عطية التي حملت لواء العلم والدين أغناه عن الترحال في سبيل العلم خارج دائرة أسرته.

قال لسان الدين ابن الخطيب: {وكان فقيها عدلا من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه ومن ذوي السذاجة والفضل ويقرض الشعر}. ومما جاء في شجرة النور {الإمام الفقيه الفرضي المفتي القاضي العادل}.

كان شيوخ المغرب يبجلونه ويستقضونه فيما كانوا فيه يختلفون. والحاصل أنه مهما قيل عن هذا الجبل الشامل من الأقوال والشهادات فإنه قليل بالنظر إلى مكانته، وما كان عليه آباؤه من الخصال العظيمة.

مؤلفاته:

انشغل ابن عطية الونشريسي بالتدريس والفتوى، والقضاء عن التأليف والتصنيف، فلم يذكر من ترجم له مؤلفات عدا أرجوزته الشهيرة المبسوطة العبارة المستوفية المعنى التي نظمها في علم

الفرائض، وشرح لها، ورسائله التي كتبها جوابا على أسئلة النوازل التي كانت ترد إليه من فاس ومكناس وأهالي تلمسان ومدن الأندلس، والتي كثيرا ما كان يعول عليها الونشريسي في نوازل المعيار منها: الرسالة التي نشتغل على تحقيقها المسماة: "رفع الحرج والجناح، عمن أرادت من المراضع النكاح".

وفاته:

حج ابن عطية مع خلق كثير، ثم عاد إلى فاس ورجع إلى القضاء، لكنه لم يلبث إلا مدة قصيرة ثم توفي سنة ٧٨٨ هـ.

منهج التحقيق

سلكت في تحقيق هذه الرسالة الفقهية المنهج الآتي:

١- قرأت نص الرسالة قراءة سليمة، وأقمت ما به من أود.

٢- وضعت ترجمة للمؤلف وما يتصل به في مقدمة الرسالة.

٣- عزوت النصوص إلى مصادرها الأصلية مع التعليق عليها عندما تدعو الضرورة والحاجة إلى ذلك.

٤- عزوت الأحاديث إلى الصحيحين، بذكر الكتاب والباب، والجزء والصفحة والرقم، وأما إن كان الحديث في غير الصحيحين، فإني أقوم بتخريجه وفقا للمنهج السالف الذكر، مع بيان درجة صحته.

٥- وضعت فهارس للموضوعات.

٦- جعلت فهرسا للآيات والأحاديث النبوية بذكر طرف الحديث وذكر موطن وجوده.

وعلى الرغم مما بذلناه من جهد في تحقيق هذه الرسالة العلمية، فنسأل الله تعالى أن يتجاوز عنا الزلل والقصور؛ لأن الجهد البشري لا يخلو من ذلك.

وصف النسخة الخطية

هذه الرسالة الفقهية لأبي علي الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي، لم نعثر عليها في مخطوطة مستقلة، بل وجدناها ضمن موسوعة الفتاوى المالكية: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب .

النسخة الأولى: نسخة مكتبة مدريد العامة

نسخة كتبها المؤلف سنة ٩٠١ هـ، الموافق لـ ١٤٩٦ م، الوطنية {مدريد}{٢٤٥}

الكتب المنتخبة من مكتبة مدريد العامة ٣٧

الوطنية/مدريد CDLXXV _ CDLXXIV ف.م: الوطنية في مدريد ٣٠١

وإليك صورة ورقاتها الأولى والأخيرة.

الورقة الأولى

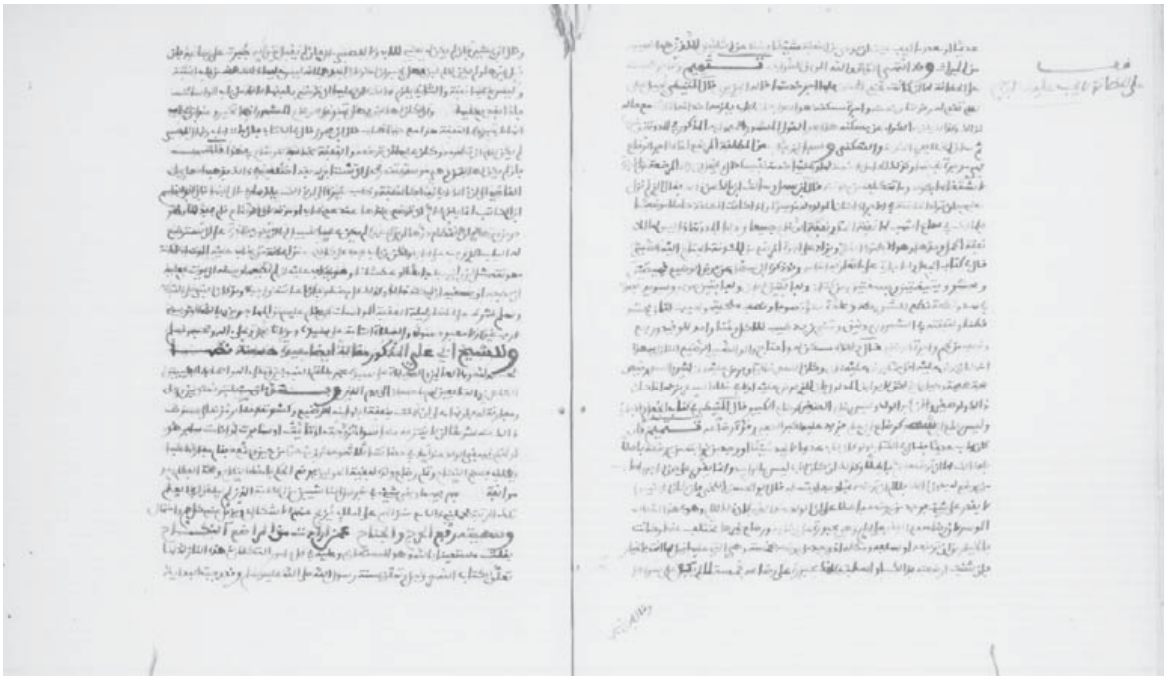

الورقة الأخيرة

النسخة الثانية: نسخة مكتبة تطوان العامة

رقمت بخط مغربي، وتقع في ثلاث ورقات، ومسطرتها ٣٢ سطرا، وهي مودعة في المكتبة العامة بتطون رقمها: ١٦٢. وإليك صورة منها:

الورقة الأولى:

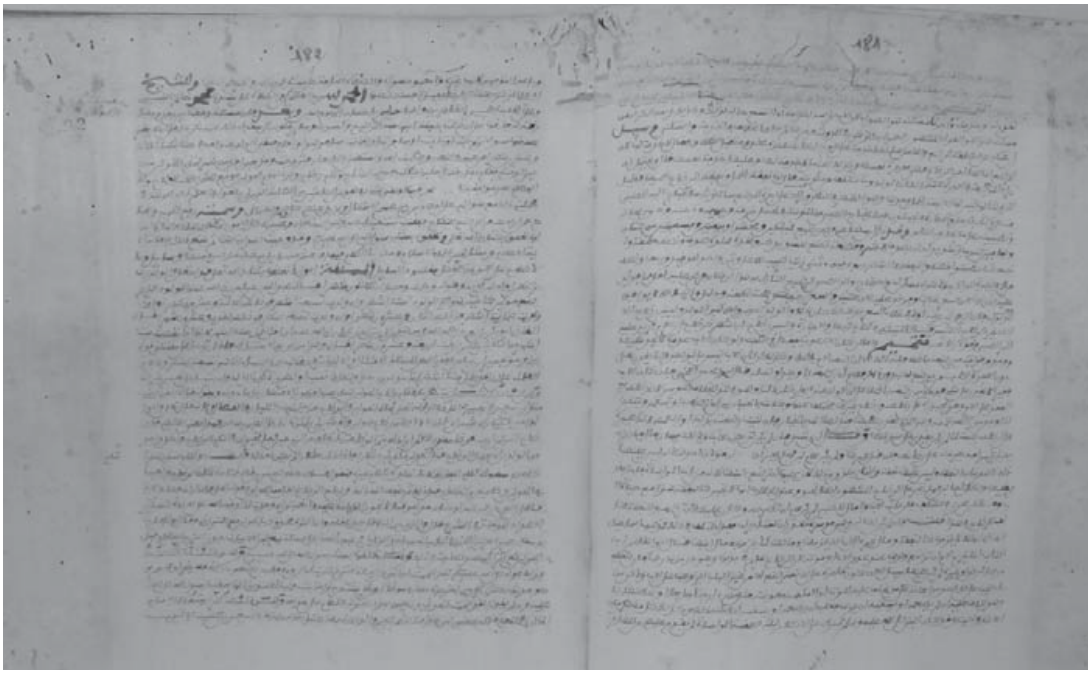

الورقة الأخيرة:

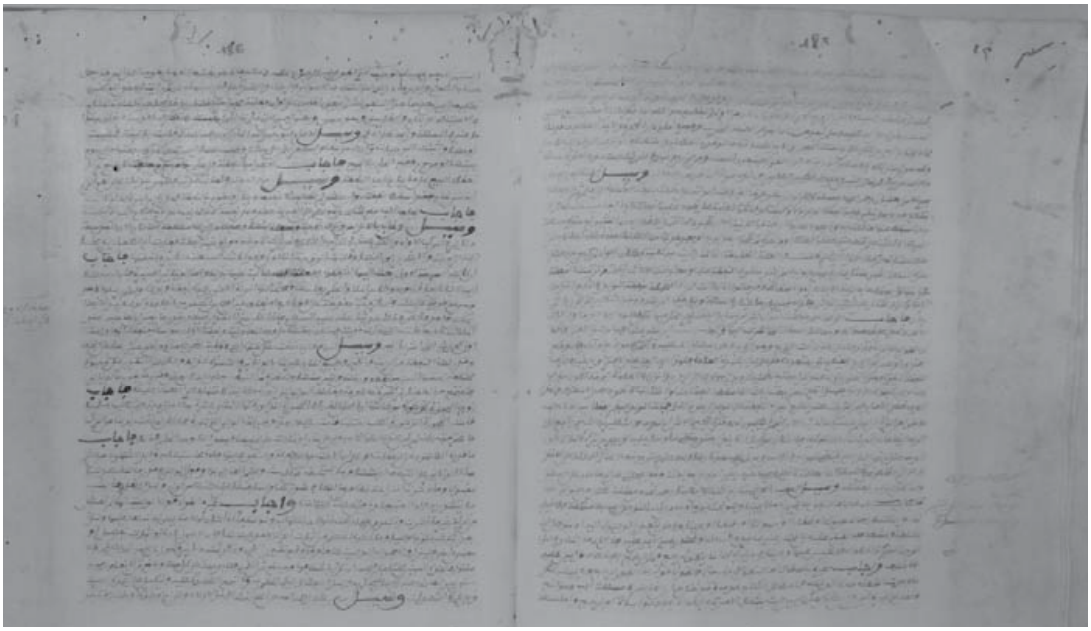

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فإن مسألة وقعت بين رجل ومفارقة له فارقها على أن تحملت بنفقة ابنها منه الرضيع وكسوته وسائر مؤنه إلى سقوط ذلك عنه شرعًا، على[١] أن لا ينتزعه منها سواء تزوجت أو تأيَّمَت أو سافرت أو أقامت سافر هو أو أقام، فيبقي الولد عند أمه في حضانتها ثلاثة وعشرين شهرًا من حين وضعه، وفطمته أمه واستغنى بالطعام فتزوجت، وقد بقي أقل من شهر لتمام الحولين من حين الوضع[٢]، فقام مفارقها عليها بطلب فسخ النكاح وتمام رضاع ولده لبقية[٣] الحولين، فوقع الحكم بإمضاء[٤] النكاح وصحة الفطام بعد موافقة بهم فيهما وبقي شيء في نفوس الناشئين من الطلبة، الذين لم يبلغوا في العلم تلك المرتبة، فحملني ذلك مع سؤالهم على إملاء يُزيح عنهم الإشْكال، ويزيل عنهم كل وهم واحتمال، وسميته: **رفع الحرج والجناح، عمن أرادت من المراضع النكاح**، فقلت مستعينًا بالله وهو المستعان، وعليه في كل الأمور التَّكْلان: هذه النازلة لها تعلُّق بكتاب الله عز وجل[٥]، وتعلق بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وجبت البداية بهما ثم نتبع ذلك بكلام[٦] الأئمة الأعلام، ومشاهير علماء الإسلام، وحصرنا الكلام فيها في عشرة مسائل، منها مقاصد ومنها وسائل، وبالاطلاع على مجموعها يتحصل مقصد[٧] السائل:

"المسألة الأولى": في تعلقها بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ[٨]، وذلك قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[٩] الخ، وقوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى

---

(١) سقطت [على] من: أ، والمثبت من: ب

(٢) عبارة [وفطمته أمه واستغنى بالطعام فتزوجت وقد بقي أقل من شهر لتمام الحولين من حين الوضع] ساقطة من: أ، والمثبت من: ب

(٣) في [ب]: لتمام

(٤) في[ب]: بصحة

(٥) في [ب]: الله تعالى

(٦) في [ب]: بما قاله

(٧) في [ب]: مقصود

(٨) في[ب]: الله تعالى

(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣

مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾[1]، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: {المولود الذي يرضع حولين كاملين هو المولود لستة أشهر، وإن ولد[2] سبعة أشهر فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرًا، وإن ولد[3] لثمانية أشهر فرضاعه اثنان وعشرون شهرًا، وإن ولد[4] لتسعة أشهر فرضاعه واحد وعشرون شهرًا.[5]} قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: {ومن هاتين الآيتين أخذ علي رضي الله عنه أن أقل الحمل ستة أشهر؛ لأنك إذا نقصت ستة أشهر من ثلاثين شهرًا بقيت أربعة وعشرون شهرًا، قال: وهذا من بديع الاستنباط[6]}، فإذا بنينا على مقتضى قول علي، وهو تفسير ابن عباس، فقد زال عن المسألة الإشكال والالتباس؛ لأن غالب حمل النساء إنما هو تسعة أشهر، وكلام العلماء على أن أقل الحمل ستة أشهر إنما هو لدرء حد أو إلحاق نسب أو لضرورة تلجئ إلى ذلك. وإن بنينا على تفسير غيرهما، وهي "المسألة الثانية"، نظرنا في تمام رضاع الحولين هل يجب أو

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥

(٢) في[ب]: ولدت

(٣) في [ب]: ولدت

(٤) في [ب]: ولدت

(٥) إسناده صحيح على شرط الصحيح.أخرجه الطحاوي في المشكل (٢٩١/٧ -٢٩٢)، عقب (٢٨٦٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره-كما في تفسير ابن كثير (٢٨٠/٧): عن أبيه، عن فروة بن أبي المغراء، بهذا الإسناد.والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الرضاع، باب ما جاء في تحديد ذلك بالحولين (٧٦٢/٧)، رقم:، ١٥٦٧٠، من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٤/١٣-٣٢٥) إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.وروى عبد الرزاق (١٣٤٤٩) قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني عثمان بن أبي سليمان أن نافع بن جبير أخبره أن ابن عباس أخبره قال: إني لصاحب المرأة التي أتي بها عمر، وضعت لستة أشهر فأنكر الناس ذلك، فقلت لعمر: لم تظلم؟ فقال: كيف؟ قال: قلت له: اقرأ [وحمله وفصاله ثلاثون شهرا]، وقال [والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين]، وكم الحول؟ قال: سنة، قلت: كم السنة؟ قال: اثنا عشر شهرا، قلت: فأربعة وعشرون شهرا حولان كاملان، ويؤخر من الحمل ما شاء الله ويقدم، فاستراح عمر إلى قولي، قلت: وهذا اسناد صحيح.

(٦) أحكام القرآن (٢٧٣/١)، وقال أيضا: {واختلف الناس في فائدة هذا التقدير على قولين: فمنهم من قال: معناه إذا ولدت لستة أشهر أرضعت حولين، وإن ولدت لتسعة أشهر أرضعت واحداً وعشرين شهرا، وهكذا تتداخل مدَّة الحمل ومدة الرضاع، ويأخذ الواحد من الآخر.

ومنهم من قال: إذا اختلف الأبوان في مدة الرضاع فالفصل في فصاله من الحاكم حولان. والصحيح أنه لا أحد لأقلِّه، وأكثره محدود بحولين مع التراضي بنص القرآن} .

يجوز الاقتصار على ما دونه، وبقوله قال القاضي منذر بن سعيد[1] في تفسيره: إنما ذكر الله تعالى كمال الحولين في الرضاع من أجل إيجاب الخيار في الفصال، فكأنه قال تعالى والوالدات بالخيار، إن شئن أن يكملن أولادهن رضاع حولين، وإن شئن لم يكملن ذلك على الضرر منهن، فهذا معنى الكلام، فإرضاعُ الحولين لا يجب فرضًا مقدارًا إلا لمن أراد أن يتم الرضاعة باتفاق من الزوجين، فهما مخيَّران في إتمام الرَّضاع، ولكل واحد من الوالدين أن يفصل الرضاع قبل تمام الحولين ما لم يكن ضارًا[2]، فإذا كان مضرا[3] لم يكن له ذلك. قلت: وكلام منذر هذا كافٍ في سقوط كلام المفارق؛ لأنا نشهده بكلام غيره، فنقول: قال بعض المفسرين: قال قتادة[4]: كان الرضاع واجبا في الحولين، وكان يحرم الطعام ثَمذلك[5]، ثم خفف الله ذلك وأباح الرضاع أقل من الحولين في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[6] الآية، وقال القاضي أبو بكر بن العربي[7]: {لو كان هذا حدًا مؤقتًا لا تجوز الزيادة عليه ولا تعتبر إن وجدت لما أوقفه الله تعالى على الإرادة كسائر الأعداد المؤقتة في الشرع، قال والصحيح أنه لا حد لأقله، وأنَّ أكثره محدود بالحولين مع التراضي}[8]، وقال أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز اللخمي في كتابه المسمى بالدلائل في عيون المسائل في مسألة بيع لبن الآدميات: جوَّز الشرع الفطام قبل الحولين مع التراضي[9] عند الحاجة إلى ذلك.

---

(١) القاضي أبوبكر منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم القرطبي، الفقيه المالكي الشهير بالبَلُّوطي، قاضي الجماعة، كان فقيها محقِّقا، وخطيبا بليغا مُفوها، لم يسمع بالأندلس أخطب منه، سمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى، وسمع بالمشرق من محمد بن المنذر النيسابوري. ولد سنة ٢٧٣هـ، وتوفي سنة ٣٥٥هـ، له تصانيف منها: الإنباه عن الأحكام من كتاب الله، والإبانة عن حقائق أصول الدِّيانة، وناسخ القرآن ومنسوخه، والرد على أهل المذاهب.

أنظر ترجمته: المقتبس (٣٤٨-٣٤٩) رقم: ٨١١، وسير أعلام النبلاء)١٦/١٧٣-١٧٨ (رقم: ١٢٧، وبغية الوعاة (٢/٣٠١) رقم: ٢٠٢٣، ونفح الطيب (١/٣٧٢-٣٧٦)، وهدية العارفين (٢/٤٧٢).

(٢) في [ب]: مضرا

(٣) عبارة [فإذا كان مضراً]ساقطة من: أ

(٤) أخرجه البغوي في تفسيره (١/٢٧٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١/٣١١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن(٤/١٢٣)، وعندهم أن التخفيف وقع بقوله تعالى ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾

(٥) في [ب]: كان يحرم الفطام قبل ذلك

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣

(٧) في [ب]: قال ابن العربي

(٨) أحكام القرآن (١/٢٧٣)

(٩) سقطت [مع التراضي] من: أ

وأما تعلقهما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي **"المسألة الثالثة"**، فذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ[1] حَتَّى تَذَكَّرْتُ أَنَّ الرُّوم وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلا يَضُرُّ أَوْلَادَهُم "[2]، وهو حديث صحيح، أخرجه مالك في موطئه عن عائشة عن جذامة بنت وهب الأسدية أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لَقَدْ هَمَمْتُ.. " الحديث. ويتعلق بهذا الحديث الكلام على جُدَامة، وهي **"المسألة الرابعة"**، قال الإمام المازري في " المعلم ": قال بعضهم: {هي جُدَامة، بضم الجيم والدال المهملة، وكذا[3] قاله مالك، وقال سعيد بن أبي أيوب[4] ويحيى بن أيوب بالذال المعجمة، والصواب ما قاله مالك رحمه الله[5]، والجدامة في اللغة ما لم يندقَّ من السنبل، هكذا قال أبو حاتم، وقال غيره: إذا تحاتَّ البُرّ فما بقي في الغربال من قصبه هو الجدامة[6]}، وقال القاضي أبو الوليد الباجي: {هكذا وقع عندي في رواية يحيى بن يحيى بالدال غير المعجمة.[7]}

قال أبو ذر: حين سماعي منه موطأ أبي مصعب فيه رواية بالذال المعجمة، ولكن روايتي بالذال غير معجمة[8]. وذكره القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله[9] في الإكمال[10] بالوجهين عن شيوخه عن ابن أبي سراج[11].

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٣٠٩٧/٧): "الغِيْلة بالكسر: الاسم من الغَيْل بالفتح، وهو أن يجامع الرَّجُلُ زوجته، وهي مرضع، وكذلك إذا حَمَلَت وهي مرضع."

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الرضاع، باب جامع ماجاء في الرضاعة (١٢٧/٢)، رقم: ١٧٧٩.
وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب النكاح، باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع، وكراهة العزل (١٠٦٦/٢)، رقم: ١٤٤٢.

(٣) في[ب]: هكذا

(٤) في[ب]: سعيد بن المسيب أبي أيوب

(٥) سقطت [رحمه الله] من: أ

(٦) المعلم بفوائد مسلم (١٥٩/٢)، رقم: ٥٩٦

(٧) المنتقى (١٥٦/٤)

(٨) عبارة [قال أبو ذر: حين سماعي موطأ أبي مصعب...بالذال غير معجمة] ساقطة من: أ

(٩) سقطت [رحمه الله] من: أ

(١٠) إكمال المعلم (٦٢٤/٤)

(١١) أبو مروان عبد الملك بن قاضي الجماعة أبي القاسم سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الأموي، مولاهم القرطبي، إمام اللغة غير مدافع وإمام الأندلس في وقته، كانت الرحلة إليه من جميع جهات الأندلس، ولد سنة أربع مئة في ربيع الأول، سمع من أبيه وأبي عمر بن الضابط الصفاقسي والقاضي يونس وأبي مروان بن حيان، وعنه أخذ جماعة منهم ابنه الحافظ أبوالحسن سراج، وحدث عنه الجياني والصدفي وابن العربي وابن رشد، توفي سنة ٤٨٩هـ.
انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٣٣/١٩-١٣٤)، رقم: ٧٠، العبر (٣٦٠/٢)، الديباج المذهب (١٧/٢)، بغية الوعاة (١١٠/٢)، شجرة النور الزكية (١٢٢/١)، رقم: ٣٥١.

وأما ضبط الغيلة، وهي **"المسألة الخامسة"**، فقال ابن أبي زمنين[١]: الغِيلة بكسر الغين لا يجوز الفتح إلا بطرح الهاء، كذلك ضبطه بعض شيوخنا الفقهاء البُصراء بكلام العرب في حين قراءتي[٢] عليه، وأصل الغيلة هاهنا الضر، تقول: خفت غيلة[٣] فلان؛ أي: ضرره[٤]، وزاد في كتاب الديات، والغيلة: أن يغتال[٥] الإنسان ويخدع بالشيء، يستخفي فيه، فإذا صار إليه قتل، وقال القاضي عياض في " الإكمال "[٦]: لو كان هذا صحيحًا لكانت من ذوات الواو لقوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٧]؛ أي: لا يغتال[٨] عقولهم، فيكون الاسم: الغول، وقد أكثر الناس في اشتقاقها ولا غرض لنا في استيفاء كلامهم. وأما حقيقتها، فهي **"المسألة السادسة"**، فقد قال في "الموطأ" و"المدونة"[٩] وغيرهما: هي وَطْءُ المرضع، ولفظه في " الموطأ "[١٠]: أن يمس الرجل امرأته وهي ترضع، ولفظه في "المدونة"[١١]: قال ابن القاسم: قال مالك في الغيلة - وذلك أنه قيل له: ما الغيلة؟ - قال: ذلك أن يطأ الرجل امرأته، وهي ترضع ليست بحامل؛ لأن الناس قالوا: إنما الغيلة أن يتغالى الصبي بلبن قد حملت أمه عليه، فيكون إذا أرضعته بذلك اللبن قد اغتالته، قال مالك: ليس هذا هو، إنما تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم أَنْ تُرْضِعَهُ وَزَوْجُهَا يَطَؤُهَا لا حَمْلَ بِهَا، قال القاضي أبو الوليد الباجي: } قوله: الغيلة، أن يمس الرجل امرأتَه وهي ترضع، قال ابن حبيب: عزل عنها أو لم يعزل، قال الشيخ أبو عمران:

---

(١) أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري القرطبي، كان من كبار المحدثين، والعلماء الراسخين، وأجلَّ أهل وقته قدرا في العلم، والرواية، والحفظ للرأي، والتمييز للحديث، مع النسك، والزهد، والاستنان بسنن الصالحين، أمة في الخير، عالما عاملا، دائم الصلاة والبكاء، واعظا. تفقه بأبي ابراهيم بن مسرة، وسمع منه ومن وهب بن مسرة وأحمد بن مطرف وسعيد بن مجلون وغيرهم. وعنه يحيى بن محمد المقامي وأبو عمر بن الحذاء والقاضي يوسف وجماعة، له تآليف منها: تفسير القرآن العظيم، والمغرب في اختصار المدونة، والمنتخب في الأحكام، ولد سنة ٣٢٤هـ، وتوفي سنة ٣٩٩هـ.

انظر ترجمته: جذوة المقتبس (ص٥٦-٥٧)، رقم: ٥٧، ترتيب المدارك (١٨٣/٧-١٨٦)، سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٧-١٨٩)، رقم: ١٠٩، الديباج المذهب (٢٣٢/٢-٢٣٤)، شجرة النور الزكية (١٠١/١)، رقم: ٢٥٢.

(٢) في ب: قرأت

(٣) في ب: غائلة

(٤) إكمال المعلم (٦٢٤/٤)

(٥) في ب: يقتل

(٦) المصدر السابق.

(٧) سورة الصافات، الآية : ٤٧

(٨) في ب: تغتال

(٩) في ب: فقد قال في المدونة والموطأ

(١٠) الموطأ (١٢٧/٢)، ومسلم في النكاح، باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل. وأبوداود في الطب (٣٨٨٢)، باب في الغيل، والنسائي في النكاح (ص٥١٤)، باب الغيلة .

(١١) المدونة الكبرى (٢٩٦/٢-٢٩٧)، كتاب الرضاع

إنما حقيقة الغيلة: الوطء مع الإنزال، إلا أن يريد ابن حبيب إذا لم ينزل وأنزلت المرأة أن ماءَهُما يغير اللبن؛ وقوله: يغير اللبن، أي: يكثره، وإذا كان له تأثير بالتكثير، جاز أن يكون له تأثير بالتغير، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ.." يدل على أنه كان يقضي ويأمر وينهى[1] بما يؤديه إليه اجتهاده دون أن ينزل عليه فيه شيء[2]{قال القاضي عياض في "الإكمال"[3]: وهي مسألة مختلف فيها عند أهل الأصول[4](قال القاضي أبو الوليد الباجي: } وكذلك همّ أن ينهى عن الغيلة لما خاف من إفساد أجسام أمته[5]، وضعف قوتهم من أجلها حتى ذكر أن فارس والروم يفعل ذلك[6] فلا يضرهم، يحتمل أن يريد صلى الله عليه وسلم أنه لا يضر ضررًا عامًا، وإنما يضر في النادر، فلذلك لم ينه عنه ولم يحرمه رفقًا بالناس، لما في ذلك من المشقة على من له زوجة واحدة، فيمتنع من وطئها مدة الرضاع فتلحقه المشقة، وهي مشقة[7] عامة، فكان مراعاتها أرفق[8] بأمته من المشقة الخاصة التي لا تلحق إلا اليسير من الأطفال، قال ابن حبيب: العرب تتقي وطء المرضع أن يعود من ذلك ضرر على الولد وضرر في جسم أو علة[9]{قف على تعليله[10] ضرر الأزواج على ضرر الأطفال على تقدير أن يكون ذلك[11] ضررًا فيسقط مقال المفارق أيضًا، فهذا على أن مسألة المفارق والولد مفطوم فلا مدخل له في شيء من هذا، وقال أبو عمر بن عبد البر[12]: روى بعض الرواة عن مالك هذا الحديث عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم، منهم أبو عامر[13].

---

(١) سقطت [ينهى] من: أ

(٢) المنتقى (١٥٦/٤)،

(٣) إكمال المعلم (٦٢٤/٤)

(٤) سقطت عبارة [قال القاضي عياض في الإكمال: وهي مسألة مختلف فيها عند أهل الأصول] من: أ

(٥) في ب: من إفساد أمته

(٦) في ب: كانت تفعل ذلك

(٧) سقطت [وهي مشقة] من: ب

(٨) في ب: رفقا

(٩) المنتقى (١٥٦/٤)

(١٠) في ب: تقييد

(١١) في ب: هناك

(١٢) الاستذكار (٢٨١/١٨-٢٨٣)

(١٣) أبو عامر عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي، البصري، الإمام، الحافظ، محدث البصرة، حدث عن شعبة ومالك، وإبراهيم بن طهمان، وحماد بن سلمة وغيرهم، وحدث عنه أحمد بن الفرات، وعباس الدوري، وعبد بن حميد، وخلق كثير، ذكره النسائي، فقال: ثقة مأمون، توفي سنة أربع ومئتين .

أنظر ترجمته: طبقات ابن سعد (٣٠١/٩)، رقم: ٤١٨٢، التاريخ الكبير (٤٢٥/٥)، رقم: ١٣٨٢، سير أعلام النبلاء (٤٦٩/٩-٤٧١)، رقم: ١٧٣، العبر (٢٧٢/١)، تهذيب التهذيب (٤٠٩/٦)

وكذلك رواه القعنبي[1] في غير " الموطأ "، وهو عنده في "الموطأ" كما هو عند سائر الرواة عن عائشة، عن جُدَامَة، وفي رواية عن[2] عائشة عن جدامة دليل على حرصها على العلم وبحثها عنه، وإن القوم والله أعلم لم يكونوا يرسلون من[3] الأحاديث في الأغلب إلا ما نسوا فيه المحدث لهم أو لوجوه غير ذلك.

أما الغيلة فكما فسرها مالك، وعلى تفسير مالك أكثر الناس من أهل اللغة وغيرهم، وقال الأخفش: الغيلة والغيل سواء، وهي أن تلد المرأة فيغشاها زوجها وهي ترضع فتحمل من ذلك الوطء، لأنها إذا حملت فسد اللبن على الطفل المرضع ويفسد به جسمه وتضعف به قوته حتى ربما كان ذلك في عقله[4]، قال: وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنه ليُدركُ الفَارِسَ فَيُدَعْثِرُهُ[5] عن فَرَسِه "[6]، أي يسقط عن السرج، قال الشاعر:

---

(١) أبوعبد الرحمن عبد الله بن مَسلمة بن قعنب التميمي المدني المعروف بالقعنبي، كان يسمى الراهب لعبادته وفضله، الإمام الجليل أحد الأعلام الثقة الثبت. قال فيه مالك: هو خير أهل الأرض، روى عن مالك الموطأ ولازمه عشرين سنة، وعن ابن أبي ذئب وشعبة والليث، والسفيانين، وعنه جماعة منهم: أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وأبو داود، وخرج له البخاري ومسلم ورويا عنه، توفي سنة ٢٢١هـ.

انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٢٥٧/١٠-٢٦٤)، رقم: ٦٨، العبر (٣٠١/١)، الديباج المذهب (٤١١/٢-٤١٣)، شجرة النور الزكية (٥٧/١)، رقم: ١٥، جمهرة تراجم الفقهاء (٧٦٤/٢-٧٦٥)، رقم: ٧٠٨.

(٢) سقطت [عن] من: أ

(٣) في ب: في

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٩٢/١٣)

(٥) الدعثرة: الهدم، والمدعثر: المهدوم

أنظر: لسان العرب (٢٨٧/٤)

(٦) نص الحديث: عن أسماء بنت يزيد بن السكن: قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " لاَ تقتلوا أولادَكم سراً فإن الغَيْلَ يُدرك الفارس فَيُدَعْثِرُهُ عن فرسه "أخرجه أبوداود في السنن، كتاب الطب، باب في الغيل (ص٤٢٦)، رقم: ٨٣٨١، من حديث أسماء بنت يزيد.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥٤٣/٤٥)، رقم: ٢٧٥٦٢ وأخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب النكاح، باب الغيل (ص٣٤٨)، رقم: ٢٠١٢ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٣/٢٤)، رقم: ٤٦٣ جميعهم من طريق مهاجر بن أبي مسلم، عن أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الاسناد لا يصح بسبب مهاجر بن أبي مسلم؛ حيث ترجم له الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣٢٣/١٠)، رقم: ٥٦٤، ولم يذكر في ترجمته جرحا ولا تعديلا.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه: "غاية المرام" (رقم/٢٤٢): " ضعيف " .

قال محققو مسند الإمام أحمد في طبعة مؤسسة الرسالة:

"إسناده ضعيف، مُهاجر - وهو ابن أبي مسلم الأنصاري، وإن روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في " ثقاته " - قد انفردَ به، ومثلُه لا يُحتمل تفرُّده، ثم إنه معارَضٌ بحديث صحيح، وبقية رجال الإسناد ثقات " انتهى من " مسند أحمد " (٥٤٣/٤٥)

فـــوارسُ لـــم يـغـالـوا فـي رضـــاع[1] فَـتَـنـبـوا فـي أكـفِّـهِـم الـسـيـوفُ

قال أبو عمر: قول النبي صلى الله عليه وسلم: " حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ فارسَ والرُّومَ يَفْعَلُون ذَلِكَ فَلا يَضُرُّ أَوْلاَدَهُمْ "، يرد ما قاله الأخفش وحكاه عن العرب، وذلك في[2] أكاذيب العرب وظنونهم، ولو كان ذلك حقًا لنهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الإرشاد والأدب، فإنه كان صلى الله عليه وسلم حريصًا على نفع المؤمنين ورؤوفًا بهم، وما ترك شيئًا ينفعهم إلَّا دلهم عليه وأمرهم به صلى الله عليه وسلم.[3]

قلت: وفي رد أبي عمر على الأخفش[4] نظر؛ لأنه[5]قال في جملة ما رد به كلام الأخفش إن هذا من أكاذيب العرب لم يقتصر على قول العرب بل عضد ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضًا فإن الأخفش تكلم على إرضاع الحامل ومالك تكلم على وطء المرضع الحامل، وشتان ما بين المسألتين وقد نبهناك على أن مسألة الفارق لا يتناولها تقسيم أهل العلم للغيلة، لكون الولد مفطومًا مستغنيًا بالطعام وأما الراجح من التفسيرين في اللغة، وهي **"المسألة السابعة"**، فقال أبو الحسن اللخمي في الغيلة ما هي؟ فقال مالك: وطء المرضع، وقيل: أن ترضع وهي حامل، والأول أحسن؛ لأن رضاع الحامل سلموا أنه مضر وهو مما يتقى منه، والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينبه[6] على الغيلة وأخبر أنها ليست بضارة، فكان حمله على الوجه الآخر أبين، ولا يحمل على من علم منه الضرر، وربما أدى إلى موته، قال الشيخ أبو الحسن اللخمي: واختلف في استرضاع الحامل فوقع في غير موضع جواه، وقال في كتاب الإجارة[7]: إن حملت تنفسخ الإجارة، وهو أحسن؛ لأن إرضاع الحامل مضر وهو مما يتقى منه، والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينبه على الغيلة وأخبر أنها ليست بمضرة[8]، ثم تكلم اللخمي على الأم

(١) لم يغالوا في رضاع: ماوطئت أمه وهو يرضع.

(٢) في ب: من

(٣) الاستذكار(١٨/٢٨٢-٢٨٣)، كتاب الرضاع، باب جامع ماجاء في الرضاع .

(٤) أبو الحسن سعيد بن مَسعَدَة المُجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط ؛ أحد نحاة البصرة، أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع، وأخذ عنه المازني، وأبو حاتم، وسلمة، وطائفة. وكان ثعلب يفضل الأخفش، ويقول: كان أوسع الناس علما، وله كتب كثيرة في النحو والعروض ومعاني القرآن، توفي سنة نيّف عشرة ومئتين، وقيل سنة عشر.

انظر ترجمته: نزهة الألباء (ص١٠٧-١٠٩)، معجم الأدباء (٣/١٣٧٤-١٣٧٦)، رقم: ٥٤٨، وفيات الأعيان (٢/٣٨٠-٣٨١)، رقم: ٢٦٤، سير أعلام النبلاء (١٠/٢٠٦-٢٠٨)، رقم: ٤٨، بغية الوعاة (١/٥٩٠-٥٩١)، رقم: ١٢٤٤.

(٥) سقطت [لأنه] من: أ

(٦) في ب: لم ينه

(٧) التبصرة(١٠/٤٩٩٠)، في من استأجر ظئرًا فماتت أو حملت .

(٨) عبارة [وأخبر أنها ليست بضارة، فكان حمل.....أنها ليست بمضرة] ساقطة من: ب

المطلقة الحامل، فقال: {إنها لا ترضع؛ لأنها ليست بزوجة، فلما كان لها أن لا ترضع كان على الأب أن يستأجر له، فإن رضيت برضاعه كانت لها الأجرة، وهذا إذا كان رضاعها وهي حامل لا يضر بالولد}.[1] فهذا يناقض[2] لما تقدم له من أنه ضارٌّ بالولد وربما أدى إلى موته، فجزم بالضرر فيما تقدم وتردد فيه في هذا الموضع. وأما إذا شرط المطلق على زوجته مؤنة رضاع ولده حولين أو فوق ذلك، وهي **"المسألة الثامنة"**، فقال في رسم الطلاق من سماع أشهب من كتاب التخيير والتمليك[3]: وسئل عمن صالح زوجته[4] على أن عليها كفل ولد منها ثلاث سنين لا تتزوج، فقال: أليس قد كانت ترى أن هذا الشرط لا يجوز، وأنه ليس من شروط الناس، وثلاث سنين مثل عشرة، أرأيت إن قال لها[5]: لا تتزوج خمس سنين، يشترط تحريم ما أحل الله، قيل له: أرأيت إن شرط عليها ألا تتزوج حتى تفطم ولدها؟ قال: يشترط عليها تحريم ما أحل الله![6] قيل له: أفترى لها أن تنكح؟ قال: لا أدري، قال الله عَزَّ وَجَلَّ[7]: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾[8] يصالحها هذا على تحريم[9] ما أحل الله، قال ابن نافع[10]: وكان مالك لا يرى بأسًا أن تنكح وإن اشترط كفله عليها، وأما أنا فلا أرى أن تنكح في الحولين إذا اشترط ذلك عليها، قال ابن رشد في كتاب ابن المواز[11]: إن ذلك يلزمها، ولا تنكح حتى تفطم ولدها، مثل قول ابن نافع، ويأتي على

---

(١) التبصرة (٢١٧٧/٥-٢١٧٨)، في نفقة الحامل وكسوتها .

(٢) في ب: مناقض

(٣) البيان والتحصيل (٢٤٨/٥-٢٤٨)

(٤) في ب: امرأته

(٥) سقطت [لها] من: أ

(٦) عبارة [قيل له: أرأيت إن شرط عليها ألا تتزوج حتى تفطم ولدها ؟قال: يشترط عليها تحريم ما أحل الله] ساقطة من: أ

(٧) في ب: قال الله تعالى

(٨) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

(٩) في ب: صالحها على تحريم

(١٠) أبو محمد عبد الله بن نافع مولى بني مخزوم المعروف بالصائغ، من كبار فقهاء المدينة، وأحد أئمة الفتوى بها كان أميا لا يكتب، تفقه بمالك ونظرائه وصحبه أربعين سنة، وروى عنه، وكان حافظا سمع منه سحنون. وكبار أتباع أصحاب مالك. روى عنه يحيى بن يحيى، وله تفسير في الموطأ، توفي بالمدينة سنة ١٨٦هـ .

انظر ترجمته: التاريخ الكبير (٢١٣/٥)، رقم: ٦٨٧، سير أعلام النبلاء (٣٧١/١٠-٣٧٤)، رقم: ٩٦، العبر (٢٧٤/١)، الديباج المذهب (٤٠٩/١-٤١٠)، شجرة النور الزكية (٥٥/١)، رقم: ٤.

(١١) البيان والتحصيل (٢٤٩/٥)

ما في المدونة أن المرأة إذا آجرت نفسها ظئرًا[1] فليس لها أن تتزوج، أنه ليس للمصالحة على رضاع ولدها أن تتزوج في الحولين وإن لم يشترط ذلك عليها، وما في رسم الرهون من سماع عيسى من هذا الكتاب: أنه ينظر في ذلك فإن كان يضر بالصبي لم يحل بينها وبين الصبي[2] التزويج قول رابع في المسألة، وإنما وقع الاختلاف في هذا مما هو ضرر ذلك[3]، وما كانت العرب تعتقد من ذلك حتى همَّ النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهى عن ذلك، وأما اشتراطه عليها ترك النكاح بعد الحولين مدة قريبة أو بعيدة[4] فلا خلاف[5] أن ذلك لا يلزمها، كما لا يلزم الزوج اشتراط ذلك عليه. وقد أعلمتك في مواضع من هذا الإملاء، أنَّ مسألة إقامتك[6] ابن رشد وفيها نظر، وهي "المسألة التاسعة"؛ لأنه قد نص في كتاب الرضاع على مذهبه أن الغيلة وطء المرضع، فلا عبرة بالإقامة مع وجود النص، هذا على تسليم المعارضة؛ وإلا فقد قال الشيخ أبو محمد صالح[7]: إن أراد هنا أنه منعه لخوف الحمل فلا معارضة، وإن أراد لما يضر بالصبي فهو معارضة فاسدة بإخبار الشرع صلى الله عليه وسلم أن ذلك لا يضره، وقد يقال: إن الفرق[8] على تسليم المعارضة أن اللبن هنا مشترى بثمن المشتري ينبغي أن يكون سالمًا من جميع العيوب اليسيرة والكبيرة[9]، وما قاله في سماع عيسى من أنه ينظر في ذلك إن كان يضر بالولد منعت من التزويج وإلا فلا، كلامٌ فيه إشكال؛ لأن سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه صلاة رب العالمين، قد نظر في ذلك وأخبر أنه لا يضر، فأي نظر يبقى لأحد من الخلق مع نظره صلى الله عليه وسلم؟ وأبعد من هذا ما وقع في الطرر عن بعض المفتين، وهي المسألة العاشرة، في كتاب الاستغناء: إذا

---

(١) ظئرًا: العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس ويطلق على الذكر كذلك.
انظر: لسان العرب (٥١٤/٤)، مادة: ظأر

(٢) في ب: سقطت [الصبي]

(٣) في ب: مما تيقن من ضرر ذلك

(٤) في ب: بعيدة وقريبة

(٥) في ب: اختلاف

(٦) في ب: إقامة

(٧) أبو محمد صالح بن ينصارن بن غفيان الدكالي، ولد بأسفي سنة ٥٥٠هـ، صوفي اشتهر بيته من بعده بآل "أبي محمد صالح". تعلم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى فاس، وبعدها قصد المشرق، وبه قضى أكثر من عشرين سنة، صرفها في دراسة علوم الدين، وفي التعبد، كان يحث الناس على أداء فريضة الحج، بعد أن أفتى علماء المغرب والأندلس بسقوطها، وتعويضها بالجهاد، بسبب أخطار عدم أمن الطريق، توفي بآسفي سنة ٦٣١هـ.
انظر ترجمته: الأعلام للزركلي (١٩٩/٣)،

(٨) سقطت عبارة [بالصبي فهو معارضة فاسدة بإخبار الشرع صلى الله عليه وسلم أن ذلك لا يضره، وقد يقال: إن الفرق] من: ب

(٩) في ب: الكثيرة

التزمت الأم حضانة ابنها فتزوجت في ذلك فسخ نكاحها حتى يتم أمد الحضانة، وقد قدمنا عن ابن رشد ما يبطل هذا من قوله: {إذا اشترط عليها ما فوق العامين من مدة قريبة أو بعيدة فلا خلاف أنه لا يلزمها ذلك[1]}، وهل يتوهم أحد أن الأم لا تتزوج إلا بعد عشرين سنة أو ما قاربها؟ لأن الحضانة كما علمت إلى بلوغ الذكر وتزويج الأنثى، ولما استشعر ابن عبد الغفور[2] بعد هذا القول لم يكتف بما[3] نقله عن الأبهري[4] أن لها أن تتزوج ولا يفسخ النكاح، بل رأى أن يلتمس له مخرجًا فقال: أراه قبل البناء، وقد حكى ابن يونس وابن رشد[5] وغيرهما الإجماع على أن عدة المرضع ثلاثة قروءٍ، وإلا فسنة بيضاء بعد الفطام، فإذا تمت ثلاثة أقراء وهي في حال الرضاع فقد حلت للزواج بالإجماع، وإذا حلت للأزواج جاز العقد عليها، حلَّ وَطْؤُها، إذ لا يجوز نكاح إلا حيث يجوز الوطء، قاله في المدونة[6]، فتبين بهذا أن الرضاع ليس من موانع النكاح، ولذلك لم يعده أحد من أهل المذهب على كثرتهم من الموانع، وقد قال في المدونة[7]: وإذا تزوجت المرضع المطلقة فحملت ثم أرضعت صبيًا فإنه ابن الزوج الأول والثاني إن كان لبن[8] الأول لم ينقطع، هذا كله لو افتقرنا إلى الاستدلال الذي أغنى الله عنه بقول رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام[9]: " لقد هممتُ أن أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ.. " الحديث،

---

(١) البيان والتحصيل(٥/٢٤٩)

(٢) أبو القاسم خَلف بن مَسْلَمة بن عبد الغفور الأقْلِيشي، الأندلسي المالكي، القاضي، الفقيه. ولي قضاء بلده. روى بقرطبة عن أبي عمر بن الهندي، وأبي عبد الله بن العطاء، وأخذ عنهما كتاب الوثائق من تأليفهما، وجمع كتابا سماه بالاستغناء في الفقه، رواه عنه زكرياء ابن غالب القاضي وغيره. توفي نحو سنة ٤٤٠هـ.

انظر ترجمته: ترتيب المدارك (٨/٤٩)، الصلة لابن بشكوال(١/١٦٥)، رقم: ٣٧٩، الديباج المذهب (١/٣٥١)، إيضاح المكنون (١/٧٢)، جمهرة الفقهاء المالكية (١/٤٥٥-٤٥٦)، رقم: ٣٨٤.

(٣) في ب: لما

(٤) أبو بكر محمد بن عبد الله الأبهري، العلامة، القاضي المحدِّث، شيخ المالكية، نزيل بغداد وعالمُها. ولد في حدود التِّسعِين ومئتين، تفقه على القاضي أبي عمر وابنه أبي الحسن، وأخذ عن أبي الفرج وابن بكير وغيرهم. وحدث عنه جماعة منهم إبراهيم بن مخلد والقاضي التنوخي والدارقطني وأبو بكر الباقلاني والقاضي عبد الوهاب. وله من الكتب: شرح كتاب عبد الحكم الصغير، وشرح كتاب عبد الحكم الكبير، وكتاب الأصول في الفقه، وكتاب فضل المدينة على المكة، توفي ببغداد سنة ٣٧٥هـ.

انظر ترجمته: طبقات الشيرازي (ص٦٧)، سير أعلام النبلاء (١٦/٣٣٢-٣٣٤)، رقم: ٢٤١، الديباج المذهب (٢/٢٠٦-٢١٠)، هدية العارفين (٢/٥٠)، شجرة النور الزكية (١/٩١)، رقم: ٢٠٤

(٥) البيان والتحصيل(٥/٤١٥)، عدة المطلقة التي ترضع ولا تحيض.

(٦) المدونة الكبرى (٢/١٠)، عدة النصرانية والأمة والحرة التي قد بلغت المحيض ولم تحض.

(٧) المدونة الكبرى (٢/٢٩٦)، ما جاء في رضاع الفحل .

(٨) في ب: من

(٩) في ب: بقوله صلى الله عليه وسلم.

وفسره إمام دار الهجرة والأئمة الأعلام بما قدمناه مما لايحتاج إلى مزيد كلام، على أن مسألة المفارق لا يدخلها الخلاف لوقوع الفطام واستغناء الولد عن الرضاع بالطعام، والله المسؤول أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسَنَه، ويجعلنا[1] من الذين يؤتيهم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه[2] الطيبين الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سقطت [يجعلنا] من: ب

(٢) سقطت [وأصحابه] من: ب

فهرس المصادر

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس تأليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي تحقيق: الدكتور علي عمر، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى {١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨}.
- أحكام القران لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي {ت ٥٤٣ هـ}، راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد عبد القادر عطا.منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.
- الاستذكار للإمام الحافظ ابن عبد البر {ت ٤٦٣ هـ} خرّج نصوصه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي. دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق –بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- الأعلام للإمام الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.الطبعة الخامسة عشرة سنة ٢٠٠٢م.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام أبي الفضل عياض {ت ٥٤٤هـ}، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر الطبعة الأولى {١٤١٩ هـ}.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا، عني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطي {ت ٩١١ هـ}، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية {١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م}
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة لأبي الوليد ابن رشد القرطبي {ت ٥٢٠ هـ}، تحقيق الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي.
- التاريخ الكبير لأبي عبد الله إسماعيل البخاري {ت ٢٥٦ هـ}طبع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان.
- التبصرة لأبي الحسن علي بن محمد اللخمي، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب. إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.دولة قطر.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تأليف: القاضي عياض {ت ٥٤٤ هـ}، تحقيق محمد الطنجي، طبعة وزارة الأوقاف المغربية. الطبعة الثانية {١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م}.

- تعريف الخلف برجال السلف، تأليف: أبي القاسم محمد الحفناوي، طبع بمطبعة بييرفوفتانة الشرقية في الجزائر {١٣٢٤ هـ -١٩٠٦م}.
- تفسير البغوي "معالم التنزيل" للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي {ت ٥١٦ هـ}، حقّقه وخرّج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع {١٤٠٩ هـ}.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي {ت ٧٧٤هـ}، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ -١٩٩٧ م.
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية – الهند الطبعة الأولى {١٣٢٥ هـ}.
- توشيح الديباج وحلية الابتهاج لبدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي {ت ١٠٠٨ هـ}، تحقيق الدكتور علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤ م.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنة وأي الفرقان، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي {ت ٦٧١ هـ}. تحقيق الدكتور عبد الله التركي. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦م .
- جذوة الإقتباس في ذكر من حلّمن الأعلام مدينة فاس، تأليف: أحمد ابن القاضي المكناسي {ت ١٠٢٥ هـ}، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط {١٩٧٣م}
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي {ت ٤٨٨ هـ}، الدار المصرية للتأليف والترجمة {١٩٦٦ م}
- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية للدكتور قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي - الإمارات، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الدار المنشور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي {ت ٩١١هـ}، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى القاهرة: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
- الديباج المذهب لابن فرحون، دار التراث العربي للطباعة.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تأليف شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني.

- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني {ت ٢٧٣ هـ}، حكم على أحاديثه وآثاره وعّق عليه العلامة محمد ناصر الدين الألباني .مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى.
- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني {ت ٢٧٥} اعتني به فريق بيت الأفكار الدولية.
- السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي {ت ٤٥٨ هـ}.تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.الطبعة الثالثة: ٢٠٠٣م ١٤٢٤ هـ.
- سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب {ت ٣٠٣ هـ}، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلامة محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
- سيرة أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد الذهبي {ت ٧٤٨ هـ}، خرّج أحاديثه وأشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة {١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م}
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف محمد بن محمد مخلوف.المطبعة السلفية، القاهرة {١٣٥٠ هـ}.
- شرح مشكل الآثار، تأليف الفقيه المفسر أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي {ت ٣٢١ هـ}، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى {١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م}
- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج {ت ٢٦١ هـ} دار إحياء الكتب العربية، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لأبي القاسم خلف بن عبد الملك {ت ٥٧٨ هـ}، عني بنشره، وصححه السيد عزت العطار، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي {ت ٤٧٦ هـ}، حقّقه وقدّم له الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت-لبنان.
- الطبقات الكبير لمحمد بن سعد الزهري {ت ٢٣٠ هـ}، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.
- العبر في خبر من غبرللحافظ الذهبي {ت ٧٤٨ هـ}حقّقه وضبطه محمد السعيد زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.

- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تأليف أحمد بابا التنبكتي، دراسة وتحقيق: الأستاذ محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية {١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م}.
- لسان العرب للإمام ابن منظور الإفريقي {ت ٧١١هـ} طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية سنة {١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م}.
- المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس{ت ١٧٩ هـ}، رواية الإمام سحنون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل {ت ٢٤١ هـ}، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد.مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، تأليف: عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت-لبنان.الطبعة الثانية {١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م}.
- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف ياقوت الحموي الرومي .تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.
- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان الطبراني {ت ٣٦٠ هـ}، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. الناشر: مكتبة ابن تميية.
- المعلم بفوائد مسلم للإمام المازري {ت ٥٣٦ هـ}، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات .
- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك بن أنس، الطبعة الأولى سنة ١٣٣٢ هـ، مطبعة السعادة.
- الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس {ت ١٧٩ هـ}رواية يحيى بن يحيى الليثي، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الدكتور بشَّار عواد معروف.دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية: ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م.
- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان تأليف الأمير الأندلسي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر {ت ٨٠٧ هـ}. حققه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية. مؤسسة الرسالة بيروت.الطبعة الثانية {١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م}.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن الأنباري {ت ٥٧٧ هـ}،

تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن. الطبعة الثالثة: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقَّري التلمساني، حققه الدكتور إحسان عباس. دار صادر بيروت {١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م}.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي {ت ١٠٣٦}، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس الطبعة الأولى {١٣٩٨ هـ - ١٩٨٩ م}.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف: إسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول سنة ١٩٥١م.
- وفيات الأعيان وأنباء أنباءُ الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان {ت٦٨١ هـ}، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت.
- وفيات الونشريسي لأحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، الناشر شركة نوابغ الفكر.

كتَاب بَيَان الكَسْب

من كلام

الشَّيخ الإِمَام أبِي عبد الله محمَّدُ بن عليٍّ التِّرمذيُّ الحكيم رحمَه الله

الدكتور تيسير عبد الله النَّاعِس

سوريا

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ سيِّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أوَّلًا ـ مشكلة البحث

تبدو مشكلة البحث فيما يأتي:

أ/ تحقيق وتقديم "كتاب بيان الكَسْب" للحكيم التِّرمذيِّ.

ب/ الكشف عن مصادر الحكيم التِّرمذيِّ في "كتاب بيان الكَسْب".

ثانيًا ـ أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق ما يأتي:

أ/ إحياء التُّراث الاقتصاديِّ الإسلاميِّ، وكتاب "بيان الكَسْب" هو من أوائل ما صُنِّف من مدوَّناتٍ في هذا المجال.

ب/ الكشف عن زيف دعوى أنَّ الزُّهد في الإسلام يعني ترك المكاسب، وبيان علاقة التَّبطُّل والكسل بالقيم الإسلاميَّة.

ثالثًا ـ أهمِّيَّة البحث

تظهر أهمِّيَّة البحث في كونه دراسةً تاريخيَّةً عن الأفكار والوقائع الاقتصاديَّة في عصر ازدهار الحضارة الإسلاميَّة في العصور الوسطى.

وهذا بدوره يساعد على تقديم أفكارٍ ورؤًى للوقائع الاقتصاديَّة المعاصرة الَّتي تتشابه مع ظروف الأفكار الاقتصاديَّة الماضية.

بالإضافة إلى أنَّ شهرة الحكيم التِّرمذيِّ بالزُّهد أكسبت أفكاره حول الكسب والزُّهد والبِطالة أهمِّيَّةً لا يمكن تجاوزها في مثل هذا الموضوع.

رابعًا ـ فرضيَّة البحث

يستند البحث إلى الفرضية الآتية: حاولت الدِّيانات والحركات الفكريَّة (المانويَّة والبراهمة والرَّهابنة)[1] الَّتي خبا ضوؤها مع بزوغ شمس الإسلام العودة من جديدٍ بعد زمن الخلفاء الرَّاشدين،

(١) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٢٦.

واختارت لهذا الغرض أنْ تطرح أفكارها وتغطِّيها بلبوسٍ إسلاميٍّ في أوَّل الأمر، والقول بتحريم المكاسب هو أحد تلك الأفكار الَّتي سعت إلى تسويقها بين النَّاس عبر نسبتها إلى تعاليم الإسلام.

خامسًا ـ خِطَّة البحث

يتألَّف البحث من مقدِّمةٍ، ومبحثين، وخاتمةٍ.

تضمَّنت المقدِّمة بيان مشكلة البحث وأهداف البحث وأهمِّيَّته، وفرْضيَّة البحث، وتناول المبحث الأوَّل مقدِّمة التَّحقيق، والثَّاني نصَّ المخطوط محقَّقًا، وختم البحث بالنَّتائج الَّتي توصَّل إليها.

المطلب الأوَّل

مقدِّمة التَّحقيق

تتناول مقدِّمة التَّحقيق ما يأتي:

١/ ترجمة المؤلِّف (الحكيم التِّرمذيُّ).

٢/ دراسةٌ تحليليَّةٌ لمخطوط "كتاب بيان الكَسْب".

٣/ دراسةٌ اقتصاديَّةٌ لمحتوى الكتاب.

٤/ منهج التَّحقيق.

٥/ وصف نسخة المخطوط.

٦/ صورٌ لأوَّل المخطوط وآخره.

١/ ترجمةٌ موجزةٌ للحكيم التِّرمذيِّ (ت نحو ٣٢٠هـ/ نحو ٩٣٢م)

محمَّد بن عليٍّ بن الحسن بن بِشرٍ، الحكيم التِّرمذيُّ، المحدِّث الزَّاهد، أبو عبد الله الشافعيُّ[١].

كان إمامًا من أئمة المسلمين، وله المصنَّفات الكبار في أصول الدِّين ومعاني الحديث، وقد لقي الأئمة الكبار وأخذ عنهم[٢].

وله حِكمٌ ومواعظ وجَلالةٌ، ومن كلامه: صلاح خمسة أصنافٍ في خمسة مواطن: صلاح الصِّبيان في الكُتَّاب، وصلاح الفِتْيان في العلم، وصلاح الكُهُول في المساجد، وصلاح النِّساء في البيوت، وصلاح القُطَّاع في السِّجن[٣].

وانتقل من تِرْمذ إلى بَلْخٍ لتصنيفه كتاب "خَتم الولاية" وكتاب "عِلل الشَّريعة"؛ لاتِّهامه بالبُعد عن الصِّراط المستقيم، وذهب آخرون إلى أنَّه ليس في كلامه ما يوجب ذلك، ولكن لبُعد فهمهم عنه[٤].

من مصنَّفاته: "كتاب بيان الكَسْب" في الاقتصاد، وكتاب "نوادر الأصول" في الحديث، وكتاب "شرح الصَّلاة ومقاصدها"[٥].

قال الحكيم التِّرمذيُّ: "ما صنَّفت ممَّا صنَّفت حرفًا عن تدبيرٍ، ولا لأَنْ يُنسب إليَّ شيءٌ منه، ولكن كان إذا اشتدَّ عليَّ وقتي كنت أتسلَّى بمصنَّفاتي"[٦].

قال ابن حجرٍ[٧]: "ولم أقف لهذا الرَّجل مع جلالته على ترجمةٍ شافيةٍ. والله المستعان".

٢/ دراسةٌ تحليليَّةٌ لمخطوط "كتاب بيان الكَسْب"

جاء ظهور مخطوط "كتاب بيان الكَسْب" للحكيم التِّرمذيِّ في فترةٍ شاع فيها مفهوم أنَّ الزُّهد يعني ترك المكاسب، ولا يخفى خطر تسلُّل هذا المعنى بين عامَّة المسلمين؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى هلاك الدُّنيا وخراب العالم. وبالرَّغم من أنَّ الحكيم التِّرمذيَّ سُبق بتآليف للردِّ على هذه الشائعة، مثل "كتاب الكَسْب" للإمام محمَّدٍ بن الحسن، إلَّا أنَّ ظهور "كتاب بيان الكَسْب" سدَّ ثغرةً لا يستطيع أيُّ مؤلَّفٍ أو كتابٍ آخر أنْ يسدَّها؛ لأنَّ الحكيم التِّرمذيَّ كان إمام أهل الزُّهد في زمانه، وهو الأعلم والأفقه بمفهوم

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٤٣٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٢/ ٢٤٥.
(٢) ابن حجر، لسان الميزان، ٥/ ٣٠٨.
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٦/ ٨١٥.
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٤٤١؛ ابن حجر، لسان الميزان، ٥/ ٣٠٨-٣٠٩.
(٥) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٢/ ٢٤٦.
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦/ ٨١٥-٨١٦.
(٧) ابن حجر، لسان الميزان، ٥/ ٣٠٩.

الزُّهد من أيِّ عالمٍ آخر.

فتضمَّن الكتاب عرضًا لتاريخ الأنبياء مع الكَسْب، وبخاصَّةً نبيُّنا محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم، الَّذين هم خير قُدوةٍ وأُسوةٍ لنا، وهم أزهد وأورع النَّاس، كما عرض لمكاسب بعض كبار الصَّحابة، وهم القرَّاء السَّبعون الَّذين كانوا يحتطبون بالنَّهار ويُصلُّون باللَّيل.

كما تضمَّن الكتاب مجموعةً من النُّصوص القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة في موضوع الكَسْب، ومجموعةً من الأقوال والآثار عن بعض الصَّحابة والتَّابعين في المعاش.

وقسم الحكيم التِّرمذيُّ النَّاس بالنِّسبة لطلب المكاسب إلى فئتين، الأولى الأنبياء وأهل اليقين من الصِّدِّيقين والزُّهَّاد، والثَّانية مَن دونهم. فأوجب على الفئة الأخيرة القيام والسَّعي؛ لأنَّ الله أمرنا بالابتغاء من فضل الله، وهذا يكون بالضَّرب في الأرض والكدِّ والتَّعب. أمَّا الفئة الأولى فاستوجبوا من الله إيصال المؤونة إليهم على الكفاية بلا مؤونةٍ.

هذا ما تضمَّنه الكتاب على التَّفصيل، أما ما تضمَّنه مجموع الكتاب فهو عرضه لسنَّةٍ من السُّنن الإلهيَّة في الاقتصاد، وهي الآتي: "كلُّ مَن كان من وَلَد آدم عليه السَّلام أَطْوَع لربِّه عزَّ وجلَّ وأشدَّ انقِيادًا له كانت مَؤُونة هذا المعاش عليه أيسر". وقد عرض الحكيم التِّرمذيُّ للمنهج العلميِّ الَّذي أوصله لهذه السُّنَّة، وهو استقراء حال رزق رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وكيف كان يعمل بالتِّجارة في مكَّة، ثمَّ حلَّل الله له الغنيمة الَّتي تكون بالقتال والجهاد، ثمَّ في الفيء (قذف الرُّعب) الَّذي يكون من غير حربٍ ولا قتالٍ، "فهذا أَهْنأ من الغنيمة الَّتي وقعت فيها المقاسم، وشاركت الأيدي فيها، والغَنِيمة كانت أَهْنأ من التِّجارة الَّتي كانت في مبتدأ نُبوَّته".

٢/ دراسةٌ اقتصاديَّةٌ لمُحتوى كتَاب بيان الكَسْب للحكِيم التِّرمذيِّ

عرض الحكيم التِّرمذيُّ في كتاب بيان الكَسْب لأفكار ومصطلحاتٍ اقتصاديَّةٍ عديدةٍ، وهي لا تخرج عن الموضوعات الَّتي تبحثها كتب التَّحليل الاقتصاديِّ الجزئيِّ، من الإنتاج والتَّبادل والتَّوزيع والاستهلاك.

أوَّلًا المصطلحات الاقتصاديَّة الواردة في "كتاب بيان الكَسْب"

احتوى الكتاب على مجموعة من المصطلحات الاقتصادية، وهي ما يأتي: المعاش، التَّدبير، المؤونة، النَّفقة: الإنفاق، السَّعي، الرِّزق، المكاسب: الكسب، الضَّمان، الكفاية، الطَّلب، التَّعب، الزِّراعة، المال، العِمارة، التِّجارة، العمل، الطَّمَع، السُّوق، الصِّناعة، الطيِّبات، المساكين، الاحتراف، الإجارة، رأس المال، المسألة (التَّسوُّل)، الشَّركة، الأرض، العَيْلة، البَلاغ، العَطاء، الحاجة، الشُّبهة، الأغنياء، الورع، الفقر، البيع، الشِّراء، حقُّ العِيال، صِلة الأرحام، المواساة، المعاملة، الزُّهد، الرِّبح، الثَّمن، الغنيمة، الإحراز.

ثانيًا الإنتاج

تحدَّث الحكيم التِّرمذيُّ في نظريَّة الإنتاج عمَّا يأتي:

١/ الحاجات الاقتصاديَّة: افتتح الحكيم التِّرمذيُّ كتابه بذكر أنَّ الإنسان ارتبط تكليفه بتدبير معاشه منذ نزوله على الأرض، بعد أنْ كان مقضيَّ الحاجات في الجنَّة، يأتيه رزقه دون مشقَّةٍ أو تعبٍ.

إذ يحتاج الإنسان مدَّة بقائه في الحياة الدُّنيا إلى مجموعةٍ من الحاجات الاقتصاديَّة، وهي الطَّعام والشَّراب والكُسوة والمسكن.

ويفرض تعدُّد الحاجات وتنوُّعها من جهةٍ، وعجز الإنسان عن الوفاء بكلِّ حاجاته بنفسه من جهةٍ ثانيةٍ، يفرض عليه الاجتماع والتَّعاون على توفير حاجاته الاقتصاديَّة.

وقد زُوِّد الإنسان بالعقل الَّذي يستطيع به قضاء حاجاته الاقتصاديَّة، وإذا خلا من العقل رُفع عنه هذا التَّكليف، فيحتاج القيام بتوفير الحاجات الاقتصاديَّة إلى التَّعليم والتَّدريب والرُّشد في التَّصرُّف.

٢/ الكَسْب: ذكر الحكيم التِّرمذيُّ وجوهًا عديدةً للمكاسب، من الزِّراعة والصِّناعة والتِّجارة. فلم يقصر مفهوم الإنتاج على نشاطٍ اقتصاديٍّ واحدٍ.

وأشار إلى "النَّقلان والإيصال" على أنَّها جزءٌ من النَّشاط الإنتاجيِّ، ويقصد بهذا المنافع المكانيَّة النَّاتجة عن نقل السِّلع من مكانٍ إلى آخر.

وعبَّر الحكيم التِّرمذيُّ عن مصطلح الإنتاج بـــ "العلاج"، إذ لا يستطيع الإنسان تناول الموارد الطَّبيعيَّة كما يتناولها الحيوان، فيحتاج في تناولها إلى تحويرٍ أو تغييرٍ في شكلها وخصائصها حتَّى تكون مناسبةً لبَدَنه وصِحَّته.

وقسم الحكيم التِّرمذيُّ المكاسب إلى درجتين:

الأولى: الطَّيِّبات، وهي المكاسب الحلال، أو الَّتي ورد فيها نصوصٌ أو آثارٌ تدلُّ على فضل الاكتساب بها.

والثَّانية: الشُّبهات، وهي المكاسب الَّتي لا توصف بحلٍّ ولا بحرمةٍ، والـورِع هو مَن يتجنَّب الاكتساب من هذا الباب.

٣/ الاحتراف (الصِّناعة): نال هذا الموضوع من كتاب الحكيم التِّرمذيِّ قِسطًا وافرًا، وعرض فيه لصنائع الأنبياء وأعمالهم، ووجوه معايشهم بالحِرف.

وساق الحكيم التِّرمذيُّ جملة من الأحاديث والآثار عن الاحتراف، بالإضافة إلى ما ذكره عن حِرف الأنبياء؛ ليردَّ ما شاع من مفهومٍ مغلوط حول الزُّهد في ذلك الزَّمان، والَّذي انبرى للتَّصدِّي له أشهر

الزُّهَّاد آنذاك، ويأتي الحكيم التِّرمذيُّ في مقدِّمتهم.

فلا رابط بين الزُّهد والبِطالة، ومن بابٍ أوْلى لا عروة للبِطالة في ثوب الدِّين، فالزُّهد الصحيح ما يحمل صاحبه على الموازنة في السَّعي لتحصيل المصالح الدُّنيويَّة والأخرويَّة، فلا يهمل إحداهما على حساب الأخرى.

٤/ أهداف الإنتاج: تتجاوز العمليَّة الإنتاجيَّة بأهدافها عند الحكيم التِّرمذيِّ الوفاء بحاجات العامل المنتج الحاضرة إلى الحاجات المستقبليَّة عبر الادِّخار، كما تتجاوز حاجة المنتج نفسه إلى حاجة مَن كُلِّف بالإنفاق عليهم وجوبًا أو ندْبًا.

كما تتجاوز العمليَّة الإنتاجية عند الحكيم التِّرمذيِّ حدود الحياة الدُّنيا إلى الحياة الآخرة، عبر إضفاء صفة العبادة على العمل المطابق لأحكام الشَّريعة الإسلاميَّة.

٥/ التفاضل بين العبادة والكَسْب: مهَّد الحكيم التِّرمذيُّ لهذا الموضوع بأنَّ رجلًا سأل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنْ يأذن له في المسألة، فقال له: "اذهب إلى سوق الخيَّاطين"، وحديث أبي هريرة: "مَن طلب الدُّنيا حَلالًا استعفافًا عن المسألة، وسعيًا على عياله، وتعطُّفًا على جاره، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر"، وقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه للقُرَّاء: "ولا تكونوا عِيَالًا على المسلمين".

وهذا يعني أنَّ التفاضل بين العبادة والكَسْب لا يكون في حال لجوء المشتغل بالعبادة إلى المسألة بحجَّة انشغاله بالعبادة، فهذه حالةٌ خارجةٌ عن نطاق الخلاف الفقهيِّ في مسألتنا.

ويخرج من هذا الخلاف أيضًا حالة مَن اشتغل بالعبادة وقلبه متشوِّفٌ إلى الدُّنيا والزِّيادة منها. قال الحكيم التِّرمذيُّ في شأن مَن هذا حاله: "فالواجب عليهم القيام والسَّعي".

أما الصِّدِّيقون والزَّاهدون، وهم الَّذين اطمأنوا ووثقوا بربِّهم من غير جهة الضَّمان، فانشغلوا بربِّهم عن طلب رزقهم، فوفَّى لهم بذلك، وساق لهم أرزاقهم من غير مؤونةٍ ولا طلبٍ.

وهذه المسألة تقوم في الأصل على شمول المصلحة للحيَاتين (الدُّنيا والآخرة معًا) بالنِّسبة للمؤمنين بالله واليوم الآخر، وأنَّ الزَّمن الَّذي يظهر فيه أثر المصلحة ليس محصورًا بالحياة الدُّنيا وحدها، وأشار الحكيم التِّرمذيُّ لهذا المعنى بإيراده لقول حذيفة رضي الله عنه: "خياركم مَن لم يرفض آخرته لدُنياه، ومَن لم يرفض دُنياه لآخِرته"، ومثله قول لقمان لابنه: "يا بُنيَّ، خذ من الدُّنيا أخذًا لا يضرُّ بآخرتك".

٦/ الادِّخار: في قول سلمان رضي الله عنه: "إنَّ النَّفْس إذا أحرزت رزقها اطمأنَّت" دليلٌ على مشروعيَّة الادِّخار من جانبٍ، وتحديدٌ لمفهومه في الفكر الإسلاميِّ من جانبٍ آخر.

يدلُّ قول سلمان رضي الله على وجوب الادِّخار، "فلو لم يكن الادِّخار واجبًا لما لجأ هؤلاء

الأصحاب إلى هذه التَّصرُّفات الَّتي فقهوها عن الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم"[1].

أمَّا مفهوم الادِّخار، فله معانٍ عديدةٍ، منها ما يُخصِّص معنى الادِّخار بتوجيهه إلى الاستثمار في المستقبل، وعدم إنفاقه على الاستهلاك. ومنها ما ينصُّ على أنَّ الادِّخار هو الاحتفاظ بجزءٍ من الدَّخل لوقت الحاجة[2]. وهذا التَّعريف الأخير هو الموافق لقول سلمان رضي الله عنه، فشراؤه للوَسْق كان اقتطاعًا لجزءٍ من دخله بقصد الانتفاع به عند حاجته إليه[3].

ثالثًا التَّبادل

يستند التَّبادل الاقتصاديُّ إلى الأسس الآتية:

أ ـ تقسيم العمل في مراحل العمليَّة الإنتاجيَّة.

ب ـ تحقيق فائضٍ إنتاجيٍّ يزيد على حاجة منتجه.

ج ـ احتياج كلِّ واحدٍ من العاملين إلى ما عند العاملين الآخرين من فوائض إنتاجيَّةٍ؛ نظرًا لتعدُّد الحاجات الاقتصاديَّة، وعجز الفرد الواحد عن القيام بها وحده.

فيأتي التَّبادل ليقدِّم فيه كلُّ واحدٍ من المنتجين فوائض إنتاجه مقابل حصوله على فوائض منتجات الآخرين؛ لتتحقَّق الكفاية للكلِّ بالكلِّ.

ويجري التبادل بالمعاوضات النَّقديَّة بعقود متعدِّدةٍ، كالبيع والإجارة والشَّركة، وغالبًا ما تجري المبادلات في الأسواق.

وينشأ في الأسواق متوسِّطون بين المنتجين والمستهلكين، يبيعون ويشترون بغرض الرِّبح، وهم طبقة التُّجَّار، ويُسهمون بهذا العمل في نقل السِّلع من مكانٍ إلى آخر (منفعةٌ مكانيَّةٌ)، أو من زمانٍ إلى آخر (منفعةٌ زمانيَّةٌ)، ومن ثم فهم يقومون بشعبةٍ من شعب الإنتاج.

تحدَّث الحكيم التِّرمذيُّ عن البيع والشِّراء والإجارة والسُّوق والتِّجارة والنُّقود والرِّبح، وهو ما يؤسس لنظريَّة السُّوق في الإسلام.

كانت التِّجارة والبيع والشِّراء حِرفةً لعددٍ من المرسلين، بالإضافة إلى أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم عمل بالتِّجارة قبل البعثة وهو بمكَّة، وبعد البعثة بعدما نزلت عليه الرِّسالة. وأوصى بعض السائلين عن الحِرف بممارسة التِّجارة، وقال لسائلٍ يريد ملازمة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم: "الزم سوقك".

(١) مصطفى سانو، المدخرات أحكامها وطرق تكوينها واستثمارها في الفقه الإسلامي، ص٧٨.

(٢) مصطفى سانو، المدخرات أحكامها وطرق تكوينها واستثمارها في الفقه الإسلامي، ص١٧-١٨.

(٣) مصطفى سانو، المدخرات أحكامها وطرق تكوينها واستثمارها في الفقه الإسلامي، ص٧٨.

رابعًا التَّوزيع

تحدَّث الحكيم التِّرمذيُّ عن نوعي التَّوزيع، الأوَّل التَّوزيع المبنيُّ على المعاوضة، ويعتمد على ما يُقدِّمه كلُّ عاملٍ من عوامل الإنتاج من وظيفةٍ في العمليَّة الإنتاجيَّة، ويُسمَّى التَّوزيع الوظيفيُّ، والثَّاني التَّوزيع القائم على الحاجة أو الصِّلة، ويعتمد على العلاقات الشَّخصيَّة، ويُسمَّى التَّوزيع الشَّخصيُّ.

١/ **التَّوزيع الوظيفيُّ:** ذكر الحكيم التِّرمذيُّ أنَّ عنصر العمل يستحقُّ الأجرة، وأنَّ عنصر رأس المال يستحقُّ الرِّبح.

فالعامل في عقد الإجارة يستحقُّ الأجرة على تقديمه عنصر العمل، مثلما استحقَّ عليٌّ رضي الله عنه مقابل عمله على بَلِّ المدر.

ومُقدِّم رأس المال يأخذ مقابل إشراك رأس ماله في العمليَّة الإنتاجيَّة الرِّبح، مثلما ربح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أواقي من الشِّراء من عِيرٍ قدمت المدينة.

٢/ **التَّوزيع الشَّخصيُّ:** عدَّد الحكيم التِّرمذيُّ صورًا للتَّوزيع الشَّخصيِّ كالنَّفقة على الزَّوجة والوالِدَين وأصحاب الحاجات من الأرامل والأيتام.

وتتنوَّع مصادر الموارد الماليَّة الَّتي تُغذِّي وجوه التَّوزيع الشَّخصي، فقد يكون من الدَّولة كما في خُمس الغنيمة، وقد يكون من الأفراد كالنَّفقات الواجبة على العيال، أو نفقات التَّطوُّع.

خامسًا الاستهلاك

وهو الحلقة الأخيرة والهدف النِّهائيُّ من النَّشاط الاقتصاديِّ؛ حيث يتمُّ فيه إشباع الحاجات والرَّغبات عبر الاستعمال المباشر أو غير المباشر للسِّلع والخدمات.

ذكر الحكيم التِّرمذيُّ فيما يتَّصل بموضوع الاستهلاك أنَّ على المرء السَّعي في تأمين كفايته وكفاية مَن يعول.

كما أشار الحكيم التِّرمذيُّ إلى مستويات الاستهلاك عند طائفتين من النَّاس:

١/ الأنبياء: حيث ذكر أنَّ سليمان عليه السَّلام كان يأكل خبز الشَّعير، وأنَّ موسى عليه السَّلام آجر نفسه بشِبَع بطنه وعِفَّة فرجه.

وأراد بذلك أنَّ قضاء حاجات الأنبياء لم تكن تتجاوز إلى مستوى الكماليَّات.

٢/ غير الأنبياء: ذكر الحكيم التِّرمذيُّ أنَّ سليمان عليه السَّلام كان يُطعم بني إسرائيل الخبز النَّقيَّ واللَّحم.

وقصد من ذلك أنَّه لا مانع من التَّوسُّع في قضاء الحاجات إلى مستوى الكماليَّات، لكن بشرط أنْ لا يكون الطَّلب على وجه الرِّياء والمكاثرة والمفاخرة.

٤/ منهج التَّحقيق

اتَّبع الباحث في تحقيق المخطوط المنهج الآتي:

- عزو الآيات إلى سورها، والأحاديث والآثار إلى مظانِّها.
- توضيح المفردات اللُّغويَّة الغامضة، وضبط الكلمات المشكِلة.
- ترجمةٌ للأعْلام الَّذين ورد ذكرهم في أسانيد الأحاديث الَّتي ذكرها الحكيم التِّرمذيُّ.
- لم أترجم للقمان ومريم عليهما السَّلام، كما لم أترجم للصَّحابة؛ لشهرتهم، غير عبد الله بن أبي أوفى وعُيينة بن حُصيْنٍ رضي الله عنهما.
- شرح المصطلحات الاقتصاديَّة الواردة في متن المخطوط.
- تصحيح الأخطاء الواردة في المتن، مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية.
- إضافة ما يلزم من الكلمات[1] أو الأرقام في المتن، ووضعها بين قوسين، هكذا [ ].
- التَّعليق في الحاشية بما يخدم موضوع الكَسْب حصرًا.

٥/ وصف نسخة المخطوط

- اسم المخطوط: كتاب بيان الكَسْب.
- اسم المؤلِّف: الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عليٍّ التِّرمذيِّ الحكيم رحمه الله تعالى.
- تاريخ تأليف الكتاب: بين أواخر القرن الثَّالث ومَطْلع القرن الرَّابع الهجريِّ.
- مناسبة التَّأليف: الكشف عن إحدى السُّنن الإلهيَّة في المجال الاقتصاديِّ، وهي بيان أثر الطَّاعة في تيسير وجوه المعاش.
- مصدر المخطوط: مكتبة الأسد بدمشق (المكتبة الظَّاهريَّة سابقًا).
- اسم النَّاسخ: لا يوجد ذكرٌ لاسم النَّاسخ في المخطوط.
- نوع الورق الَّذي كُتب به المخطوط: ورقٌ عاديٌّ.
- عدد أوراق المخطوط: أربعة عشر ورقةً.
- قياس الورقة: ١٣,٥ × ١٩,٥ سم.

(١) معظم الكلمات الَّتي أضفتُها للمتن أخذتُها من تحقيق الدُّكتور عبد الفتَّاح عبد الله بركة للمخطوط. فجزاه الله عنِّي خير الجزاء. نشرت تحقيق الدكتور بركة للكتاب مطبعة السَّعادة، وهو موجودٌ بصيغة (PDF) على الشَّابكة.

- عدد الأسطر في كلِّ ورقةٍ: سبعة عشر سطرًا.
- عدد الكلمات في كلِّ سطرٍ: ثماني كلماتٍ في كل سطرٍ تقريبًا.
- حالة المخطوط: جيِّدةٌ، والنَّصُّ واضحٌ.
- نوع الخطِّ الَّذي كُتب به المخطوط: كُتب بخطِّ النَّسخ، والخطُّ جيِّدٌ واضحٌ مقروءٌ، وحروفه صغيرةٌ.
- نوع المداد الَّذي كُتب به المخطوط: كُتب المخطوط بالخطِّ الأسود العاديِّ.
- المصادر والمراجع التي اعتمد عليها: القرآن الكريم وتفاسيره، والسُّنَّة النَّبويَّة، وآثارٌ نُقلت عن الصَّحابة ومَن بعدهم.
- وقد ضُبطت بعض حروف كلمات المخطوط، كما ضُبطت الكلمات المشكِلة منه بشكلٍ كاملٍ، مثل: فضَمِّنُوا، تُؤمرُونَ، طَمِعَتْ، لـمَمَاتِه.
- يبدأ المخطوط بالقول: " أمَّا شأن المعاش، فأوَّل مَن نَدَب إلى ذلك ودَبَّر له آدم عليه السَّلام..."، وينتهي بالقول: "... وأمَّا المعنى الآخر: فإنَّه إذا طلب هذا الشَّيء فاجتمع له، أمسَكه، فما كان منه رزقه فإنَّه يُيسِّر عليه الإنفاق ".

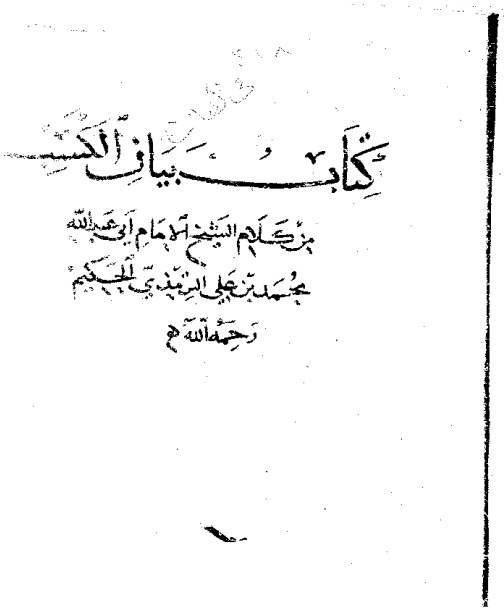

كتاب بيان الكسب

من كلام الشيخ الإمام أبي عبد الله
محمد بن علي الترمذي الحكيم
رحمه الله

صورة عنوان المخطوط

صورة اللَّقطة الأولى من المخطوط

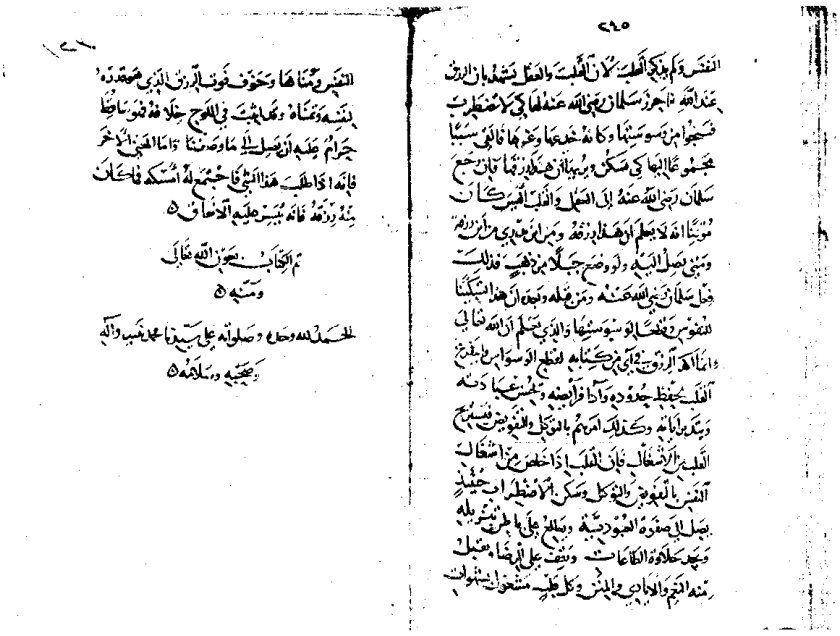

صورة اللَّقطة الأخيرة من المخطوط

المطلب الثَّاني

نصُّ "كتاب بيان الكَسْب" محقَّقًا

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

قَال أبو عبد الله، محمَّد بن عليٍّ التِّرمذيِّ، رحمه الله :

أمَّا شأن المعاش[1]، فأوَّل مَن نَدَب إلى ذلك ودَبَّر[2] له آدم عليه السَّلام[3]؛ وذلك أنَّه حُذِّر من إبليس حين أُدخِل الجنَّة، فأُعطِي في الجنَّة أربعًا، وقيل له: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه: ١١٧-١١٩]، فأُعطِي هذه الأربع في الجنَّة: الطَّعام والشَّراب والكُسْوة والمسكن، ورُفِع عنه مَؤُونتهن[4]، وقيل له: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه: ١١٧] بطلب هذه الأربعة؛ أي: تتعب، وإنَّما هي شَقَاوة البَدَن.

ومن ههنا[5] استدللنا أنَّ نفقة[6] المرأة على الزَّوج واجبةٌ، وهي هذه الأربعة، فإنَّه أضاف العَداوَة من إبليس لهما، وكذلك الإخراج من الجنَّة. والشَّقاوة في طلب المعاش أضافه إلى آدم صلَّى الله عليه وسلَّم، فدلَّ إفراد ذِكره للشَّقاوة أنَّ السَّعي على الزَّوج، ثمَّ نطق الكتاب في شريعة هذه الأُمَّة بوجوبها

(١) المعاش: "وهو كلُّ ما يُعاش به من المطعم والمشرب، وغير ذلك". القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢/ ٨.

(٢) التدبير: "هو إجراء أموره على الصَّواب". التكريتي "تحقيق"، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك، ص١٥٠. وسوء التدبير: "هو أنْ يُنفق في غير ضرورةٍ، ويُهمل الأهمَّ من أموره". التكريتي "تحقيق"، الفلسفة السياسية، ص١٥٢.

(٣) أخرج الحاكم في "المستدرك على الصحيحين"، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: " أحدِّثك عن آدم أنَّه كان عبدًا حرَّاثًا"، ٢/ ٦٥٢، رقم (٤١٦٥)؛ وذكر السرخسي أنَّه ورد في الآثار "أنَّ آدم عليه الصَّلاة والسَّلام لَمَّا أُهبِط إلى الأرض، أتاه جبريل عليه السَّلام بالحِنطة، وأمره بأنْ يزرعها، فزرعها وسقاها وحصدها وداسها وطحنها وخبزها". أبو غدة "اعتنى به"، كتاب الكسب، ص٧٥.

(٤) المَؤونة: التَّعب والشِّدَّة. ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٣٩٦؛ "ومان الرَّجل أهْله يمونُهم مَونًا ومَؤونةً: كفاهم وأنفق عليهم وعالهم". لسان العرب، ١٣/ ٤٢٥.

(٥) في الأصل: "هاهنا".

(٦) النَّفقة: "هو صرف المال إلى وجوه المصالح، فلذلك لا يُقال في المضيِّع: إنَّه منفقٌ". الرازي، مفاتيح الغيب، ٥/ ٢٩٤. وقسم الرازي الإنفاق إلى واجبٍ ونافلةٍ، والواجب قسمان: قسمٌ وجب بإلزام الشَّرع ابتداءً، كإخراج الزَّكاة الواجبة، وإخراج النَّفقات الواجبة، وقسمٌ لم يجب إلَّا إذا التزمه العبد من عند نفسه مثل النُّذور. مفاتيح الغيب، ١٦/ ١٠٦.

على الأزواج[1].

[١/ أ] فلمَّا أُخرِج من الجنَّة ابتُلي بهذه الشِّقْوة، فتعِبَت ذُرِّيَّته فيها أيَّام الحياة[2]. فكلُّ مَن كان من وَلَد آدم عليه السَّلام أَطْوَع لربِّه عزَّ وجلَّ وأشدَّ انقِيادًا له كانت مَؤُونة هذا المعاش عليه أيسر، كما كان آدم عليه السَّلام، لمْ يُبتَلَ[3] بطلب المعيشة إلَّا بعد ترك الطَّاعة[4].

ورَوى مُسلم بن جُبيرٍ[5]، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "إنَّ لله ملائكةً مُوكَّلين بأرزاق بني آدم، قد علموا أرزاقهم على درجاتهم، ثمَّ قال لهم: أيَّما عبدٍ من عبادي جعل همَّه همًّا واحدًا فضَمِّنُوا رزقه السَّموات والأرض وبني آدم، وأيَّما عبدٍ طلبه فأعطوه من حيث أراد، فإنْ تحرَّى مكاسِبه بالعدل فطيِّبُوا له رزقه بعَدلٍ، وإنْ تعدَّى إلى الحرام فأخذ من هواه [فأعطوه] إلى غاية درجته الَّتي ليس له فوقها، ثمَّ حَوِّلُوا بينه وبين سائر الدُّنيا. ولا يأخذ من حلالها وحرامها فوق الدَّرجة الَّتي كُتبت له"[6].

---

(١) ليس في هذا الحكم تفضيلٌ أو مزيَّةٌ للرَّجل أو للمرأة، وإنَّما هو من باب التَّكليف اللَّائق بكلِّ واحدٍ منهما، قال علاء الدِّين البخاريُّ: "... وليس للأمِّ قوَّة كسب الكفايات في أصل الجِبلَّة". كشف الأسرار، ٢/ ٣٥٨.

قال عزُّ الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام: "فأوجب الله لكلِّ واحدٍ منهما ما يليق بحاله، إذ لا قدرة للنِّساء في الغالب على اكتساب الكسوة والنَّفقة وتحصيل المسكن وماعون الدَّار"، القواعد الكبرى الموسوم بـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ص٣٦١؛ وقال الشَّاطبيُّ: "الرَّجل والمرأة مستويان في أصل التَّكليف على الجملة، ومفترقان بالتَّكليف اللَّائق بكلِّ واحدٍ منهما". الموافقات، ٤/ ٦٣؛ وفصَّل ابن النفيس هذا المعنى قائلًا: "ولـمَّا كان الرِّجال أقْدر على كسب المال، والنِّساء أقوم بتدبير المنزل، وجب أنْ تكون النَّفقة على الزَّوج، وعلى المرأة الإقامة بمنزل الزَّوج". الرسالة الكاملية في السيرة النبوية، ص٢٠٩.

ـ فلهذا الحكم الشرعي معنًى اقتصاديٌّ وهو تقسيم العمل بحسب الجنس (الذَّكر والأنثى).

(٢) وهذا يعني أنَّ الإنسان وحده كُلِّف بين الحيوانات الأخرى بتدبير عيشه، فخُلق محتاجًا للتَّمدُّن والتَّعاون على قضاء الحاجات الكثيرة، أما بقية الحيوانات الأخر فكُفِيت بالإلهام والطَّبع عمَّا ابتُلي به الإنسان بالعقل، فتُعِدُّ مصالحها من غير تدبيرٍ، ولا تحتاج في القيام بحاجاتها إلى الاجتماع، فكلُّ واحدٍ منها مكتفٍ بنفسه في حياته الَّتي قدِّرت له.

(٣) في الأصل: "يُبتلى".

(٤) عرض الحكيم التِّرمذيُّ لهذه الأفكار في كتابه "نوادر الأصول في أحاديث الرسول"، ٤/ ٢١٠-٢١١.

(٥) مجهول، لم أقف له على ترجمة.

(٦) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، بلفظ: "مَن جعل الهموم همًّا واحدًا، همَّ المعاد، كفاه الله همَّ دنياه، ومَن تشعَّبت به الهموم في أحوال الدُّنيا، لم يبالِ الله في أيِّ أوديته هلك"، ١/ ٩٥، رقم (٢٧٥).

وأخرجه الحكيم التِّرمذيُّ في "نوادر الأصول" أيضًا، بلفظ: "إنَّ لله ملائكةً موكَّلين بأرزاق بني آدم، ثمَّ قال لهم: أيَّما عبدٍ وجدتموه جعل الهمَّ همًّا واحدًا فضمِّنوا رزقه السَّموات والأرض والطَّير وبني آدم، وأيَّما عبدٍ وجدتموه طلبه فإنْ تحرَّى العدل فطيِّبوا له ويسِّروا، وإنْ تعدَّى إلى غير ذلك فخلُّوا بينه وبين ما يريد، ثمَّ لا ينال فوق الدَّرجة الَّتي كتبتها له". ٤/ ١٣٧.

وعن زيد بن أسْلَم[1]، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَن تفرَّغ لعبادة ربِّه ضَمِن رزقه السَّموات والأرض والطَّير وبني آدم"[2].

والتَّفرُّغ [١/ ب] لعبادة الله تعالى هو الَّذي ذكره في الحديث من قوله: "إذا وجدتُّموه جعل الهمَّ همًّا واحدًا"، فهذا عبدٌ قد سقط عنه هَمُّ نَفْسه، فصار عارمًا لعبادة ربِّه، مُشتغلًا بربِّه في عبادته. وضمنوا رزقه[3] في السَّموات والأرض؛ فالسَّماء تُمطِر، والأرض تُنبِت[4]. وبنو آدم تكفي مَؤُونة العلاج والنَّقلان والإيصال. هذا لِمَن اشتغل بربِّه في عبادته وذهَل عن نَفْسه، فاستوجب من الله إيصاله إليه على الكِفَاية[5] بلا مَؤُونةٍ، وهؤلاء [هم] الصِّدِّيقون[6].

وقد أنبَأ الله عزَّ وجلَّ عن الصِّدِّيقة مريم عليها السَّلام لَمَّا صارت مُحرَّرةً من أمور الدُّنيا فارغةً للعبادة [فقال: (كُلَّمَا] دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) إلى قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧]، من غير أنْ تحتسب[7] من مكانٍ معلومٍ[8]. فإذا كان هذا للصِّدِّيقة في الكتاب، فالصِّدِّيقون من الرِّجال أَحْرى أنْ يُرزقُوا هكذا. فإنْ كان رزق مريم عليها السَّلام نقلته الملائكة

---

(١) زيد بن أسْلم: العدويُّ، المدنيُّ، الفقيه، المفسِّر، روى عن أبي هريرة وابن عمر وجابر، وروى عنه أولاده والإمام مالكٍ وابن جريجٍ، وثَّقه الإمام أحمد وابن سعدٍ وغيرهم، ورُوي عن يحيى بن معينٍ أنَّه لم يسمع من أبي هريرة وجابر. مات سنة /١٣٦هـ/، وقيل غير ذلك. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١/ ٣٩٥-٣٩٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، بلفظ: "يا ابن آدم، تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنًى، وأسدُّ فقرك، وإنْ لم تفعل ملأت صدرك شُغلًا، ولم أسدَّ فقرك". ٢/ ١٣٧٦، رقم (٤١٠٧)؛ وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" بلفظ: "مَن غدا إلى المسجد وراح، أعْزم الله السَّماء والأرض رزقه"، ١/ ٥٢١، رقم (١٩٩٦).

(٣) عرَّف أبو الحسين البصري الرِّزق قائلًا: "الرِّزق هو تمكين الحيوان من الانتفاع بالشَّيء، والحظر على غيره أنْ يمنعه من الانتفاع به". الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ٢٧٥. وعرَّفه الشوكاني بأنَّه: "ما صلَح للانتفاع به حلالًا كان أو حرامًا، خلافًا للمعتزلة، فقالوا: إنَّ الحرام ليس برزقٍ". الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٤٢.

(٤) بيَّن الرازي معنى ذلك قائلًا: "أمَّا الرِّزق فإنَّه إنَّما يحصل من السَّماء والأرض: أمَّا من السَّماء فبنزول الأمطار الموافقة. وأمَّا من الأرض؛ فلأنَّ الغذاء إمَّا أنْ يكون نباتًا أو حيوانًا، أمَّا النَّبات فلا ينبت إلَّا من الأرض، وأمَّا الحيوان فهو محتاجٌ أيضًا إلى الغذاء، ولا يمكن أنْ يكون غذاء كلِّ حيوانٍ حيوانًا آخر، وإلَّا لزم الذَّهاب إلى ما لا نهاية له، وذلك مُحالٌ. فثبت أنَّ أغذية الحيوانات يجب انتهاؤها إلى النَّبات، وثبت أنَّ تولُّد النَّبات من الأرض، فلزم القطع بأنَّ الأرزاق لا تحصل إلَّا من السَّماء والأرض". مفاتيح الغيب، ١٧/ ٢٤٧.

(٥) الكِفَاية (البَلَاغ، والغَنَاء، والحاجة): "هو سدُّ الخَلَّة، والقيام بالأمر، يُقال: كفاه أمر كذا إذا سدَّ خَلَّته". الرازي، مفاتيح الغيب، ٨/ ٣٥٢.

(٦) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ٢/ ٣٣٢.

(٧) قال الحكيم التِّرمذيُّ: "ومحسبة الرِّزق مظانُّه ومعادنه وأسبابه الَّتي تعلَّقت قلوب الخلْق بها". نوادر الأصول، ٢، ٨٣.

(٨) قال الحكيم التِّرمذيُّ: "وكذلك رزق مريم رضي الله عنها ... فقد علم النَّاس أرزاقهم من مظانِّها: من السُّوق، ومن الكدْح، ومن الكَرَم، ومن الكَيْس، ومن أيدي الخلْق، فرُزقت على وجه التَّدبير المختصِّ ممَّا لم تمسُّه أيدي العالمين". نوادر الأصول، ١/ ٣٢٨-٣٢٩.

إليها، جاز أنْ ينقل بنو آدم أرزاق الصِّدِّيقين إليهم، والمؤمنون أكرم على الله عزَّ وجلَّ من الملائكة. [٢/ أ] وكانت مريم عليها السَّلام ممَّن تطلب المعاش مع هذا وتَغْزل، ويأكل عيسى صلوات الله عليهما من غزْلِها(١).

وعن مجاهدٍ(٢) رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢]، قال: كدُّ المِغْزل.

فهذه سنَّةٌ(٣) في وَلَد آدم عليه السَّلام: أطْوعهم له أيسرهم مَؤُونةً في طلب المعاش(٤)؛ لأنَّ الأطْوع هو صاحب اليقين(٥) والتَّقوى. ومُطِيع الله تيسير الله، ألَا ترى إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨﴾ [الأعلى: ٨]، وإنَّما هو تيسير البَدَن أنْ يأخذ رزقه من وجْه الرَّاحة قلَّ أو كثُر.

وقد كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يجوع اليوم واليومين، فكذلك كان رزقه في التَّقدير في اللَّوح، ولكن في يُسرٍ وراحةٍ وعافيةٍ، وكذلك الصِّدِّيقون من بعده.

وإنَّما التَّعب والـمَؤُونة من الحرص(٦) وخوف الفَوْت وسوء الظَّنِّ، فعمل هذا على القلب أثقل من كلِّ ثقيلٍ، وبَدَنه ممَّا جُعِل على قلبه في تعَبٍ ونَصَبٍ وعَنَاءٍ(٧).

فصاحب اليقين في رَوْحٍ ورَاحةٍ، أمَّا رَوْحه فإنَّه يأخذ من تدبير العرش وهو في نعيمٍ ولذَّةٍ، وأمَّا رَاحَته فلأنَّه بالَّذي في [٢/ ب] ضمان ربِّه أوثق من الَّذي صار في يده(٨).

---

(١) أخرج الحاكم في "المستدرك"، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: " وأخبرك عن حوَّاء أنَّها كانت تغزل الشَّعر فتحوِّله بيدها فتكسو نفسها وولدها، وأنَّ مريم بنت عمران كانت تصنع ذلك"، ٢/ ٦٥٢، رقم (٤١٦٥)؛ وقال السرخسي: "وعيسى عليه السَّلام كان يأكل من غزْل أُمِّه، وربَّما كان يلتقِط السُّنبُلة، فيأكل من ذلك، وهو نوع اكتسابٍ". أبو غدة "اعتنى به"، كتاب الكسب، ص٧٨.

(٢) مجاهد بن جبْرٍ: أبو الحجَّاج المكِّي، شيخ القرَّاء والمفسِّرين، أخذ القرآن والتَّفسير والفقه عن ابن عبَّاسٍ، وروى عنه عِكرمة وطاووسٌ وغيرهم، "وأجمعت الأمَّة على إمامة مجاهد والاحتجاج به"، مات سنة ١٠٤/هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤٤٩-٤٥٧؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٣/ ٤٣٩-٤٤٠.

(٣) السُّنَّة: "الطَّريقة المستقيمة، والمثال المتَّبع". الرازي، مفاتيح الغيب، ٩/ ٣٦٩.

(٤) يسجِّل للحكيم التِّرمذيِّ إحراز قصب السَّبق في الإشارة إلى ما يُعرف بالسُّنن الإلهيَّة في الميدان الاقتصاديِّ. وللباحث يوسف إبراهيم يوسف بحثٌ علميٌّ محكَّمٌ بعنوان: "السُّنن الإلهيَّة في الميدان الاقتصاديِّ". نشرته حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية/ جامعة قطر، العدد (١٤) لعام ١٩٩٦م.

(٥) أهل اليقين: "هم الأنبياء والأولياء عليهم السَّلام". الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ١/ ٩٨.

(٦) الحِرص: "هو الانكباب على الأشياء، والمبالغة في تحصيلها". التكريتي "تحقيق"، الفلسفة السياسية، ص١٢٢. وقال الحكيم التِّرمذيُّ: "والحرص محتاجٌ إليه الآدميُّ، ولكن بقدرٍ معلومٍ، فإذا لم يكن لحرصه وثَاقٌ تعدَّى القدْر الَّذي يحتاج إليه، فأفسد". نوادر الأصول، ٤/ ٢١٢.

(٧) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ١/ ١٠٣- ١٠٤.

(٨) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ١/ ٢٩٤.

عن أبي أمامة، قال: جاء رجلٌ من الأنصار، فقال: "يا رسول الله، إنَّ فلانًا **زكَا** زرعه، **وربَا** العام، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: وما ذاك؟ ركعتان خفيفتان يركعهما العبد خيرٌ له من الدُّنيا وما فيها، ثمَّ أكبَّ على أبي بكرٍ رضي الله عنه بكلمةٍ يُخفِيها، فقال: لو أنَّكم تفعلون ما تُؤمَرون لأكلتُم غير زارعين ولا أشقياء"[1]، هذا كان جوابًا لذلك الرَّجل، فخاطَب بها أبا بكرٍ رضي الله عنه يُخفِيها عن العامِّيِّ؛ لأنَّ مثل هذا الكلام كان يفهمه عنه أبو بكرٍ رضي الله عنه.

كان أبو بكرٍ رضي الله عنه يكْسِب[2] المال[3] لإطفاء فتن النُّفوس، ولتقوية الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، وعِمارة[4] الإسلام، وتعزيز الدِّين[5].

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ٨/ ٢٠٩، رقم (٧٨٤٣).

(٢) للكسب تعريفان نقلهما الماوردي، فقال: "وفي الكَسْب وجهان محتملان: أحدهما ما حدث من المال المستفاد. والثَّاني ما استقرَّ عليه الملك من قديمٍ وحادثٍ". النكت والعيون، ١/ ٣٤٢.

فاستثنى التَّعريف الأوَّل من المكاسب المال الموروث، وهو ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني، فقال: "وتخصيص المكتسَب دون الموروث؛ لأنَّ الإنسان ممَّا يكتسبه أضنُّ منه ممَّا يرثه". تفسير الراغب الأصفهاني، ١/ ٥٦٣.

ودخل في التَّعريف الثَّاني المال الموروث، وهو ما ذهب إليه القرطبي؛ لأنه مكسوبٌ للموروث عنه. ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ٤/ ٤٠٩.

(٣) قال الإمام الشافعي: "ولا يقع اسم مالٍ إلَّا على ما له قيمةٌ يُباع بها، وتكون إذا استهلكها مستهلكٌ أدَّى قيمتها وإنْ قلَّت، وما لا يطْرَحه النَّاس من أموالهم مثل الفَلْس، وما أشبه ذلك، الَّذي يطْرَحونه". الأم، ٥/ ١٧١.

(٤) شرح مِسكَوَيه مفهوم العمارة، فقال: "ثمَّ إنَّ المدينة لها حالٌ تُسمَّى بالأولى عمارةً، وبالإضافة إلى الأولى خرابًا. فأمَّا حال عمارتها فإنَّما يتمُّ بكثرة الأعوان، وانتشار العدْل بينهم بقوَّة السُّلطان الَّذي يُنظِّم أحوالهم، ويحفظ مراتبهم، ويرفع الغوائل عنهم. وأعني بكثرة الأعوان تعاون الأيدي والنِّيَّات بالأعمال الكثيرة الَّتي بعضها ضروريَّةٌ في قِوَام العيش، وبعضها نافعةٌ في حسن الحال في العيش، وبعضها نافعةٌ في تزيين العيش، فإنَّ اجتماع هذه هي العمارة. فأمَّا إذا فات المدينة واحدةٌ من هذه الثَّلاث فإنَّها خرابٌ". الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٥) قال الحكيم التِّرمذيُّ: "وفي سَعة الرِّزق قوَّةٌ عظيمةٌ على الدِّين". الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ٢/ ٣٣٥.

[حدَّثنا] ابن وكِيعٍ[1]، عن أبيه[2]، عن زَمْعة بن صالحٍ[3]، عن الزُّهريِّ[4]، عن عبد الله بن وهْبٍ بن زَمْعة[5]، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها: "أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه خرج إلى تجارةٍ إلى بُصرى قبل موت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعامٍ"[6]؛ لأنَّ استعماله بالكَسْب عن لُزوم رسول الله صلَّى [٣/ أ] الله عليه وسلَّم.

عن جريرٍ[7]، عن مغيرة[8]، قال: "كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يعمل في مال أبي بكرٍ رضي الله عنه كما كان يعمل في مال نفسه"[9]، فلا تتوهَّم على الصِّدِّيق رضي الله عنه أنَّه كان يكْتسِب لمعالجة النَّفس وتطييبها في شأن الرِّزق كأهْل ضعف اليقين.

وطلب المعاش رحمةً للنَّاس لتستكين نفوسهم إلى الوقت الَّذي تصل إليهم؛ وذلك أنَّ النَّفس إذا

---

(١) سفيان بن وكيع: الكوفيِّ، روى عن أبيه ويحيى بن القطَّان، وروى عنه التِّرمذيُّ وابن ماجه، قال البخاريُّ: يتكلَّمون فيه لأشياء لقَّنُوه إيَّاها. مات سنة /٢٤٧هـ/. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ١٧٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ١٢٣-١٢٥.

(٢) وكيع بن الجرَّاح: أبو سفيان الرُّؤَاسيِّ، الفقيه، محدِّث العراق، ومن الأئمة الحفَّاظ، روى عن زمعة بن صالحٍ والإمام مالكٍ، وروى عنه أبناؤه سفيان ومليحٍ وشيخه سفيان الثَّوريُّ، وثَّقه الإمام أحمد ويحيى بن معينٍ، وقال عليُّ بن المدينيِّ: كان وكيعٌ يلحَن. ولد سنة /١٢٨هـ/، وتوفِّي سنة /١٩٦هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ١٤٠-١٦٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١١/ ١٢٣-١٣١.

(٣) زَمْعَة بن صالحٍ: يمانيُّ الأصل نزيل مكَّة، روى عن الزُّهريِّ وعمرو بن دينارٍ، وروى عنه وكيعٌ وأبو نُعيمٍ، ضعيف الحديث، وقال النَّسائيُّ: "ليس بالقويِّ، كثير الغلط عن الزُّهريِّ". الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ٨١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/ ٣٣٨-٣٣٩.

(٤) محمَّد بن مسلمِ بن عبيد الله: أبو بكرٍ، القُرشيُّ، الزُّهريُّ، المدنيُّ، نزيل الشام، روى عن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وخلقٍ كثير، وروى عنه عطاء بن أبي رباحٍ والإمام مالك بن أنسٍ، ثقةٌ كثير الحديث، له مراسيل، وكان يدلِّس في النَّادر. ولد سنة /٥١هـ/، وتوفِّي سنة /١٢٤هـ/، وقيل غير ذلك. محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/ ٣٤٨-٣٥٧؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ٤٠؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٤٤٥-٤٥١.

(٥) عبد الله بن وهبِ بن زمعة: الأسديُّ، روى عن أمِّ سلمة وعثمان بن عفَّانٍ، وروى عنه الزُّهريُّ وهاشم بن هاشمٍ. ثقةٌ. الذهبي، الكاشف في معرفة مَن له رواية في الكتب الستة، ١/ ٦٠٦؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٦/ ٧٠-٧١.

(٦) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، ٢/ ١٢٢٥، رقم (٣٧١٩).

(٧) جرير بن عبد الحميد بن يزيد: أبو عبد الله، القاضي، نشأ بالكوفة ونزل الرَّيَّ، روى عن مُغيرة بن مِقسمٍ وعطاء بن السائب، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبلٍ ويحيى بن معينٍ. وثَّقه النَّسائي والحاكم وغيرهما، وقال أبو حاتمٍ: صدوقٌ. ولد سنة /١١٠هـ/ وتوفِّي سنة /١٨٨هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٩-١٨؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ١/ ٣٩٤-٣٩٥؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢/ ٧٥-٧٧.

(٨) مغيرة بن مِقسم: أبو هشامٍ الضَّبِّيُّ، الكوفيُّ، روى عن مجاهد والشَّعبيُّ، وروى عنه جرير بن عبد الحميد وشُعبة. ثقةٌ. مات سنة /١٣٣هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ١٠-١٣؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ١٦٥-١٦٦.

(٩) أخرجه ابن بطة في "الإبانة الكبرى"، ٩/ ٦٥٣، رقم (١٧٤).

احتاجت طمِعت[1] إلى مَن في يده الفضل، فإذا منَع وجد على المانع وَجْدًا شديدًا، وليس له من اليقين ما يرجع إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُقدِّر له، فيكون ذلك المنع فتنةً عليه، فمنه تعوَّذ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم؛ حيث قال: "أعوذ بالله من طَمَعٍ يَهدي إلى طَبعٍ"[2]؛ لأنَّه إذا حصل المنع ولا يرى أنَّ هذا المنع من الله، يجد قلبُه على أخيه، فيطبع على قلبه؛ لأنَّه يَغلُّ قلبُه على أخيه حتَّى يُعاديه، فعلم الله سبحانه هذا الضَّرر في ذلك، فوضع لهم أبواب المعاش ووجوه المكاسب[3].

وبعث الله عزَّ وجلَّ المرسلين آيةً للخلْق[4]، فرُوي لنا في الخبر[5]:

أنَّ إدريس عليه [٣/ ب] السَّلام كان خيَّاطًا.

وكان نوحٌ صلَّى الله عليه وسلَّم نجَّارًا.

وهُودٌ صلَّى الله عليه وسلم عربيًّا تاجرًا.

وصالحٌ صلَّى الله عليه وسلَّم عربيًّا تاجرًا.

وشعيبًا صلوات الله عليهم أجمعين عربيًّا تاجرًا.

وموسى صلَّى الله عليه وسلَّم راعيًا.

وداوُد صلوات الله عليه وسلامه زرَّادًا.

وكانت مريم تَغْزل الشَّعر والصُّوف، وتكسو[6] نَفْسها وعيسى صلوات الله عليهما.

وكانت حوَّاء عليها السَّلام تَغْزل الشَّعر والصُّوف وتنسِجه.

وكان نبيُّنا صلَّى الله عليه وسلَّم راعيًا[7].

ويُحقِّق هذه الأخبار من فعلِهم ما نطق به الكتاب، وذلك أنَّ المشركين عيَّروا رسول الله صلَّى الله

(١) الطَّمع: "ارتقاب المحبوب، نحو لعلَّك تُعطينا". التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/ ٤١٥. وذهب الراغب الأصفهاني إلى أنَّ الطَّمع يُقارب الرَّجاء والأمل، لكنَّ الطَّمع أكثر ما يُقال فيما يقتضيه الهوى، والأمل والرَّجاء قد يكونان فيما يقتضيه الفِكر والرَّويَّة. وبناءً على ذلك، عرَّف الراغب الطَّمع بأنَّه "نزوع النَّفس إلى الشَّيء شهوةً له". تفسير الراغب الأصفهاني، ١/ ٢٣٥، ومفردات ألفاظ القرآن، ص٥٢٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٣٦/ ٣٥١، رقم (٢٢٠٢١).

(٣) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ٤/ ١٥-١٦.

(٤) قال السرخسي: "ثمَّ الكَسْب طريق المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وقد أُمرنا بالتَّمسُّك بهم والاقتداء بهديهم، قال الله تعالى ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]". أبو غدة "اعتنى به"، كتاب الكسب، ص٧٤.

(٥) أخرجه الحاكم في "المستدرك"، ٢/ ٦٥٢، رقم (٤١٦٥).

(٦) في الأصل: "وتكسوا".

(٧) أخرجه البخاري في "الجامع المسند الصحيح"، ٣/ ٨٨، رقم (٢٢٦٢).

عليه وسلَّم في طلبه المعاش وتجارته[1] في أوَّل نبوَّته، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۷ ﴾؛ أي: مَالَه يلتمس المعيشة؟![2] ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۷ ﴾ [الفرقان: ٧]، وقال في آيةٍ أخرى جوابًا لهم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۲۰ ﴾ [الفرقان: ٢٠]؛ أي: إنَّهم يبتغون من الله يطلبون المعاش[3]، [٤/ أ] يُخْبر عن رسولنا وعنهم صلوات الله عليهم أجمعين أنَّ هذا من فعلهم[4]، ولم يكونوا يتعجَّبون من مشيه في الأسواق[5] لولا أنَّه لطلب المعاش.

فإنْ قلتَ: مشى لإبلاغ الرِّسالة.

[قلتُ]: فما معنى تعجُّبهم من ذلك؟ و[ما معنى] ذكر الكنوز والجنَّة الَّتي يأكل منها؟ وقد فسَّر أهل التَّفسير هذه الآية على تأويل طلب المعاش، ثمَّ ما جاءت به الأخبار عن الرُّسل وعن رسولنا صلَّى الله عليه [وعليهم] وسلَّم.

[عن] ثورٍ[6]، عن خالد بن مَعْدَان[7]، عن المقدام، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "ما من طعامٍ يأكله ابن آدم أحبَّ إلى الله من كَسْب الرَّجل بيده، وإنَّ أخي داوُد كان يأكل من كَسْب يده"[8].

وعن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: "أفضل كَسْب الرَّجل كَسْب يد العامل إذا

---

(١) التِّجارة: "هي الاسترباح بالبيع والشِّراء". الوصابي، البركة في فضل السَّعي والحركة، ص٢٠٢، أو هي "تقليب المال لغرض الرِّبح". الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ٦/ ٢٥٩.

(٢) قال الواحدي : "أنكروا أنْ يكون الرَّسول بشرًا يأكل الطَّعام ويمشي في الطَّريق كما يمشي سائر النَّاس، يطلب المعيشة". الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ٣/ ٣٣٤-٣٣٥.

(٣) قال القرطبي : "قال العلماء: أي يتَّجِرون ويحترفون". الجامع لأحكام القرآن، ١٥/ ٣٨٤؛ وقال ابن كثير: "يقول تعالى مُخبرًا عن جميع مَن بعثه من الرُّسل المتقدِّمين: إنَّهم كانوا يأكلون الطَّعام ويحتاجون إلى التَّغذِّي به، ويمشون في الأسواق للتَّكسُّب والتِّجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم ومنصِبهم". تفسير القرآن العظيم، ٦/ ٩١.

(٤) قال الحكيم التِّرمذيُّ: "أهل اليقين لا تضرُّهم الأسباب ... يمضون عليها، فيحترزون ويتداوون ويحترفون ويحتالون؛ لأنَّه تدبير الله تعالى، كذا دبَّر لعباده أنْ يُجري أمورهم على الأسباب امتحانًا منه لهم". نوادر الأصول، ١/ ٩٨.

(٥) المراد بالمشي في السُّوق: الاكتساب بمباشرة البيع والشِّراء، الَّذي يكون في السُّوق غالبًا.

(٦) ثور بن يزيدَ: أبو يزيد الكَلَاعيُّ، أبو خالدٍ الحِمْصيُّ، المحدِّث، الفقيه، روى عن خالد بن مَعْدان والزُّهريُّ، وروى عنه سفيان الثَّوريُّ ويحيى بن سعيدٍ القطَّان. ثقةٌ. مات سنة /١٥٣هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٣٤٤-٣٤٥؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢/ ٣٣-٣٥.

(٧) خالد بن مَعْدان: أبو عبد الله الكَلَاعيُّ، الحِمْصيُّ، شيخ أهل الشَّام، روى عن المقدام بن مَعْدِي كَرِبٍ وأبي هريرة، وروى عنه ثور بن يزيد وحسَّان بن عطيَّة. ثقةٌ. مات سنة /١٠٣هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٥٣٦-٥٤١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/ ١١٨-١٢٠.

(٨) أخرجه البخاري في "الجامع المسند الصحيح"، ٣/ ٥٧، رقم (٢٠٧٢).

نصَح"[1].

وعن مالك بن دينارٍ[2] قرأ في التَّوراة: إنَّ الَّذي يعمل بيده فيأكل، طُوبى لمحياه، طُوبى لمماته[3].

وعن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قَال لنسائه: "خيركُنَّ أطولكُنَّ يَدَيْن"[4].

وفي روايةٍ أخرى: "أَغْزلكُنَّ"[5]، وكان غَزْلهنَّ الصُّوف.

وفي روايةٍ: "إنَّما أعني أصنعكُنَّ يدًا"[6].

وعن أنسٍ، قال: [٤/ ب] قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "نِعْم لهو الحرَّة المؤمنة المغْزَل"[7].

وعن محمَّدٍ بن خالدٍ الضَّبِّيِّ[8]، قال: مرَّ إبراهيم[9] رحمه الله على امرأةٍ يقال لها أمَّ بكرٍ، فسلَّم، فردَّت وهي جالسةٌ وفي يدها مِغْزلٌ، فقال لها إبراهيم: يرحمُك الله، أمَا كبرت؟ قالت: بلى، قال: أمَا آن لك أنْ تضعين هذا المِغْزل؟ قالت: وكيف أضعه وقد سمعت عليَّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه يقول: هي من طيِّبات[10] الكَسْب.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده"، ١٤/ ١٣٦، رقم (٨٤١٢) .

(٢) مالك بن دينارٍ: أبو يحيى البَصريُّ، الزَّاهد، يعتمد في معاشه على كتابة المصاحف بالأجرة، روى عن أنس بن مالكٍ والحسن البَصريُّ، وروى عنه سعيد بن أبي عَروبة وأخوه عثمان. صدوقٌ. مات سنة /١٣٠هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣٦٢-٣٦٥؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٠/ ١٤-١٥.

(٣) أورد هذا الأثر ابن أبي الدنيا في كتاب "إصلاح المال"، ص٩٤.

(٤) متفق عليه: البخاري، "الجامع المسند الصحيح"، ٢/ ١١٠، رقم (١٤٢٠)؛ ومسلم بن الحجاج، "المسند الصحيح المختصر"، ٤/ ١٩٠٧، رقم (١٠١/ ٢٤٥٢).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرجه أبو يعلى في "مسنده"، ١٣/ ٤٢٥، رقم (٧٤٣٠)؛ والروياني في "مسنده"، ٢/ ٣٣٩، رقم (١٣١٧)؛ والطبراني في "المعجم الأوسط"، ٣/ ٦، رقم (٢٢٩٧).

(٧) قال الشوكاني: "وروى ابن عديٍّ عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: لا تُعلموا نسائكم الكتابة ولا تُسكِنوهنَّ العلالي. وقال: خير لهو المؤمن: السِّباحة، وخير لهو المؤمنة: المغزل. وفي إسناده: جعفر بن نصرٍ، يُحدِّث عن الثِّقات بالبواطيل. وقد روى أبو نُعَيمٍ من حديث أنسٍ: نِعمَ لهو المرأة مِغزَلها". الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص١٢٧.

(٨) محمَّد بن خالدٍ الضَّبِّيُّ: الملقَّب بسُوَر الأسد، أبو خالدٍ المدنيُّ، روى عن إبراهيم النَّخَعيِّ وأنس بن مالكٍ، وروى عنه سفيان الثَّوريُّ وأبو معاوية. صدوقٌ. الذهبي، الكاشف، ٢/ ١٦٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ١٤٥-١٤٦.

(٩) إبراهيم النَّخَعيُّ: أبو عِمران اليمانيُّ ثم الكوفيُّ، فقيه العراق، روى عن القاضي شُريحٍ ومسروقٍ، وروى عنه حمَّاد بن أبي سُليمان وسِماك بن حربٍ. قال أحمد بن حنبلٍ: كان إبراهيم ذكيًّا حافظًا صاحب سُنَّةٍ. مات سنة /٩٦هـ/. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦/ ٢٧٩-٢٩١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٥٢٠-٥٢٩.

(١٠) "الطَّيِّب في اللُّغة: المستلَذُّ، والحلال المأذون فيه يُسمَّى أيضًا طيِّبًا، تشبيهًا بما هو مستلَذٌّ". الواحدي، التفسير الوسيط، ٢/ ١٥٦.

وروي أنَّ زكريَّا عليه السَّلام كان نجَّارًا[١].

وعن ابن المسيِّب[٢]: كان لقمان خيَّاطًا[٣].

وعن عثمان بن عطاءٍ[٤]، عن أبيه[٥]، قال: "كان سليمان عليه السَّلام يَسَفُّ الخُوص[٦] بيده، ويأكل خبز الشَّعِير، ويَطعَم بني إسرائيل الخبز النَّقيَّ واللَّحم"[٧].

وعن يزيدٍ النَّحْويِّ[٨]، عن عِكرمة[٩]: "أنَّ داوُد صلوات الله عليه وسلَّم رأى في المنام رجلًا معه

---

(١) أخرجه مسلم في "المسند الصحيح المختصر"، ٤/ ١٨٤٧، رقم (١٦٩/ ٢٣٧٩).

(٢) سعيد بن المسيِّب: أبو محمَّدٍ القُرشيُّ، المخزوميُّ، عالِم أهل المدينة، فقيه الفقهاء وعالم العلماء، وكان ممَّن برَّز في العلم والعمل، روى عن عمر بن الخطَّاب وعثمان بن عفَّان، وروى عنه الزُّهريُّ وسالم بن عبد الله بن عمر. وكان لا يأخذ من العطاء، وكانت له بضاعةٌ يتَّجر بها في الزَّيت. ومن أقواله: "لا خير فيمَن لا يريد جمع المال من حِلِّه، يُعطي منه حقَّه، ويكُفُّ به وجْهَه عن النَّاس"، و "قِلَّة العيال أحد اليسارين". ثقةٌ. ولد لسنين مضتا من خلافة عمر، ومات سنة /٩٤هـ/، وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، ٤/ ٢١٧-٢٤٦؛ الذهبي، الكاشف، ١/ ٤٤٤-٤٤٥؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ٨٤-٨٨.

(٣) أورد هذا الأثر مجاهد، تفسير مجاهد، ص٥٤٣، وأبو بكر الخلال، الحث على التجارة والصناعة والعمل، ص١١٤.

(٤) عثمان بن عطاءٍ: أبو مسعود الخراسانيُّ، روى عن أبيه وزياد بن أبي سودة، وروى عنه ابنه محمَّدٍ وحجَّاج بن محمَّدٍ. ضعيف الحديث. ولد سنة /٨٨هـ/، وتوفِّي سنة /١٥٥هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٤٨-٤٩؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/ ١٣٨-١٣٩.

(٥) عطاء بن أبي مسلمٍ: أبو عثمان الخراسانيُّ، روى عن أنس بن مالكٍ وسعيد بن المسيِّب، وروى عنه ابنه عثمان والأوزاعيُّ. وثَّقه يحيى بن معينٍ، وذكره البخاريُّ في الضُّعفاء. ولد سنة /٥٠ هـ/، وتوفِّي سنة /١٣٥هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ١٤٠-١٤٣؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٧٣-٧٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/ ٢١٢-٢١٥.

(٦) يَسَفُّ: أي ينسج. ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ١٥٣؛ والخُوص: ورق النَّخل. ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٣٣.

(٧) أورد الإمام أحمد بن حنبل هذا الأثر في كتاب "الزهد"، بلفظ: "كان سليمان عليه السَّلام يعمل الخوص بيده، ويأكل خبز الشَّعير بالنَّوى، ويُطعم بني إسرائيل الجَوذَيَّ"، ص٧٦، رقم (٤٦٦).

(٨) يزيد بن أبي سعيدٍ النَّحويُّ: أبو الحسن القُرَشيُّ، المروزيُّ، روى عن عكرمة ومجاهد، وروى عنه حسين بن واقدٍ ويسار المعلِّم. وثَّقه أبو زرعة وأبو داود وابن معينٍ والنَّسائيُّ، وقال أبو حاتمٍ: صالح الحديث. توفِّي سنة /١٣١هـ/. الذهبي، الكاشف، ٢/ ٣٨٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١١/ ٣٣٢.

(٩) عِكرمة البربريُّ: أبو عبد الله القُرَشيُّ، المدنيُّ، المفسِّر، روى عن أبي هريرة وابن عمر، وروى عنه يزيد بن أبي سعيدٍ النَّحْويُّ وإبراهيم النَّخَعيُّ. كان يكره كراء الأرض. وثَّقه النَّسائيُّ وابن أبي حاتمٍ، وقال البخاريُّ: ليس أحدٌ من أصحابنا إلَّا وهو يحتجُّ بعكرمة. توفِّي سنة /١٠٥هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ١٢-٣٦؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٩٣-٩٧؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/ ٢٦٣-٢٧٣.

في الجنَّة من أهل السُّوق[1]، فجعل يطوف في السُّوق، فإذا رجلٌ معه كَارَةٌ[2] من حطبٍ، يقول: مَن يشتري طيِّبًا بطيِّبٍ، فدنا منه، فقال: ما طيِّبك هذا؟ قال: حطبٌ حَطبْته فلم أظلم فيه أحدًا، فأريد رجلًا كسَب [٥/ أ] درهمًا حلالًا يعطيني به، فقال: هاك درهمًا، احمِله معي إلى المنزل، فحمله، فلمَّا انتهى به إلى المنزل، قال: ما تصنع بدرهمِك هذا؟ قال: ثُلُثه لِوالِدَيَّ، وثُلُثه للمساكين[3]، وثُلُثه لي ولعيالي، فقال: إنِّي رأيتك معي في الجنَّة، فهذا المحراب لك ولعيالك ولوالِدَيك، تجري عليكم أرزاقكم فكونوا فيه، فقال: أنت نبيٌّ من الأنبياء رأيتني معك في الجنَّة تريد أنْ تُخرِجني منها"[4].

وعن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "إنَّ الله يُحبُّ المؤمن المحترف[5]"[6].

وكان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إذا سمع برجلٍ حَسَن الحال، قال: "هل يحترف؟ فإنْ قالوا:

---

(١) السُّوق: موضع البِياعات. وتسَوَّق القوم: إذا باعوا واشتروا. وفي "المسند الصحيح المختصر": (فقدِمت سُوَيقةٌ)، ٢/ ٥٩٠، رقم (٨٦٣/٣٧)؛ أي: تجارةٌ، وهي تصغير السُّوق، سمِّيت بها لأنَّ التِّجارة تُجلب إليها، وتُساق المبيعات والبضائع نحوها. ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ١٦٧-١٦٨؛ وفي "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده: "والسُّوق: الَّتي يتعامل فيها"، ٦/ ٥٢٤.

ـ والسُّوق في علم الاقتصاد: "المكان الَّذي تلتقي فيه قرارات البائعين والمشترين بخصوص تبادل السِّلع والخدمات". رضوان، عبد الرحمن، وإسماعيل، عصام، التحليل الاقتصادي الجزئي (جامعة حلب: كلية الاقتصاد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، ص١٨٣.

(٢) الاكتيار: صرْع الشَّيء بعضَه على بعضٍ. وكوَّر المتاع تكويرًا: جَمَعَه وشَدَّه، وقيل: ألقى بعضَه على بعضٍ. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٤/ ٧٨.

(٣) المسكين: "الَّذي له الشَّيء ولا يقوم به". الإمام الشافعي، الأم، ٢/ ٨٨، أو المساكين هم: "السُّؤَّال، ومَن لا يسأل ممَّن له حِرفةٌ تقع منه موقعًا، ولا تُغنيه ولا عياله". الإمام الشافعي، الأم، ٢/ ٩١.

(٤) أورد الإمام أحمد بن حنبل هذا الأثر في كتاب "الزهد"، بلفظ: "إنَّ داود عليه السَّلام سأل ربَّه تبارك وتعالى أنْ يُرِيه قَرِينَه من أهل الأرض، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: ائْتِ قرية كذا، فانظر الَّذي يعمل بكذا وكذا فإنَّه قَرِينُك، فأتى القرية فسأل عنه فَدُلَّ عليه، فإذا هو رجلٌ يأتي الغَيضَة والأجَمَة، فيقطعه قصبًا، فيحْزُم حزمةً، ثمَّ يأتي السُّوق، فيقول: مَن يشتري طيِّبًا بطيِّبٍ، قطعته بيدَيَّ، وحملته على ظهري". ص٨٩، رقم (٥٥٣).

(٥) المحترف: "الصَّانع". الرازي، مختار الصحاح، ص٧٠؛ والحِرفة: "الصِّناعة وجهة الكَسْب". الصديقي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، ١/ ٤٩١.

"وقال الزركشي: الصِّناعات هي المعالجات، كالخياطة والنِّجارة، والحِرف وإنْ كانت تُطلق على ذلك، فتُطلق عرفًا على مَن يتَّخذ صنَّاعًا ويدل بهم ولا يعمل، فهي أعمُّ". الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ٦/ ١٣؛ الشيخ زكريا الأنصاري، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ٤/ ١٨١.

(٦) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ٨/ ٣٨٠، رقم (٨٩٣٤)؛ والقضاعي في "مسند الشهاب"، ٢/ ١٤٨، رقم (١٠٧٢).

لا، سقط من عينه"[1].

وعن البراء، سئل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "أيُّ الكَسْب أطيب؟ قال: عمل الرَّجل بيده، وكلُّ بيعٍ مبرورٍ[2]"[3].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "أطيب ما أكل الرَّجل من كَسْبه"[4].

وعن عُيينة بن حُصَينٍ[5] رحمه الله، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "آجَر موسى نَفْسه بِشِبَع بطنه [٥/ ب] وعِفَّة فَرْجه"[6].

وبلغنا أنَّ رجلًا قال: "يا رسول الله، أيُّ المتاجر تأمُرني؟ قال: عليك بالبَزِّ، وقال لآخر: عليك بالتِّبن فإنَّ رأس ماله[7] يسيرٌ وفضْله كثيرٌ، فاتَّجر الرَّجل بالتِّبن حتَّى نمى ماله، ثمَّ أتى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: يا رسول الله، إني سألتك عن أمرٍ وأرجو أنْ يكون الله قد جعل لي فيه البركة، فمُرني بتجارةٍ أسْنَى من التِّبن، قال: عليك بالبزِّ، فإنَّه مباركٌ، وهي تجارة أبي إبراهيم عليه السَّلام"[8]، وذكر الحديث .

---

(١) أورد ابن المبرد الحنبلي هذا الأثر في كتاب "محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب"، ٢/ ٣٧١.

(٢) المراد بالبيع "العقود المقصود بها التِّجارة". المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥٤٧، "والمراد بالمبرور: أنْ يكون سالمًا من غِشٍّ وخيانةٍ، أو مقبولًا في الشَّرع بأنْ لا يكون فاسدًا ولا خبيثًا؛ أي رديًّا، أو مقبولًا عند الله بأنْ يكون مثابًا به". ملَّا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/ ١٩٠٤.

ـ قال المناوي: "والحديث يقتضي تساوي الصِّناعة باليد والتِّجارة". فيض القدير، ١/ ٥٤٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٢٨/ ٥٠٢، رقم (١٧٢٦٥).

(٤) أخرجه أصحاب السنن الأربعة: أبو داود، السنن، ٣/ ٢٨٨، رقم (٣٥٢٨)؛ والترمذي في "الجامع الكبير"، ٣/ ٣٢، رقم (١٣٥٨)؛ والنسائي في "المجتبى"، ٧/ ٢٤٠، رقم (٤٤٤٩)؛ وابن ماجه، ٢/ ٧٢٣، رقم (٢١٣٧).

(٥) عُيينة بن حُصَينٍ (أو حِصْنٍ): أو عُيينة بن بدرٍ، واسم عُيينة: حذيفة، أبو مالكٍ الفَزَاريُّ، الصَّحابيُّ المؤلَّف (استألفه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم على الإسلام؛ لأنَّه من صناديد العرب)، أسلم بعد الفتح، وقيل: قبله. وشهد حنينًا ومؤتة والطَّائف، وكان ممَّن ارتدَّ سنة ١١هـ/ بعد وفاة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، ثم رجع إلى الإسلام، فأطلقه أبو بكرٍ رضي الله عنه. توفِّي في خلافة عثمان رضي الله عنه. أبو نعيم، معرفة الصحابة، ٤/ ٢٢٤٧؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ٢/ ٤٨-٤٩؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٦٣٨-٦٤١.

(٦) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، ٢/ ٨١٧، رقم (٢٤٤٤).

(٧) رأس المال: "ثمن الكلفة، ثمن الشَّيء الَّذي تكلَّفه المشتري". دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ٥/ ٥١؛ أو هو "مجموعة التَّكاليف الَّتي تقوم عليها السِّلعة". قلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص٢١٧.

(٨) أورد الديلمي عن ابن عباس، قال: "عليك بالتِّبن فإنَّه رأس مال يسيرٌ وربحه كثيرٌ، وعليك بالبزِّ فإنَّ فيه تسعة أعشار البركة". الفردوس بمأثور الخطاب، ٣/ ٣٣، رقم (٤٠٧٥).

ـ وقال السرخسي: "وإبراهيم عليه السَّلام كان بزَّازًا، على ما رُوي عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: عليكم بالبزِّ، فإنَّ أباكم كان بزَّازًا، يعني الخليل عليه السَّلام". أبو غدة "اعتنى به"، كتاب الكسب، ص٧٦.

وعن عبد الله بن أبي أوفى[١] رضي الله عنه، أنَّ رجلًا أتى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: "يا رسول الله، ائذن لي في المسألة، قال: اذهب إلى سوق الخيَّاطين"[٢].

وقال بعضهم: إذا قدِمَت رُفقَةٌ فاشتروا فأشركهم، فذهب الرَّجل فلم يلبث أنْ أصاب غلامًا وبعِيرًا، وجاء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: "يا رسول الله، أصَبْت غلامًا وبعِيرًا، وإنِّي قد استغنيت بهما، وإنِّي أريد أنْ ألزَمكَ، فقال: الزَم سُوقك"[٣].

ورُوي عن الحسن، عن أنسٍ، قال: "رأى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يد سعد بن معاذٍ رضي الله [٦/ أ] عنه مكبَّبةٌ[٤]، فقال: ما هذا الاكتِبَاب؟ قال: من ضربي المر والمِسحاة في أرضي، فقال: يا سعد، أمَّا أنا فأشهد أنَّ هذه يدٌ لا تمسُّها النَّار أبدًا"[٥].

وعن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه، قال: "جُعتُ مرَّةً بالمدينة جُوعًا شديدًا، فخرجت أطلب العمل، فإذا بامرأةٍ قد جمَعَت مَدَرًا[٦] تريد بَلَّه، فأتيتها فقاطعتها كلَّ ذَنُوبٍ بتمرةٍ، فعدَّ سِتَّة عشر ذَنوبًا حتَّى محلَت[٧] يداي، فأصَبْت منه، ثمَّ أتيتها فقلت بيدي هكذا بين يديها، فعدَّت لي سِتَّة عشر تمرةً، فأتيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبرته، فأكل معي منها"[٨].

وعن أنسٍ رضي الله عنه في حديثٍ: "فأمدَّهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بسبعِين من الأنصار كانوا يُسَمَّون القُرَّاء[٩]، كانوا يحتطِبون بالنَّهار ويُصلُّون باللَّيل"[١٠] الحديث.

(١) عبد الله بن أبي أوفى: اسمه: علقمة بن خالد بن الحارث الأسْلَميُّ، الصَّحابيُّ، الفقيه، المعمِّر، الكوفيُّ، له عدَّة أحاديث، وهو آخر مَن مات من الصَّحابة بالكوفة سنة /٨٨هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٢٨-٤٢٩؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٣٨-٣٩.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن أخرج الإمام مسلم في "المسند الصحيح المختصر"، بلفظ: "لا تُلحِفُوا في المسألة". ٢/ ٧١٨، رقم (٩٩/ ١٠٣٨).

(٣) أخرجه معمر بن راشد، بلفظ: "الزَمْ سوقك، واعلم أنَّ الغنى مُعَافاةٌ"، الجامع، ٢/ ٤٦٥، رقم (٢١٠٢١).

(٤) المكبَّبة: المغبرَّة، قال ابن سيده في أجناس البُر: "والمكبَّبة: وهي غبراء مستديرةٌ؛ ولذلك سمِّيت مكبَّبةٌ". المخصص، ٣/ ١٨٦.

(٥) قال الشوكاني: "رواه الخطيب عن أنسٍ مرفوعًا. وقال: هذا الحديث باطلٌ". الفوائد المجموعة، ص١٥١.

(٦) المَدَر: قِطَع الطِّين اليابس، واحدته مَدَرةٌ. ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ١٦٢.

(٧) وردت في "مسند" الإمام أحمد بن حنبل بلفظ: "مَجَلَت". ومعنى مجلت يده: أي ثخُن جلدها وتعجَّر، وظهر فيها ما يشبه البَثْر، من العمل بالأشياء الصُلبة الخشنة. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٠٠.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٢/ ٣٥١-٣٥٢، رقم (١١٣٥)

(٩) القُرَّاء: هذا اللَّفظ من مصطلحات الدَّور التَّشريعيِّ الأوَّل، ويُطلق على الصَّحابيِّ الَّذي حفظ القرآن غيبًا مع أحكامه، فالقرَّاء هم علماء الشَّريعة وفقهاؤها. الزرقا، المدخل الفقهي العام، ١/ ١٦٥-١٦٦.

(١٠) أخرجه البخاري في "الجامع المسند الصحيح"، ٥/ ١٠٥، رقم (٤٠٩٠).

وعن الحسن[١]، عن أبي سعيدٍ، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "التَّاجر الصَّدوق الأمين مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء"[٢].

وعن عمر رضي الله عنه، قال: "يا مَعشَر القُرَّاء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطَّريق، استبقوا الخيرات[٣]، ولا تكونوا عِيَالا[٤] على المسلمين"[٥].

عن عمرو بن مُرَّة[٦]، عن [٦/ ب]حُذيفة رضي الله عنه، قال: "خياركم مَن لم يرفض آخرته لدُنياه، ومَن لم يرفض دُنياه لآخِرته"[٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: "العبادة عشرة أجزاءٍ، فتسعةٌ في الكَسْب، وواحدةٌ في الصَّلاة والصَّوم"[٨]. وعن ثابتٍ البُنانيِّ[٩] مثل معناه.

عن الحسن، قال لقمان لابنه: "يا بُنيَّ، خذ من الدُّنيا أخذًا لا يضرُّ بآخرتك، ولا ترفضها كلَّ الرَّفض

---

(١) الحسن بن أبي الحسن: أبو سعيدٍ البصريُّ، سيِّد أهل زمانه علمًا وعملًا، روى عن أنسٍ وأبي موسى الأشعريِّ وخلْقٍ كثيرٍ من الصَّحابة، وروى عنه ثابتٌ البُنانيُّ ومالك بن دينارٍ وأمم سواهم. وروى بالإرسال عن طائفةٍ، منهم: أبي سعيدٍ وأبي هريرة. وثَّقه العجليُّ وابن حبَّان، وكان يُدلِّس. ولد زمن خلافة عمر بن الخطَّاب، وتوفِّي سنة /١١٠هـ/. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٥٦٣-٥٨٨؛ الذهبي، الكاشف، ١/ ٣٢٢-٣٢٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢/ ٢٦٣-٢٧٠.

(٢) أخرجه الترمذي في "الجامع الكبير"، ٢/ ٥٠٦، رقم (١٢٠٩)؛ وابن ماجه في "سننه"، ٢/ ٧٢٤، رقم (٢١٣٩).

(٣) الخيرات: "جمع خَيْرَةٍ، وهي الفاضلة من كلِّ شيءٍ". الرازي، مختار الصحاح، ص٩٩.

(٤) العَيْلة: الفقر والحاجة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨]، وعِيال الرَّجل: الَّذين يتكفَّل بالإنفاق عليهم. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٢/ ٢٤٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٤٨٨.

(٥) أخرجه ابن الجعد في "مسنده"، ص٢٨٥، رقم (١٩٢١)؛ والبيهقي في "شعب الإيمان"، ٢/ ٤٢٩، رقم (١١٦٢).

(٦) عمرو بن مُرَّة الجمَليُّ: أبو عبد الله الكوفيُّ، روى عن عبد الله بن أبي أوفى وإبراهيم النَّخَعيُّ وخلْقٍ كثيرٌ، وروى عنه ابنه عبد الله والثَّوريُّ وخلْقٍ سواهم. وثَّقه يحيى بن معينٍ، وقال أبو حاتمٍ: ثقةٌ يرى الإرجاء. مات سنة /١١٨هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ١٩٦-٢٠٠؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٨/ ١٠٢-١٠٣.

(٧) أخرجه الدينَوري في "المجالسة وجواهر العلم"، الجزء السادس، ٣/ ١٢٣، رقم (٧٥٢)؛ وأخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق"، ١٢/ ٢٩٣، (١٢٣١- حذيفة بن اليمان).

(٨) ورد هذا القول في "جزء محمد بن عاصم الثقفي"، ص١٤٣، رقم (٥٤).

(٩) ثابت بن أسْلم: أبو محمَّدٍ البُنانيُّ، البَصريُّ، روى عن أنس بن مالكٍ وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزُّبير، وروى عنه عطاء بن أبي رباحٍ وقتادة. ثقةٌ. ولد في خلافة معاوية رضي الله عنه، وتوفِّي سنة /١٢٧هـ/، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٢٠-٢٢٥؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢/ ٢-٤.

فتكون عيالًا على النَّاس، ولكن خُذ من الدُّنيا بَلاغًا[1]"[2].

وعن أبي هريرة، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَن طلب الدُّنيا حَلالًا استعفافًا عن المسألة، وسعيًا على عياله، وتعطُّفًا على جاره، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر. ومَن طلب الدُّنيا حَلالًا مُرائِيًا مُكاثِرًا مُفاخِرًا، لقي الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غضْبانٌ"[3].

وعن سفيان[4]، قال: "مكتوبٌ في التَّوراة إذا كان في البيت بُرٌّ فتَعبَّد، وإنْ لم يكن فالتمِس"[5].

وعن أبي عثمان النَّهديِّ[6]، قال: "دخل رجلٌ على سلمان رضي الله عنه وهو يعمل الخُوص بيده، فقال: تعمل الخُوص بيدك وعطاؤك[7] أربعة آلافٍ[8]، فقال: إنِّي أحبَبت أنْ آكل من كَسْب يدي"[9]. [٧/ أ]

قال أبو عبد الله رحمه الله: إنَّ الله قد أثبت الأرواح في اللَّوح على المقدار الَّذي يريد، وعلى كيفيَّة ما يريد، وفي الوقت الَّذي يريد، والنَّفْس تشتهي شيئًا رُبَّما يوافق ذلك المثبت في اللَّوح ورُبَّما خَالف[10]،

(١) البَلاغ: الكفاية. ابن منظور، لسان العرب، ٨/ ٤١٩. قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]؛ أي: كفايةً. اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ١/ ٦١٥-٦١٦.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في "الكتاب المصنف"، ١١/ ٣٨٠، رقم (٢٢١٨٦).

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروقٍ الثَّوريُّ: أبو عبد الله الكوفيُّ، المجتهد، وإمام الحفَّاظ، ورأس الزَّاهدين، قال سفيان: "لأن أُخلِّف عشرة آلاف درهمٍ يُحاسبني الله عليها، أحبُّ إليَّ من أنْ أحتاج إلى النَّاس"، وقال أيضًا: "كان المال فيما مضى يُكره، فأمَّا اليوم فهو تُرس المؤمن"، وقال أيضًا: الزُّهد زُهدان: زُهد فريضةٍ، وزُهد نافلةٍ. فالفرض: أنْ تدع الفخر والكِبر والعُلوَّ والرِّياء والسُّمعة والتَّزيُّن للنَّاس. وأمَّا زُهد النَّافلة: فأنْ تدع ما أعطاك الله من الحلال، فإذا تركت شيئًا من ذلك، صار فريضةً عليك ألَّا تتركه إلَّا لله". روى عن أبيه والأعمش، وروى عنه الأوزاعيُّ وأبو حنيفة. أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة /٩٧هـ/، وتوفِّي سنة /١٦١هـ/. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/ ٢٢٩-٢٧٩؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ١١١-١١٥.

(٥) أخرجه ابن الجعد في "مسنده"، ص٢٧٣، رقم (١٨١٢).

(٦) أبو عثمان النَّهديُّ: اسمه عبد الرَّحمن بن مُلٍّ، البَصريُّ. روى عن عمر بن الخطَّاب وعليٍّ بن أبي طالبٍ، وروى عنه قتادة وعِمران بن حُديرٍ. وثَّقه عليُّ ابن المدينيِّ وأبو زُرعة وجماعةٌ. توفِّي سنة /١٠٠هـ/. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ١٧٥-١٧٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٦/ ٢٧٧-٢٧٨.

(٧) العطاء: "ما يعطيه الإمام من بيت المال أهل الحقوق، ولخروجه وقتٌ معلومٌ". النسفي، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، ص٦٥. أو هو "ما يخرج للجُنديِّ من بيت مال في السَّنة مرَّةً أو مرَّتين". المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، ص٣١٩.

(٨) في الأصل: "ألفٍ".

(٩) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، ١٣/ ٢٣٨، رقم (١٠٢٥٧)؛ وأخرجه (العثماني الديباجي) في "جمهرة الأجزاء الحديثية"، ص٣٢٥، رقم (١).

(١٠) قال الحكيم التِّرمذيُّ: "فأحوال الدُّنيا تتداوله لا ينفكُّ من تدبيره وقضائه، والعبد يريد ما وافقه واشتهاه، وتدبير الله تعالى فيه غير ذلك ...". نوادر الأصول، ٣/ ٩٧.

فلو لم تكن هذه الأسباب؛ لكانت النَّفْس تعلى شهوتها لا بقَدْر أنْ ترى ذلك التَّقدير حسنًا[1]، فكان في ذلك فسادًا لقلوبهم، فجُعلت الأسباب لصرف وجوههم عن ذلك المثبت إلى وُجوه المطالب والمكاسب، فيرجِعوا باللَّائمة على أنفسهم في ذلك؛ وذلك سببه بما كان من سبيل ملك الموت، كان يأتي ليقبض الرُّوح عِيَانًا، فسبُّوه، فشكا إلى الله، فوُضعَت العِلل والأسقام، فالأسباب بمنزلة الأمراض، والرِّزق بمنزلة الموت، وبَدو كليهما من عند الله[2].

وبيَّن الله تعالى شأن المال أنَّه قوَّةٌ للدِّين[3]، فقال: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴿٥﴾ ﴾ [النساء: ٥].

قال له قائلٌ: إنَّ بعض المقبلين على أمر الدِّين تركوا الطَّلب، وقالوا: قد ضَمِن الله الرِّزق.

وجاء عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "إنَّ الرِّزق ليطلب العبد كما يطلبه أجَله"[4]. [٧/ ب]

وقال تعالى جَدُّه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "ها لو لم تأتها لأتتك"[5].

فعقدوا ينظرون الرِّزق، ووَفَاء الضَّامن لهم بذلك.

فقال: قعدُوا أو أقعِدُوا.

وإنْ كانوا قعدوا ينبغي لهم أنْ يقوموا، أنْ يطلبوا؛ تحرُّزًا من الطَّمع، وفسادًا للقلب، وتحصُّنًا من

---

(١) قال الحكيم التِّرمذيُّ: "والحرص إنَّما صار مذمومًا في أمر الدُّنيا؛ لأنَّ النَّفس كلَّما أعطيت درجةً من الدُّنيا نزعت إلى أعلى منها ... ولأنَّه لا يقنع بما قدَّر له في اللَّوح من الرِّزق الَّذي قد فرغ الله منه لكلِّ نفْسٍ". نوادر الأصول، ٤/ ٦.

(٢) ينظر: نوادر الأصول، ١/ ١٧٧-١٧٨.

(٣) قال الحكيم التِّرمذيُّ: "وقد كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يخزن ما يقع بيده من المال لنوائب الحقِّ لا لنفسه، وقد كان يصرفها في السِّلاح والكَراع لحاجتهم في ذلك الوقت إلى ذلك ... وقد أمر الله تعالى بخزن الأموال وحفظها، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ ... ﴾ ". نوادر الأصول، ١/ ١٠٧.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة"، ١/ ١١٧، رقم (٢٦٤)؛ والبزار في "البحر الزخار"، ١٠/ ٣٧، رقم (٤٠٩٩)؛ وابن حبان في "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، ٨/ ٣١، رقم (٣٢٣٨)؛ والطبراني في "المعجم الكبير"، ٣/ ٨٤، رقم (٢٧٣٧).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة"، ١/ ١١٧، رقم (٢٦٥)؛ وابن حبان في "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، ٨/ ٣٣، رقم (٣٢٤٠)؛ والطبراني في "المعجم الكبير"، ١٣/ ٩٥، رقم (١٣٧٣٨).

فتنة النَّفْس أنْ تحمله الحاجة[1] على تناول الشُّبْهة[2]، والتَّذلُّل للأغنياء[3]، فإنْ لم يفعل أبغضهم، فإنَّ بُغْضته إيَّاهم فتنةٌ، ولائمتك له أشدُّ فسادًا لقلبك من ذلك المال.

وإنَّما يقطع الطَّمع أوَّلًا بالإقبال على الطَّلب، فلا تزال تطلب من وُجوه المكاسب على ما أمر الله، وتستعمل فيه الورع[4] والتَّقوى، فتُصبِح وتُمسِي مُجاهِدًا[5] لنَفْسك في طلب الحلال. فأيُّ عبادةٍ أفضل من ذلك؟ هل يُدانِيه صومٌ أو صلاةٌ أو شيءٌ من أعمال البرِّ؟ وأسكَنْت شدَّة طمعك وقوَّته. فبعد هذا تصل إلى أعمال أهل اليقين، فإذا أيقنت انقطع طمعك أصلًا، وسكن قلبك إلى مَن بيده ملكوت كلِّ شيءٍ[6]، الَّذي قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى [٨/ أ] ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨]، فرأيت باطن هذه الكلمة، فحينئذٍ حقَّقت الإياس ممَّا في أيدي النَّاس.

فأمَّا إذا أردت ابتداءَ هذا الأمر؛ أنْ تدرك قلوب الموقنين والشَّهوات في قلبك، فهذا ما لا يكون، وكيف يكون اليقين في قلْبٍ وفيه ظِلُّ الشَّيطان باقي، وهو الهوى[7].

فإذا تركت طلب المعاش قبل استقرار اليقين، رَمَت بك نفسك في أودية المهالك ولا تشعر، وتُضيِّع حقَّ الزَّوجة والوَلَد وتزعُم أنَّ أرزاقهم على الله، وأين حكم في تنزيله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال في شأن الرَّضاع: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴿٢٤﴾﴾ [النساء: ٢٤]، فهذا تاركٌ للسَّبيل

(١) الحاجة: الطِّلبة. ابن فارس، مجمل اللغة، ص٢٦٠؛ والحَوْج: الطَّلب. الأزهري، تهذيب اللغة، ٥/ ٨٨؛ والتَّحوُّج: طلب الحاجة بعد الحاجة. المخصص، ٣/ ٤١٥؛ وجاء في كتاب "الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي" ما يأتي: "لأنَّ غاية الحاجة ألَّا يكون له مالٌ"، ص١٩٥؛ والحاجة في علم الاقتصاد: "هي الشُّعور بضرورة الحصول على شيءٍ ما غير متاحٍ". الكفري، الاقتصاد السياسي مقدمة في العلوم الاجتماعية، ص٣٤.

(٢) الشُّبهَة: "ما اشتبه حكمه بالاختلاف في إباحته، كنكاح المتعة". الماوردي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، ١٣/ ٢١٩.

(٣) الغِنَى: "هو ما تحصل به الكفاية على الدَّوام". النووي، المجموع شرح المهذب، ٦/ ١٩٣؛ والغَنيُّ: هو مَن وجد ما يُغذِّيه ويُعشِّيه على دائم الأوقات. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣/ ٦٤.

(٤) الورع: هو اجتناب الشُّبهات خوفًا من الله تعالى. أو هو زيادةٌ على العدالة من حسن السِّيرة والعِفَّة. الخطيب الشربيني، مغني المحتاج، ١/ ٤٨٦، والزُّهد: "ترك ما زاد على الحاجة، وإنْ كان حلالًا لا شبهة فيه". الشيخ زكريا الأنصاري، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، ١/ ٤٤٤.

(٥) في الأصل: "مُجاهِد".

(٦) قال الحكيم التِّرمذيُّ: "فمَن فتح له طريق الهداية إلى الله تعالى، وعرف ربَّه عزَّ وجلَّ معرفة الموقنين، سقط عن قلبه همُّ الرِّزق وفكره وَلَهًا عنه، وشغله عن ذلك خوف جلَاله وعظمته، فكفى مُؤنته". نوادر الأصول، ٢/ ٨٤-٨٥.

(٧) ينظر: الحكيم التِّرمذيُّ، نوادر الأصول، ١/ ٨٦-٨٧.

والسُّنَّة[1]، يعيش في عَنَاءٍ ويموت ظالمًا طامِعًا قاطِعًا للحقوق على أهله، وقد رُوي عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "كفى بالمرء إثمًا أنْ يُضيِّع مَن يقوت"[2].

فإنْ كانوا أقعِدُوا، فإنَّهم يكفَون مَؤُونَته.

قال له قائلٌ: ما معنى قولك: قَعدُوا وأقعِدُوا؟

(قال) أمَّا قَعدُوا؛ فهم قومٌ عند مبتدأ أمرهم لَمَّا شمُّوا شيئًا من رائحة الطَّاعة كسِلُوا عن الكَسْب، وتوسَّع عليهم المعاش، وأقبَلت الدُّنيا عليهم، لَمَّا رُؤيَ [٨/ ب] عليهم أثر الطَّاعة، فاحترقوا فيها ولم يشعروا؛ لأنَّ قلوبهم مائلةٌ لِمَن أكرمهم بالنَّوال والعطيَّة، وحُرِموا بركة المجاهدة في الكَسْب والبِرِّ والتَّقوى، وحُرِموا التَّخلُّق بأخلاق الكرام؛ من حُسن المعَاشرة مع النَّاس في السَّخاوة معهم، والبِشْر والسُّهولة في الأداء والاقتضاء والبيع والشِّراء، والقيام بالوفاء في الوعد، والكيل والوزن، وحفظ الحدود[3]، فهذا كلُّه عبادةٌ ورياضة نَفْسٍ ودَأَبٌ. ويَخلَى من هذا الخير كلِّه، فتكلَّفوا القعود قبل أوَانه، وآثروا كثرة النَّوم وطلب الرَّاحة، فالواجب عليهم القيام والسَّعي.

فإنْ قال: فسدت المكاسب وفسد النَّاس وذهبت الأمانة.

قيل لهم: فأنتم الـهُرَّاب من مجاهدة النَّفْس، فكيف يصلح مَن هرب من مجاهدة النَّفْس والشِّدَّة ومقاسَاة الغُمُوم في دِين الله.

وأمَّا الَّذين أقعِدُوا؛ فقومٌ كان سبيلهم منذ تابوا ما وصفنا من الجهد في حفظ الحدود[4] مع الله في طلب المكاسب، وركبوا صِعَاب الأمور، ودقَّقوا النَّظر فتورَّعوا عن كثيرٍ من الحلال مخافة الشُّبْهة، فلم يزل الله لهم [٩/ أ] مُعِينًا ومُؤيِّدًا في ذلك، منجِزًا لوعْدِه، كما قال عزَّ وجلَّ كذلك: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]، فصبروا على الذُّلِّ والفقر[5]، ومُقاسَاة الجهد والهمُوم في شأن الطَّلب،

---

(١) قال الحكيم التِّرمذيُّ: "... هؤلاء الحمقى الَّذين يتزهَّدون في الدُّنيا رياءً وسُمعةً، يريدون أنْ يتأكَّلوا هذا الحطام بسمة الزُّهد، ولم يعرفوا ما الزَّهادة وما معناها؟ حسبوا أنَّ الزَّهادة شتم الدُّنيا وأكل النَّخالة ولبس الصُّوف، وذمُّ الأغنياء ومدح الفقراء ...". نوادر الأصول، ١/ ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه"، ٢/ ١٣٢، رقم (١٦٩٢).

(٣) يريد الحكيم التِّرمذي أنَّ الفضائل الإنسانية لا تظهر بالبِطالة والكسل ومحبَّة الرَّاحة، والزُّهد المؤدِّي إلى التفرُّد عن النَّاس والعيش في المفاوز والجبال.

(٤) في الأصل: حفظ الله الحدود.

(٥) الفقير: "الَّذي لا حِرفة له ولا مال". الإمام الشافعي الأم، ٢/ ٨٨، أو الفقراء هم: "الزَّمنى الضُّعفاء الَّذين لا حِرفة لهم، وأهل الحرفة الضَّعيفة الَّذين لا تقع في حِرفتهم موقعًا من حاجتهم، ولا يسألون النَّاس". الإمام الشافعي، الأم، ٢/ ٩١.

وتحصَّنوا من آفات الطَّمع، وأدُّوا حقَّ العيال، ووصلوا من القليل الأرحام، ووَاسَوا[1] الإخوَان، وعطفوا على اليتامى والفقراء والمساكين والأرملة. فهؤلاء قومٌ على سبيل الصِّدق والوفاء يتَّقون ما حذَّرهم، ويرعَون ما وَرَّعهم عنه، ويصبرون على البُؤس والمسكنة، ويؤدُّون حقوق أهل التَّبعَة، ويحفظون الجوارح في ذلك، فكلُّ هذه فروضٌ يؤدُّونها، ثمَّ بعد ذلك تنفَّلوا بأنْ واسَوا الإخوان، وتعطَّفُوا على الأرملة واليتيم، ووصلوا الأرحام. ومع ذلك أطاعوا الله في سائر الأمور، فهَداهم ربُّهم إلى سبيله، كما وعد فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ لأنَّهم أدَّوا حقوق المجاهدة لَمَّا تقدَّم إليهم في بَدو الأمر، فقال: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨]، فلمَّا قاموا بحقِّ المجاهدة وفَّى لهم بما وعد من قولِه: ﴿ لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴿٦٩﴾ ﴾ (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت: ٦٩]، فهداهم [٩/ ب] واصطفاهم وقبِلَهم وشَغلَهم بنَفْسه، فهم المُحرَّرون، عُتَقاء الرَّحمن من شهوات النُّفوس ولَذَّاتها؛ لأنَّ القلب إذا شُغِل بشيءٍ ذهَل عمَّا سواه، فكيف إذا شُغِل بربِّ الأشياء. ففتح على قلوبهم من مُلكِه ما نسُوا في جنبِه كلَّ مذكورٍ، وذلك ما رُوي عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فيما يروي عن جبريل عليه السَّلام، عن ربِّه عزَّ وجلَّ، أنَّه قال: "ما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء فرائضي، وإنَّه ليَتقرَّب إليَّ بعد ذلك بالنَّوافل حتَّى أُحبَّه"[2] الخبر.

فهذا حاله مع ربِّه عزَّ وجلَّ، فهو الَّذي ضَمِن السَّموات والأرض رزقَه، فهم الَّذين أقعِدُوا[3].

فأمَّا الَّذين قعدوا تكلُّفًا ومراجل الشَّهوات تغلي وتَرَاكَم الهوى، فسحابةٌ مظلمةٌ، فقد أحرق نَفْسه وعاش في عمىً، لا يخرج من ظلمةٍ إلَّا وقع في أخرى، وبان من الصِّدق بَونًا بعيدًا[4]، وصار مَسبَّة الصِّدِّيقين، فكلَّما ذُكِر صِدِّيقٌ بسوءٍ فإنَّما يُذكَر هو؛ لِما روِي من ظاهر هذا المخادع. فيقال لهذا: أَطلَبت المعاش كما أُمِرت؟

فلم يأْمُرك أنْ تبتغيه من الله عزَّ وجلَّ، إنَّما قال: ابتَغِه من فضل الله؛ أي: اضرب في [١٠/ أ] الأرض هكذا وهكذا على وجوه الطَّلب؛ لأنَّه مُقلِّب القلوب، فيهدِي ويسوق ويخلِي ويضْرِب ويرِين على القلوب، حتَّى يُوصِل ذلك إليك، فذلك فضله عليك.

فقعد هذا بغَلَيان مِرجَله وهواه المظلم، فقال: أنا أبتغي من الله حتَّى يرزقني كما ضَمِن، فما يُدرِيك كيف ضَمِن؟

وإنَّما ضَمِن الأرزاق جُملةً؛ فمنها في يُسرٍ ورَاحةٍ، ومنها في عُسرٍ وشِدَّةٍ. فكيف تخطَّيت إلى الرَّاحة

(١) المواساة: الإنفاق على الأقارب. الماوردي، الحاوي الكبير، ٦/ ٣٢٦، والمواساة أيضًا: "مشاركة نحو الأصدقاء والأقارب فيما بيده من نحو مالٍ". المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص٣١٨.

(٢) أخرجه البخاري في "الجامع المسند الصحيح"، ٨/ ١٠٥، رقم (٦٥٠٢).

(٣) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ٢/ ٣٣١-٣٣٣.

(٤) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ٢/ ٣٢٨-٣٢٩.

دون الشِّدَّة مُساتِرًا متى وجبت لك هذه الحرمة عنده؟ بأيِّ وجهٍ وبأيِّ حُرمةٍ وبأيِّ بذل نفْسٍ ويقينٍ وطُمأنينةٍ حتَّى تبتغي مِنه؟ وإنَّما أُمرتَ بالضَّرب في الأرض والابتغاء من فضله.

وإنَّما تُوجَب هذه الحُرمَة لِمَن عنده تحرير الزَّاهدين[1] وخشية الورعِين وفَرقَ المتَّقين وقلق الخائفين، وحُرقة المشتاقين وأُنس المخبِتين، ومراقبة العارفين ونَهمَة الوالِهين.

وإنَّما يسوق الرِّزق من غَير مَؤُونةٍ وطلبٍ إلى مَن نسي الرِّزق، وذَهَل عنه شُغلًا بربِّه، وإلى مَن وثِق به في الرِّزق من غير جهة الضَّمان؛ لأنَّه لَمَّا عرَفَه بَرًّا لطِيفًا، وبه رؤوفًا رحيمًا، وعرَّفه حنَّانًا ومَنَّانًا، [١٠/ ب] وعَرفه بالمعروف وكرَم الصَّفح وكرَم المعاملة وجُود العطايا، واستقرَّت هذه المعرفة في قلبه، أمَّله بخير الدُّنيا والآخرة، فعظُم أمَله وحسُن ظنُّه به، واستحيى منه أنْ يضطرب قلبه عليه من سوء الظَّن به، فأمِن خوف فوت الرِّزق أو أتعَابه فيه، فوفَى له بذلك.

والزَّاهدون على ثقةٍ من ربِّهم في شأن الرِّزق، فسكنَت قلوبهم وأَمِنَت الفوت، ولكن هناك بقيَّة اضطرابٍ؛ ذاك لأنَّ نفوسهم تريد شيئًا، وكائنٌ أنْ يكون في التَّقدير خلاف ذلك ممَّا لا يوافق النَّفس، فتضطرب من أجل ذلك.

والصِّدِّيقون اطمأنَّت قلوبهم فلم يبقَ هناك اضطرابٌ؛ لحُسن ظنِّهم بربِّهم، بمنزلة رجلٍ له عبْدَان، فأراد أنْ يغيب إلى موضعٍ، فأخرج رزق أحد العبْدَين فوضعه على يد أمينٍ ثقةٍ لينفق عليه، وأخرج رزق الآخر فوضعه على يد أبَوَيه، فالأوَّل أَمِن فَوت الرِّزق؛ لأنَّه قد وضعه على يَدَي ثقةٍ، ولا يأْمَن أحوال إجراء الرِّزق؛ لأنَّه لا يدري كيفيَّته من التَّأخير والتَّعجيل والمقدار، فهو في اضطرابٍ. [١١/ أ] والثَّاني وضع رزقه عند أبَوَيه فأمِن جميع الوجُوه، ولم يبقَ اضطرابٌ لحُسن ظنِّه بأبَوَيه.

ونظرنا في رزق الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، فوجدنا له ثلاثة أحوالٍ:

[١] منها في بَدو النُّبوَّة: كان **يتَّجر** وهو بمكَّة، حتَّى عَيَّره المشركون ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٧-٨]، فأجابهم الله تعالى، فقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٠]، إلى[2] هكذا.

ومَنَّ الله عليه بمال خديجة رضي الله عنها، ثمَّ عدَّده عليه في كتابه في النِّعم، فقال: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [الضُّحى: ٨]. فهذا كان رزقه من قبل مبعثِه إلى أنْ مضت سنةٌ وزيادةٌ من الهجرة، حتَّى وجدنا فيما حدَّثنا به الجارُود عن وكيعٍ، عن شَرِيكٍ، عن سَمَاك، عن عكرمة، عن ابن عَبَّاسٍ، قال: "قدِمَت عِيرٌ المدينة، فاشترى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم منه، فربح أواقِي، فقسَمهَا بين أرامل بني

(١) الزُّهد: "ترك ما زاد على الحاجة، وإنْ كان حلالًا لا شبهة فيه". الشيخ زكريا الأنصاري، الغرر البهية، ١/ ٤٤٤.

(٢) في الأصل: إلَا.

[١١/ ب] عبد المطَّلب، وقال: لا أشتري بعد هذا شيئًا ليس عندي ثمنه"(١).

[٢] ومنزلةٌ أخرى بعد الهجرة: أُذِن له في القتال، ونَشَبت الحرب بينه وبين الكفَّار، وأحَلَّ الله له ولأُمَّته **الغنيمة**(٢)، وأنزل عليه في التَّنزيل: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنفال:٦٩]، فهذا الحلال الَّذي عليه خَاتم ربِّ العالمين، فقوله: (طَيِّبًا)؛ فلم يكن عندهم شيءٌ أحَلَّ ولا أطيب منه، فقال صلَّى الله عليه وسلَّم: "جُعِل رزقي تحت ظِلِّ رُمْحي وسَيفي"(٣)، فهذه منزلةٌ ثانيةٌ(٤).

[٣] والمنزلة الثَّالثة: أنَّه لَمَّا هذَّبه وطهَّره وقوَّم أخلاقه وبلغ به من الدِّين الدَّرجة الَّتي ساد [بها] وَلَد آدم كلَّهم، حتَّى جاز أنْ يقول: "أنا سيِّد وَلَد آدم ولا فخر"(٥)، وإنَّما سادهم فيما بلغنا أنَّه بلغنا أنَّ الله تعالى خَلق آدم عليه السَّلام وفيه مئة خُلُقٍ، فهو كمال المروءة، ثمَّ بعث الرُّسل والأنبياء، وفي كلٍّ منهم بعض تلك الأخلاق وسقط عنهم بعض ذلك، فروي عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: "إنَّما بُعِثت لأُتمِّم صالح الأخلاق"(٦)، رُوي ذلك عن أبي هريرة، فإذا قال: [١٢/ أ] "بُعِثت بهذا"، فاعلم أنَّه وجب عليه إتمامُه، فلا تتوهَّم عليه أنَّه خرج من الدُّنيا ولم يُتمِمه، فإذا تَمَّمه فإنَّما أخذ بأخلاق الأنبياء وما سقط عنهم أيضًا، فحينئذٍ استوجَب من الله تعالى الثَّناء، فأثنى الله تعالى عليه، فقال بعدما أقسم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]، فقالوا: خُلُق القرآن، وخُلُق القرآن يجمع التَّوراة والإنجيل، ويُفصِّل المفصَّل أيضًا، وأقسم بحياته، فقال: (لَعَمْرُكَ) [الحِجر: ٧٢]؛ لأنَّ مَن تخلَّق بالقرآن عَظُم خَطْبُه، فبذلك استحقَّ الدَّرجة الوسيلة الَّتي هي جنَّة عَدْنٍ الَّتي لا يفوقه أحدٌ إلَّا حَملَة العرْش، ويكون أقرب النَّاس إلى ربِّه يوم الموقف، وفي الجنَّة، وبَعثَه المقام المحمود، وغَفر له ما تقدَّم وما تأخَّر؛ لأنَّه انقاد له انقِيادًا لم يُدرِكه أحدٌ.

وسُئِلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقالت: "كان خُلقُه [القرآن] يرضى برضاه ويسخط بسخطه"(٧)، فلمَّا قام في هذه المرتبة جعل الله تعالى له طُعمةً منه قَذْف الرُّعب(٨)، وهو أعظم جنود الله فيما يُقَال في قلوب أهل فَدكَ وقُريظة والنَّضِير، [١٢/ ب] حتَّى خرَّبوا

(١) أخرجه أبو داود في "سننه"، ٣/ ٢٤٧، رقم (٣٣٤٤).

(٢) الغنيمة: "وهي الموجَف عليها بالخيل والرِّكاب لـمَن حضر من غنيٍّ وفقيرٍ". الماوردي، الحاوي الكبير، ٨/ ٣٨٥.

(٣) أورده البخاري في "الجامع المسند الصحيح" تعليقًا في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في الرماح، ٤/ ٤٠؛ والإمام أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٩/ ١٢٣، رقم (٥١١٤).

(٤) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ١/ ٣٧٥.

(٥) أخرجه مسلم في "المسند الصحيح المختصر"، ٤/ ١٧٨٢، رقم (٣/ ٢٢٧٨).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده"، ١٤/ ٥١٣، رقم (٨٩٥٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٤١/ ١٤٨، رقم (٢٤٦٠١).

(٨) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ١/ ٣٧٥.

بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثمَّ سلَّط رسوله على ذلك من غير تعَبٍ ولا حربٍ ولا مَؤُونةٍ، فكان منها رزقه إلى أنْ قبضَه صلوات الله عليه. فهذا أَهْنأ من الغنيمة الَّتي وقعت فيها المقاسم، وشاركت الأيدي فيها، والغَنِيمة كانت أَهْنأ من التِّجارة الَّتي كانت في مبتدأ نُبوَّته[1]، وكلَّما ازداد صفاءً وانقيادًا زاده الله هناءً وطِيبًا ويُسرًا في شأن دُنياه، وقُربةً ورِفعةً ودرجةً في الآخرة. فعل الله هذا به؛ وليرى المؤمنون ذلك فيكون هذا الفعل مثالًا لهم، وأنْ تبلُغ مراتبهم هناك.

قال قائلٌ: فالرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم كان رُبَّما جاع حتَّى يربُط الحجر والحجرين على بطنه، وكذلك أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما.

فقال: إنَّ اليُسر ليس في الكثرة والقِلَّة[2]، كذلك شأن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان لا يصيب إلَّا ما قُدِّر له، كذلك كان [ما] قُسِم له من الرِّزق، وكُلٌّ إنَّما يُصيب من رزقه ما قُدِّر له، فهو رزقه، وما لم يُقدَّر له فليس هو برزقٍ له.

والرِّزق هو رَميُ الشَّيء إليك من طريق الفضاء. تقول العرب: رَزِق ورَزَق، فقوله [١٣/ أ] زرق بالـمِرزَاق[3]؛ أي: رماه به حتَّى حلَّ به، وقدم الرَّاء: رماه من طريق القضاء والقَدَر.

ولكنَّ المطيع تيسَّر عليه؛ لأنَّ قلبه موقنٌ مطمئنٌ فهو في رَاحةٍ، وذلك قول الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَن سرَّه أنْ يكون أغنى النَّاس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه"[4].

والَّذي هو في تعَبٍ ونَصَبٍ، إنَّما دخل التَّعب والنَّصَب عليه من قِبَل فساد القلب؛ لأنَّه لَمَّا ضَعُف اليقين اضطرب القلب، فأحزنه بُطؤُه عنه، وانكسر لقلَّته، وأنَّه لم يجئ على شهوته، فقلبه أبدًا مغمومٌ مهمومٌ حزينٌ، آسفٌ من خوف فوت شيءٍ لا يدري قُدِّر له أم لا.

قال له قائلٌ: فإذا ضَمِن الله الرِّزق بعد أنْ قَدَّر ذلك في الذِّكر الحكيم، لِمَ أقسم[5] على ذلك؟

---

(١) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ١/ ٣٧٥.

(٢) وهذا هو معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سبأ: ٣٦]. قال الرازي: "يعني أنَّ الرِّزق في الدُّنيا لا تدلُّ سَعته وضِيقه على حال المحقِّ والمبطِل، فكم من موسرٍ شقيٍّ ومعسرٍ تقيٍّ، ولكنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون؛ أي أنَّ قِلَّة الرِّزق وضنك العيش وكثرة المال وخِصْب العيش بالمشيئة، من غير اختصاصٍ بالفاسق والصَّالح". مفاتيح الغيب، ٢٥/ ٢٠٩.

(٣) المزراق: الرُّمح القصير. مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ١/ ٣٩٣.

(٤) أخرجه الترمذي في "الجامع الكبير"، ٤/ ١٤٩، رقم (٢٣٤٠)؛ والحاكم في "المستدرك"، ٤/ ٣٠٠، رقم (٧٧٠٧).

(٥) وموضع القسم في قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣]، قال السمرقندي في تفسير هاتين الآيتين: "كما أنَّ قولكم لا إله إلَّا الله حقٌّ، كذلك قولي سأرزقكم حقٌّ. ويقال: معناه كما أنَّ الشَّهادة واجبةٌ عليكم، فكذلك رزقكم واجبٌ عليَّ". تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ٣/ ٢٧٧.

قال: لمعنيين؛

[١] أحدهما: أنْ يكون تطييبًا لنفسه وسكونًا لها لئلَّا تفتتن؛ لأنَّ النَّفْس في ظُلْمةٍ ومن ظُلْمةٍ، فإذا رأى ذلك سكن، وليست على يقينٍ، كالمنخدع؛ وذلك قول سلمان رضي الله عنه حيث رُئي[١] يحمل طعامًا على ظهره، فقيل له: أتُحرز هذا كلَّه يا أبا عبد الله، قال: "إنَّ النَّفْس إذا أحرزت رزقها اطمأنَّت"[٢]، فإنَّما ذكر [١٣/ ب] النَّفْس ولم يذكر القلب؛ لأنَّ القلب والعقل يشهد بأنَّ الرِّزق عند الله، فأحرز[٣] سلمان رضي الله عنه لها كي لا تضطرب، فينجوا من وسوستها، وكأنَّه خدَعَها وغرَّها، فألقى سببًا مجموعًا إليها كي تسكن، ويُرِيها أنَّ هذا رزقَها[٤]. فإنْ رجع سلمان رضي الله عنه إلى العقل والقلب، أليس كان موقنًا أنَّه لا يعلم أنَّ هذا رزقه؟ ومن أين يدري من أين رزقه؟ ومتى يصل إليه؟ ولو وضع جبلًا من ذهبٍ، فذلك فعل سلمان رضي الله عنه ومَن قبله وبعدَه أنَّ هذا تسكينًا للنُّفوس وقطعًا لوَسوَستها[٥].

والَّذي يعلم أنَّ الله تعالى إنَّما أكَّد الرِّزق في آيٍ من كتابه لقطع الوَسوَاس، وليتفرَّغ القلب لحفظ حدوده وأداء فرائضه، ويحسن عبادته ويتدبَّر آياته.

وكذلك أَمَرهم بالتَّوكُّل والتَّفويض، فيستريح القلب من الأشغال، فإنَّ القلب إذا خَلَص من أشغال النَّفْس بالتَّفويض والتَّوكُّل، وسكن الاضطراب، حينئذٍ يصل إلى صفوة العُبوديَّة، ويطَّلع على باطن تنزيله، ويجد حلاوة الطَّاعات، ويقف على الرِّضا، ويقبل منه النَّعم والأيادي والمنن.

وكلُّ قلبٍ مشغولٌ بشهوات [١٤/ أ] النَّفْس ومُنَاها، وخوف فَوت الرِّزق الَّذي هو قدَّره لنَفْسه وتمنَّاه، وقد أُثبِت في اللَّوح خلافه، فهو ساقطٌ، حرامٌ عليه أنْ يصل إلى ما وَصَفْنا.

[٢] وأمَّا المعنى الآخر: فإنَّه إذا طلب هذا الشَّيء فاجتمع له، أمسَكه، فما كان منه رزقه فإنَّه يُيسِّر عليه الإنفاق.

تمَّ الكتاب بعون الله تعالى ومنِّه.

الحمد لله وحده، وصلواته على سيِّدنا محمَّدٍ نبيِّه، وآله وصحبه وسلامه.

---

(١) في الأصل: "رؤي".

(٢) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، بلفظ: "إنَّ النَّفس إذا أحرزت رزقها اطمأنَّت، وتفرَّغت للعبادة، وأَيِس منها الوَسوَاس". ٦/ ٢١٩، رقم (٦٠٥٧).

(٣) الإحراز: "حفظ الشَّيء وصيانته عن الأخذ". حماد، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، ص٣٥.

(٤) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ١/ ١٠٤، ١٠٩.

(٥) قال الشاطبي: "وقد وجدنا من السَّلف الصَّالح رحمهم الله كثيرًا ما يدَّخرون الأموال لمصالح أنفسهم". الموافقات، ٢/ ٣٢٠.

الخاتمة

وصل البحث إلى النتائج الآتية:

أ/ ذهب الحكيم التِّرمذيُّ إلى أنَّ النُّصوص والأدلَّة الشَّرعيَّة تدعو إلى الضَّرب في الأرض والابتغاء من فضل الله في أبواب المعاش ووجوه المكاسب.

ب/ وجوه المطالب عند الحكيم التِّرمذيِّ تتعدَّى الزِّراعة إلى التِّجارة والصِّناعة، فلم يقصر مفهوم الإنتاج على خلق المادَّة كما كان يزعم الفيزيوقراط (الطَّبيعيُّون).

ج/ تؤثِّر الطَّاعة والمعصية في طلب المكاسب، فكلَّما ازداد المرء طاعةً لربِّه تيسَّرت عليه أسباب الرِّزق، والعكس صحيحٌ. وهذه من السُّنن الإلهيَّة في الاقتصاد.

د/ ربَّما تعلَّل مَن ذهب إلى ترك المكاسب بهذه السُّنَّة الإلهيَّة؛ لأنَّه لاحظ أنَّ الزَّاهدين والصِّدِّيقين من أهل اليقين تكفَّل الله لهم أرزاقهم من غير مؤونةٍ.

هـ/ أسَّس الحكيم التِّرمذيُّ لفكرة تفضيل المكاسب بحسب الجهد المبذول فيها، فأفضل الصَّنائع صناعة الفكر، أو الصَّنائع العلميَّة.

و/ لم تتجاوز آراء الحكيم التِّرمذيِّ في العلاقة بين الزُّهد والكَسْب ما عليه الفقهاء ممَّن جاء بعده من علماء الإسلام.

ز/ أهم مصدرٍ استعان به الحكيم التِّرمذيُّ في كتابه بيان الكَسْب هو "كتاب الكَسْب" للإمام محمَّدٍ ابن الحسن.

المصادر والمراجع

- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد. إصلاح المال. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة). تحقيق: كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو. السنة. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ.
- الإمام أحمد بن حنبل. الزهد. وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- الإمام أحمد بن حنبل. المسند. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- الأزهري، محمد بن أحمد. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي. تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني. [د.م]: دار الطلائع، [د.ت].
- الأزهري، محمد بن أحمد. تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. [د.م]: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- البزار، أحمد بن عمرو. البحر الزخار. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٩٨٨- ٢٠٠٩م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. شعب الإيمان. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. أشرف عليه: مختار أحمد الندوي. الرياض: مكتبة الرشيد، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- الترمذي، محمد بن عيسى. الجامع الكبير (سنن الترمذي). تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
- التكريتي "تحقيق"، ناجي. الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في

تدبير الممالك. بيروت: دار الأندلس، ط٣، ١٩٨٣م.

- التهانوي، محمد بن علي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق: علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم. نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي. الترجمة الأجنبية: جورج زيناني. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن الجعد، علي. المسند. تحقيق: عامر أحمد حيدر. بيروت: مؤسسة نادر، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- الحاكم، محمد بن عبد الله. المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

ابن حجر، أحمد بن علي. الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

- ابن حجر، أحمد بن علي. تهذيب التهذيب. الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٢٦هـ.
- الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- الديلمي، شيرويه بن شهردار. الفردوس بمأثور الخطاب. تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الذهبي، محمد بن أحمد. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.
- الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- الذهبي، محمد بن أحمد. الكاشف في معرفة مَن له رواية في الكتب الستة. تحقيق: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الذهبي، محمد بن أحمد. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. بيروت: الدار النموذجية والمكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- الرازي، محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- الراغب الأصفهاني. الذريعة إلى مكارم الشريعة. تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي. القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق/ بيروت: دار القلم والدار الشامية، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الراغب الأصفهاني. تفسير الراغب الأصفهاني. تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني. جامعة طنطا: كلية الآداب، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- رضوان، عبد الرحمن، وإسماعيل، عصام. التحليل الاقتصادي الجزئي. جامعة حلب: كلية الاقتصاد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- الرملي، محمد بن أبي العباس. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. بيروت: دار الفكر، ط أخيرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- الروياني، محمد بن هارون. المسند. تحقيق: أيمن علي أبو يماني. القاهرة: مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ.
- الزبيدي، نصر بن محمد. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين. [د.م]: دار الهداية، [د.ت].
- الزرقا، مصطفى أحمد. المدخل الفقهي العام. دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- السبكي، عبد الوهاب. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
- السمرقندي، نصر بن محمد. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم. تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. الموافقات. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. الناشر: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- الإمام الشافعي. الأم. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- الشوكاني، محمد بن علي. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. بيروت: دار الكتب العلمية، [د.ت].
- الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. دمشق/ بيروت: دار الكلم الطيب ودار ابن كثير، ١٤١٤هـ.

- الشيخ زكريا الأنصاري. أسنى المطالب في شرح روض الطالب. [د.م]: دار الكتاب الإسلامي، [د.ت].
- الشيخ زكريا الأنصاري. الغرر البهية في شرح البهجة الوردية. [د.م]: المطبعة الميمنية، [د.ت].
- الصديقي، محمد طاهر. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين، [د.ت].
- الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، [د.ت].
- ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز. القواعد الكبرى الموسوم بـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام. تحقيق: د. نزيه كمال حماد ود. عثمان جمعة ضميرية. دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- العثماني الديباجي. جمهرة الأجزاء الحديثية. قدم له: عبد القادر الأرنؤوط. اعتناء وتخريج: محمد زياد عمر تكلة. الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- القسطلاني، أحمد بن محمد. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ.
- القضاعي، محمد بن سلامة. مسند الشهاب. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- الكفري، مصطفى العبد الله. الاقتصاد السياسي مقدمة في العلوم الاجتماعية. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، [د.ت].
- الماوردي، علي بن محمد. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- الماوردي، علي بن محمد. النكت والعيون. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية، [د.ت].

- ابن المبرد الحنبلي، يوسف بن حسن. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: عمادة البحث العلمي، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- المطرزي، ناصر بن عبد السيد. المغرب في ترتيب المعرب. بيروت: دار الكتاب العرب، [د.ت].
- محمد بن سعد. الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- المناوي، عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- المناوي، عبد الرؤوف. فيض القدير شرح الجامع الصغير. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ.
- النسائي، أحمد بن شعيب. المجتبى (السنن الصغرى). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. حلب: نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- النسفي، عمر بن محمد. طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية. بغداد: مكتبة المثنى والمطبعة العامرة، [د.ت].
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله. معرفة الصحابة. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. الرياض: دار الوطن، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- ابن النفيس، علي بن أبي الحزم. الرسالة الكاملية في السيرة النبوية. تحقيق: عبد المنعم محمد عمر. مراجعة: أحمد عبد المجيد هريدي. القاهرة/ وزارة الأوقاف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامي/ لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط٢: منقحة ومزيدة، ١٩٨٧م.
- النووي، يحيى بن شرف الدين. تهذيب الأسماء واللغات. عُنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية. بيروت: دار الكتب العلمية، [د.ت].
- النووي، يحيى بن شرف الدين. المجموع شرح المهذب. بيروت: دار الفكر، [د.ت].
- الواحدي، علي بن أحمد. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- الوصابي، محمد بن عبد الرحمن. البركة في فضل السعي والحركة. القاهرة: مطبعة الفجالة، [د.ت].
- اليمني، نشوان بن سعيد. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون. دمشق/ بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- ابن بطة، عبيد الله بن محمد. الإبانة الكبرى. تحقيق: رضا معطي وآخرون. الرياض: دار الراية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- أبو بكر الخلال، أحمد بن محمد. الحث على التجارة والصناعة والعمل. تصنيف: محمود الحداد. الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤٠٧هـ.
- تفسير مجاهد. تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- جزء محمد بن عاصم الثقفي. تحقيق: مفيد خالد عيد. الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ابن حبان، محمد. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ابن حجر، أحمد بن علي. لسان الميزان. تحقيق: دائرة المعارف النظامية- الهند. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.
- حماد، نزيه. معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء. هيرندن- فيرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدِّين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، [د.ت].
- دوزي، رينهارت. تكملة المعاجم العربية. نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط. الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام، ط١، من ١٩٧٩- ٢٠٠٠م.
- الدينوري، أحمد بن مروان. المجالسة وجواهر العلم. تحقيق: مشهور حسن. الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين- أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت- لبنان)، ١٤١٩هـ.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. المخصص. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي. اللباب في علوم الكتاب. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- عبد الرزاق الصنعاني. المصنف. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الهند: المجلس العلمي، ١٤٠٣هـ.

- ابن عساكر، علي بن الحسن. تاريخ دمشق. تحقيق: عمرو بن غرامة العمراوي. بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد. كشف الأسرار. [د.م]: دار الكتاب الإسلامي، [د.ت].
- أبو غدة "اعتنى به"، عبد الفتاح. كتاب الكسب. بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن فارس، أحمد. مجمل اللغة. دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق. معجم لغة الفقهاء. بيروت: دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. [د.م]: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. [د.م]: دار إحياء الكتب العربية، [د.ت].
- مسكويه، أحمد بن محمد. الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه. تحقيق: سيد كسروي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، [د.ت].
- مصطفى سانو، قطب. المدخرات أحكامها وطرق تكوينها واستثمارها في الفقه الإسلامي. الأردن: دار النفائس، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط. [د.م]: دار الدعوة، [د.ت].
- معمر بن راشد. الجامع. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. باكستان: المجلس العلمي، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ملَّا علي القاري، علي بن محمد. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
- أبو يعلى، أحمد بن علي. المسند. تحقيق: حسن سليم أسد. دمشق: دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

“Raf’ul ḥaraj wal junāḥ ‘amman aradat minal marāḍi‘ alnikāḥ” by. Abu Ali Al-Hasan bin Usman Al-Wansharisi

Abdul Salam bin Mubarak Alzawi/ Morocco

The scholars have long been involved in dealing with all issues relating to the rulings of breastfeeding in Islamic jurisprudence, and they have not left any topic untouched. Almighty Allah, by his grace made it easier for me to know this treatise which is entitled by its author as ““Raf’ul *ḥ*araj wal junā*ḥ* ‘amman aradat minal marā*ḍ*i‘ alnikā*ḥ*”. This treatise is actually a question that was asked to him, which was posed to the young students of science, and he answered a doctrinal answer, which included a useful scientific guidance, removing from them the problem, illusion and probability, and limiting speech to 10 issues, including purposes, and means.

I was determined to pay attention to this message in order to edit arrange and comment on it, so that everyone can benefit from it. I ask Almighty Allah that he accepts this work, and makes it purely for him.

Book of earning on the doctrine of Imam Abu Hanifah (May Allah have mercy on him)

Dr. Tayseer Abdullah Al- Nais

The research presents a edited copy of the first manuscript written on the subject of Islamic economic theory. It is “book of earning” by Imam Mohammad bin Al-Hasan. The book has been divided into five chapters, which dealt with the knowledge of earning, knowledge of food, knowledge of clothing, knowledge of feeding and knowledge of speech. The book concluded with a chapter in which he spoke of the rule of expanding the needs above the minimum after the performance of the obligatory ones. In the chapter of earning Imam Muhammad spoke about the ruling of earning, its types, and its ranks. He closed the chapter with four benefits of the spreading of Salam, and greeting a sneezer.

was lost, but he has one later copy in the Dahiriyah library Damascus, in ninety papers, which was adopted by the editor in the editing of the Diwan. The rhymes of this copy are arranged on alphabetical order, and there is annex at the end of the work. However, the manuscript does not include Khalid's entire poetry.

The researcher was able, after exploration in the heritage books, to add (110) one hundred and ten pieces, that were not included in the manuscript nor its annex. And made they were put in a special section under the title (link of Diwan).

Prefaces of the History books, A Reading on Issues of Science and Its Approach

Dr. Mezyan Ali Bnasir/ Morocco

Researching the prefaces of "the science of history", and standing in context to determine the evolution of authorship in these prefaces, requires an investigation of the whole of what has been written since the dawn of Islam, and the beginning of authorship. However, two things may prevent the sketching the integrated features of the development of these prefaces; the first thing is that the authors did not include prefaces in many of the first compositions devoted to this particular science, Either because of its loss, or because of the disregard of the author or the transcriber of the contents of these prefaces. The second thing that presents a methodological difficulty in addition to the above is the inclusion of history at the beginning of its emergence for many arts. The books of Rijal and Tabaqat in various fields were considered under the genre of history, as well as the prophetic biographies that originated historically as an extension of the style of the Arab days, and their wars at the level of method and approach. Therefore, the intention in this research was to address the subject of prefaces of the books related to the term "science of history", without looking at the books shared by this science interests at the beginning of its development; such as books of Rijal, Tabaqat and prophetic biography.

The Grand Mosque of New Fez (677 AH / 1287 AD): The Ideal Model for the Revival of the Qurtubian Style in the Layout of Mosques

Rami Rabi Abdul Jawwad Rashid/ Egypt

The planning of the Mosque of Cordoba has a great impact on the planning of mosques in Both Andalusia and Morocco. One of the most important mosques in which the Qurtubian style was manifested in the planning of mosques in the far Morocco was the grand Marinid Mosque of New Fez (677 AH / 1278 AD). This study aims at shedding light on the most important characteristics of this mosque according to the Qurtubi style, which was not available in any of the mosques in the Morocco before this Marinid era (668 - 869 AH / 1269 - 1464 AD). Has the planning of this mosque had an impact on subsequent mosques during that period or later eras?

Abstracts of Articles

Waliyuddin Al-Mallawi and the science of relations between the chapters of the Holy Quran and their verses

Dr. Taha Mohammed Fares/ UAE

Muslim scholars have always stood on their feet to serve the book of Allah. In every century emerged scholars who devoted their lives entirely to this noble goal. Among them we find the remarkable scholar and interpreter of the Holy Quran Abu Abdullah Mohammed Ibn Ahmad Ibn Ibraheem Ibn Yousuf Al-Othmani, Al-Dibaji, Al-Manflouti. Sources of his biography have agreed upon his praise and describing him as a big investigator. And that's how described him his student Imam Zarkashi, and after him Imam Ibn Hajar. Sheikh Mallawi had special interest in the science of relations between the chapters of the Holy Quran and their verses, as evidenced by what was said about him, and through his manuscript in interpretation of the holy Quran, which I have found.

In this research I wanted to revive the biography of this remarkable scholar, and highlight his scientific efforts, from which the printed library has not seen anything yet, and highlight his interest in the science of relations between the chapters of the Holy Quran and their verses.

Letters of Jewish traders as a source for monitoring the movement of trade in southern Arabia during the middle Ages "Documentary Study"

Dr. Mahmoud Ahmad Hadiyyah/ Egypt

The Jewish heritage emerged and developed under the Islamic civilization, and fed the essence of the Islamic civilization by its contact with the major Islamic cities in Cairo, Baghdad, Cordoba, Fez, Yemen and the Levant, which they took as their metropolises and capitals through which they moved throughout the earth. They enjoyed many manifestations of freedom in Islamic caliphates and governments because of the rights of Sharia laws such as the freedom to buy, sell, and move, which protected their money and blood. That had the greatest impact on the success of Jewish activity, especially their trade. And therefore says Joaquin: "The enormous freedom of movement enjoyed by the Jews, portrayed by the Cairo funeral, was impossible to achieve unless they had a legal status and the public policy environment not allow it."

Comments and correction of the poetry work of Khalid Al-Katib

Mohammed Basil Ayoon Al-Sud/ Syria

The Diwan was published by the Syrian General Authority for books in 2006 with the editing of Karen Sadir, entitled: Khaled Bin Yazid, the finest poet of the Abbasid era.

The date of his birth is unknown, and the date of his death is different. However, the editor of Diean concluded that he was born around 175 Ah, and died in 262 Ah or 269 Ah.

He had a poetry book consists of 200 papers compiled by Abu Bakr al-Suli (D335 Ah) which

INDEX

Editorial

Consolation among members of the community is a protective shield for the homeland
Editing Director 4

Researches Titles:

Waliyuddin Al-Mallawi and the science of relations between the chapters of the Holy Quran and their verses
Dr. Taha Mohammed Fares 6

Letters of Jewish traders as a source for monitoring the movement of trade in southern Arabia during the middle Ages "Documentary Study"
Dr. Mahmoud Ahmad Hadiyyah 29

Comments and correction of the poetry work of Khalid Al-Katib
Mohammed Basil Ayoon Al-Sud 62

Prefaces of the History books, A Reading on Issues of Science and Its Approach
Dr. Mezyan Ali Bnasir 85

The Grand Mosque of New Fez (677 AH / 1287 AD): The Ideal Model for the Revival of the Qurtubian Style in the Layout of Mosques
Rami Rabi Abdul Jawwad Rashid 109

Manuscripts' Verification

"Raf'ul ḥaraj wal junāḥ 'amman aradat minal marāḍi' alnikāḥ" by. Abu Ali Al-Hasan bin Usman Al-Wansharisi
Abdul Salam bin Mubarak Alzawi 129

Book of earning on the doctrine of Imam Abu Hanifah (May Allah have mercy on him)
Dr. Tayseer Abdullah Al- Nais 155

Abstracts 202

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 27 : No. 107 - Muharram - 1441 A.H. - September 2019

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍّ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتابٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage

Juma Al Majid Center
for Culture and
Heritage - Dubai

Volume 27 : No. 107 - Muharram - 1441 A.H. - September 2019

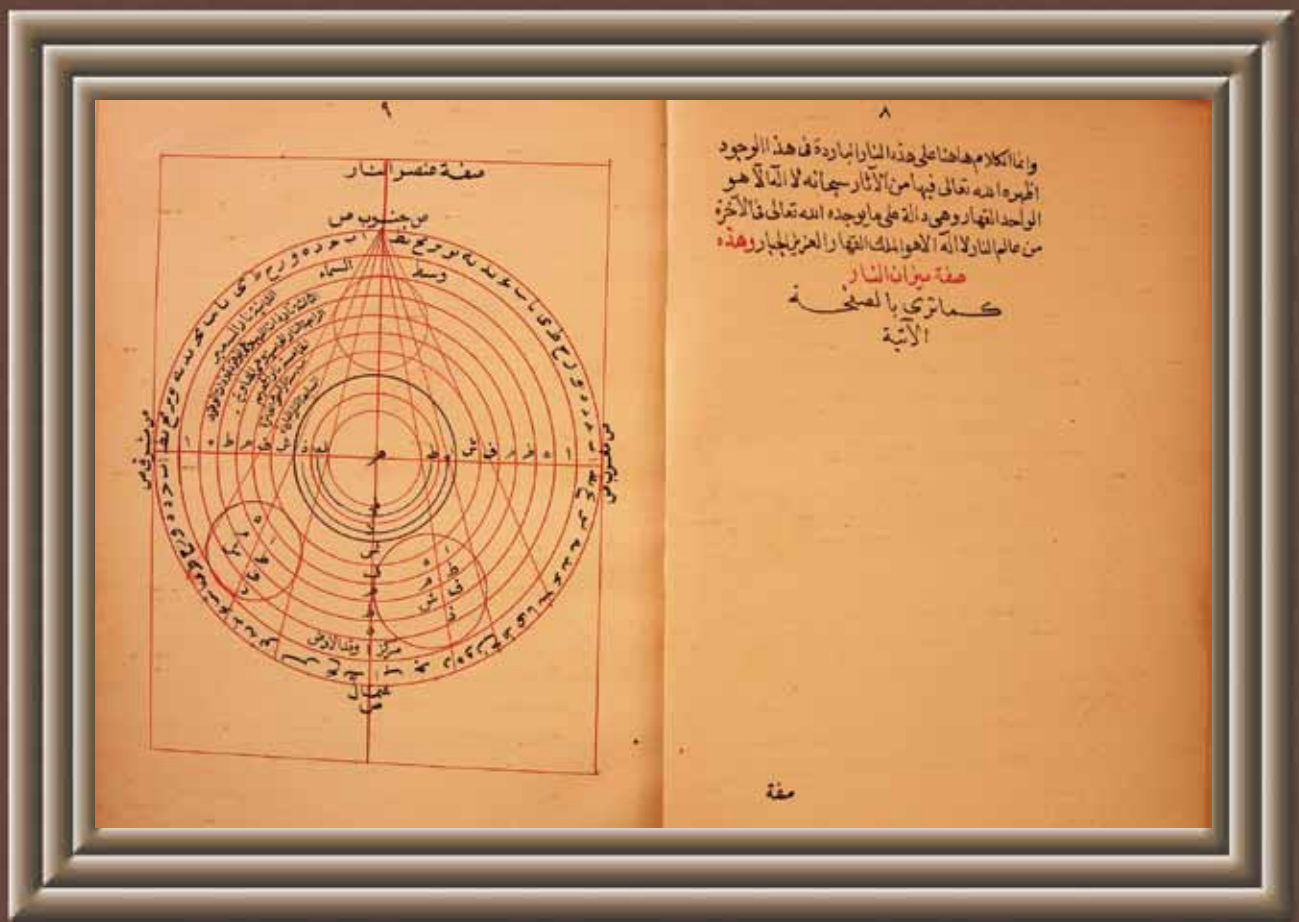

الأوزان في علم الميزان

اسم المؤلف: المجريطي، محمد بن إبراهيم بن عبدالدايم، المصدر: جامعة كراتشي، باكستان

Al-Awzan fi Ilmil Meezan

By. Al-Majreti, Mohammed bin Ibrahim bin Abdul Daim, Source: University of Karachi, Pakistan

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage